الأذكياء

ابو الفرج ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أحلنا محلة الفهم وحلانا حلية العلم وملكنا عقال العقل وزيننا بنطق المنطق ونعوذ به من كدر صفاء الفكر وعكر ذهن الذهن وصلى الله على المبعوث بجوامع الكلم إلى أعقل الأمم وعلى جميع أتباعه والسائرين في منهاج أتباعه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد فإن أجل الأشياء موهبة العقل فإنه الآلة في تحصيل معرفة الإله وبه تضبط المصالح وتلحظ العواقب وتدرك الغوامض وتجمع الفضائل ولما كان العقلاء يتفاوتون في موهبة العقل ويتباينون في تحصيل ما يتقنه من التجارب والعلم أحببت أن اجمع كتاباً في أخبار الأذكياء الذين قويت فطنتهم وتوقد ذكاؤهم لقوة جوهرية عقولهم وفي ذلك ثلاثة أغراض أحدها معرفة أقدارهم بذكر أحوالهم والثاني تلقيح الباب السامعين إذا كان فيهم نوع استعداد لنيل تلك المرتبة وقد ثبت أن رؤية العاقل ومخالطته تفيد ذا اللب فسماع أخباره تقوم مقام رؤيته كما قال الرضى:

فاتني أن أرى الديار بطرفي فلعلي أعي الديار بسمعي

وقد أنبأنا جماعة من أشياخنا قالوا أخبرنا مضر بن محمد قال سعت يحيى بن أكثم يقول سمعت المأمون يقول لإبراهيم لا شيء أطيب من النظر في عقول الرجال. والثالث تأديب المعجب برأيه إذا سمع أخبار من تعسر عليه لحاقه والله الموفق

باب في ذكر تراجم أبواب الكتاب

وهي ثلاثة وثلاثون باباً

المنقول من ذلك عن العباد والزهاد الباب الخامس عشر في سياق المنقول من ذلك عن العرب وعلماء العربية الباب السادس عشر في ذكر من احتال بذكائه لبلوغ غرض الباب السابع عشر فيمن احتال فانعكس عليه مقصوده الباب الثامن عشر فيمن وقع في آفة فتخلص بالحيلة منها الباب التاسع عشر في ذكر من استعمل بذكائه المعاريض الباب العشرون في ذكر من فلج على خصمه بالجواب المسكت الباب الحادي والعشرون فيمن غلب من العوام بذكائه كبار الرؤساء الباب الثاني والعشرون في أقوال وأفعال صدرت من أوساط الناس وعوامهم تدل على قوة الذكاء الباب الثالث والعشرون في طرف من أحوال الشعراء والمداحين الباب الخامس والعشرون في طرف من حيل المحاربين الباب السادس والعشرون في طرف من فطن المتطببين الباب السابع والعشرون في طرف من فطن المتطفلين الباب الثامن والعشرون في طرف من فطن المتلصصين الباب التاسع والعشرون في طرف من أخبار فطناء الصبيان الباب الثلاثون في طرف من فطن عقلاء المجانين الباب الحادي والثلاثون في طرف من أخبار النساء المتفطنات الباب الثاني والثلاثون فيما ذكر عن الحيوان البهيم مما يشبه ذكاء الآدميين الباب الثالث والثلاثون في ذكر ما ضربته العرب والحكماء مثلاً على ألسنة الحيوان.

الباب الأول

في ذكر فضل العقل

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد والقزاز قالا أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال أنا محمد بن أحمد بن رزق قال حدثنا جعفر بن محمد الخلدي قال حدثنا الحرث بن أبي أسامة قال حدثنا داود بن المجبر قال حدثنا عباد بن كثير عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أنه دخل على عائشة فقال يا أم المؤمنين أرأيت الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده على عائشة فقال يا أم المؤمنين أرأيت الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده أيهما أحب إليك قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني عنه فقال أحسنهما عقلا، قلت يا رسول الله أسألك عن عبادتهما فقال يا عائشة إنما يسئلان عن عقولهما فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال أنبأنا أبو بكر الخطيب قال أخبرنا أحمد بن محمد بن غالب قال أخبرنا أبو أحمد الحسين بن علي النيسابوري قال حدثنا محمد بن المسيب قال حدثنا موسى بن سليمان قال حدثنا بقية قال حدثنا عبد الله ابن عمرو عن اسحق بن عبد الله بن أبي فروة عن نافع عن ابن عمر قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجبوا بإسلام امرئ حتى

تعرفوا عقدة عقله. أخبرنا محمد بن أبي منصور قال أخبرنا عبد القادر بن محمد بن يوسف قال أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الملك بن بشر قال أخبرنا علي بن عمر الدار قطنى قال حدثنا القاضي أبو طاهر محمد بن أحمد بن نصر قال حدثنا جعفر الفيريابي قال حدثنا أبو مروان هشام بن خالد الأزرق قال حدثنا الحسن بن يحيى الخشني عن أبي عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول شيء خلقه الله القلم ثم خلق النور وهي الدواة ثم قال هل أكتب قال وما أكتب قال اكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة ثم خلق العقل وقال وعزتي لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصنك ممن أبغضت.

أخبرنا محمد بن أبي منصور قال أخبرنا ابن المبارك بن عبد الجبار قال أخبرنا أحمد بن الحرث قال حدثنا جدي محمد بن عبد الكريم قال حدثنا الهيثم ابن عدي قال حدثنا الأعمش عن عمر وبن مرة عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن عباس قال لما خلق الله العقل قال له أدبر فأدبر ثم قال له أقبل فأقبل قال وعزتي ما خلقت خلقاً قط أحسن منك فبك أعطي وبك آخذ وبك أعاقب.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال أنبأنا أحمد بن أحمد الحداد قال أنبأنا أبو نعمي أحمد بن عبد الله قال حدثنا محمد بن أحمد بن علي قال حدثنا الرث عن أبي أسامة قال حدثنا داود بن المجبر قال حدثنا عباد كثير عن إدريس عن وهب بن منبه قال إني وجدت فيما انزل الله على أنبيائه أن الشيطان لم يكابد شيئاً أشد عليه من مؤمن عاقل وأنه يكابد مائة جاهل فيستجرهم حتى يركب رقابهم فينقادون له حيث شاء ويكابد المؤمن العاقل فيتصعب عليه حتى لا ينال منه شيئاً من حاجته وقال وهب لإزالة الجبل صخرة صخرة وحجراً حجراً أيسر على الشيطان من مكايدة المؤمن العاقل لأنه إذا كان مؤمناً عاقلاً ذا بصيرة فهو أثقل على الشيطان من الجبال وأصعب من الحديد وأنه ليزاوله بكل حيلة فإذا لم يقدر أن يستزله قال يا ويله ماله ولهذا لا طاقة له بهذا ويرفضه ويتحول إلى الجاهل فيستأتسره ويتمكن من قياده حتى يسلمه إلى الفضائح التي يتعجلها في عاجل الدنيا كالجلد والرجم والحلق وتسخيم الوجوه والقطع والصلب وإن الرجلين ليستويان في أعمال البر ويكون بينهما كما بين المشرق والمغرب أو أبعد إذا كان أحدهما أعقل من الآخر.

أنبأنا يحيى بن ثابت عن بندار قال أخبرنا أبي قال أخبرنا أبي على بن دوما قال أخبرنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن علي القطان قال أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار قال أنبأنا اسحق بن بشر القرشي قال أخبرنا إدريس عن جده وهب بن منبه أن لقمان عليه السلام قال لابنه يا بني اعقل عن الله عز وجل فإن أعقل الناس عن الله عز وجل أحسنهم عملاً وإن الشيطان ليفر من العاقل وما يستطيع أن يكابده يا بني ما عبد الله بشيء أفضل من العقل.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم قال أخبرنا أحمد بن أحمد قال أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ قال حدثنا عبدي الله بن محمد العيشي قال حدثنا وهيب قال أخبرنا الجريري عن أبي العلاء عن طرف أنه قال ما أوتي عبد بعد الإيمان أفضل من العقل.

أخبرنا محمد قال أخبرنا أحمد قال أخبرنا أحمد بن عبد الله قال حدثنا محمد بن علي قال حدثنا علي قال حدثنا محمد بن الحسن بن الطفيل قال حدثنا محمد بن أبي السرى قال حدثنا داود عن خليد بن دعلج قال سمعت معاوية بن قرة يقول إن القوم ليحجون ويعتمرون ويجاهدون ويصلون ويصومون وما يعطون يوم القيامة إلا على قدر عقولهم.

أخبرنا أبو المعمر الأنصاري قال أخبرنا صاعد بن سيار قال أخبرنا أحمد بن سهل الفروجي قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الحفاظ إجازة قال أخبرنا الحسن بن أحمد الفقيه قال أخبرنا عبد الله بن ضريس عن أبي زكريا قال إن الرجل ليتلذذ في الجنة بقدر عقله.

الباب الثاني

في ذكر ماهية العقل ومحله

نقل إبراهيم الحربي عن أحمد بن حنبل أنه قال العقل غريزة ومثله عن الحرب المحاسبي. وروى عن المحاسبي أيضاً أنه قال هو نور وقال آخرون هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات وقال قوم هو نوع من العلوم الضرورية وهو العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وقال آخرون هو جوهر بسيط وقال آخرون هو جسم شفاف وسئل إعرابي عن العقل فقال لب اغتنمته بتجريب واعلم أن التحقيق في هذا أن يقال هنا الاسم أعني العقل ينطلق بالاشتراك على أربعة معان أحدها الوصف الذي يفارق به الإنسان البهائم وهو الذي استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي أراده من قال غريزة وكأنه نور يقذف في القلب يستعذبه لإدراك الأشياء والثاني ما وضع في الطباع من العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات والثالث علوم تستفاد من التجارب تسمى عقلاً والرابع أن منتهى قوته الغريزية إلى أن نقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة والناس يتفاوتون في هذه الأحوال إلا في القسم الثاني الذي هو العلم الضروري وقد شرحنا هذا وذكرنا فضائل العقل في كتابنا المسمى بمنهاج القاصدين وهذه الإشارة تكفي ههنا فصل وما اشتقاق هذا الاسم أعني العقل فقال ثعلب أصله الامتناع يقال عقلت الناقة إذا منعتها من السير وعقل بطن الرجل إذا حبس فصل وأما محله فنقل الفضل بن زياد عن أحمد أن محله

الدماغ وهو قول أبي حنيفة وذهب جماعة من أصحابنا إلى أنه في القلب كما يروى عن الشافعي واستدلوا بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله تعالى لمن كان له قلب أي عقل فعبر بالقلب عنه لأنه محله.

الباب الثالث

في بيان معنى الذهن والفهم والذكاء

حد الذهن قوة النفس المهيأة المستعدة لاكتساب الآراء وحد الفهم جودة التهييء لهذه القوة وحد الذكاء جودة حدس من هذه القوة تقع في زمان قصير غير ممهل فيعلم الذكي معنى القول عند سماعه وقال بعضهم حد الذكاء سرعة الفهم وحدته والبلادة جموده وقال الزجاج الذكاء في اللغة تمام الشيء ومنه الذكاء في السن وهو تمام السن ومنه الذكاء في اللغة تمام الشيء ومنه الذكاء في السن هو تمام السن ومنه الذكاء في الفهم وهو أن يكون فهماً تاماً سريع القبولِ وذكيت النار إذا أتممت إشعالها. أخبرنا أبو غالب أحمد ابن الحسن بن البناء وحدثنا عنه المبارك بن علي قال أخبرنا القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين قال أخبرنا إسماعيل بن سويد قال أخبرنا أبو بكر بن الأنياري قال قولهم فلان ذكي معناه كامل الفطنة تامها من قول العرب قد ذكت النار تذكو إذا تم وقودها ويقال أذكيتها إنا إذا أتممت وقودها ويقال مسك ذكي إذا كان تام الطيب كامل نفاذ الريح.

قال جميل:

صادت فؤادي بعينيها ومبتسم ... كأنه حين أبدته لنا برد
عذب كان ذكي المسك خالطه ... والزنجبيل وماء المزن والشهد

ويقال قد ذكيت الشاة إذا أتممت ذبحها وبلغت الحد الواجب فيه قال الشاعر:

نعم هو ذكاها وأنت أضعتها ... والهاك عنها خرفة وفطيم

والعرب تقول جرى المذكيات غلاب أي جرى المسان مغالبة وذلك أن المذكية من الخيل وهي التي تمت قوتها وشبابها تحمل على الخشن من الأرض للثقة بقوتها وصلابتها وأنها ليست كالجذاع والصغار التي تطلب لها الرخاوة من الأرض لضعفها وصغرها فإنها لا تثبت ثبات المذكيات وبعضها يقول جرى المذكيات غلاء والغلاء جمع غلوة وهو مدى الرمقة قال الشاعر في الذي الذكاء معناه تمام الفطنة:

سهم الفؤاد ذكاؤه ما مثله ... عند العزيمة في الأنام ذكاء

وقال زهير في الذكاء الذي معناه تمام السن:

ويفضلها إذا اجتهدت عليه تمام السن منه والذكاء

والذكاء في هذين المعنيين ممدود والذكاء تمام اتقاد النار مقصور يكتب بالألف. قال الشاعر

وتضرم في القلب اضطراماً كأنه ذكا النار ترفيه الرياح النوافخ

ويقال مسك ذكي ومسك ذكية والذي يذكر المسك يذكر والذي يؤنث يقول ذهبت إلى الرائحة أنشدنا أبو العباس عن سلمة عن الفراء.

لقد عاجلتني بالسباب وثوبها جديد ومن أثوابها المسك تنفح

وقد أراد به رائحة المسك قال ابن الأنباري أخبرني أبي قال أخبرنا أبو عفان المهزمي قال المسك والعنبر يؤنثان ويذكران.

الباب الرابع

في ذكر العلامات التي يستدل بها على عقل العاقل وذكاء الذكي

قال مؤلف الكتاب هذه العلامات تنقسم قسمين أحدها من حيث الصورة والثاني من حيث المعنى والأحوال والأفعال.

ذكر القسم الأول

قال الحكماء الخلق المعتدل والبنية المتناسبة دليل على قوة العقل وجودة الفطنة

وإذا غلظت الرقبة دلت على قوة الدماغ ووفوره ومن كانت عينه تتحرك بسرعة وحدة فهو مكار محتال لص وأحمد العيون الشهل وإذا لم تكن الشهلاء شديدة البريق ولا يظهر عليها صفرة ولا حمرة دلت على طبع جيد وإذا كانت العين صغيرة غائرة فصاحبها مكار حسود ومن كان نحيف الوجه فهو فهم مهتم بالأمور واللطف في التحاف القصار أظهر و المعتدلون في الطول صالحوا الحال.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال أخبرنا أحمد بن أحمد قال أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني قال حدثنا محمد بن علي قال حدثنا الحسين بن علي بن نصر قال حدثنا محمد بن عبد الكريم قال حدثنا الهيثم بن عدي قال حدثنا ابن عياش قال حدثنا الشعبي قال حدثني عجلاً قال لي زياد أدخلت على رجلاً عاقلاً

قلت أتاه برجل حسن الوجه مديد القامة فصيح اللسان قلت ادخل فدخل فقال زياد يا هذا إني قد أردت مشاورتك في أمر فما عندك قال أني حاقن ولا رأي لحاقن قال يا عجلان أدخله المتوضأ فلما خرج قال إني جائع ولا رأي لجائع قال يا عجلان أئته بالطعام فأتى به فطعم ثم قال سل عما بدا لك فما سأله عن شيء إلا وجد عنده بعض ما يريد أخبرنا المحمد أن ابن ناصر وابن عبد الباقي قالا أخبرنا حمد بن أحمد قال أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ قال حدثنا عثمان بن محمد قال أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى قال سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون يقول من وجدت فيه خمس خصال رجيت له السعادة ولو قبل موته بساعتين قيل ما هي قال استواء الخلق وخفة الروح وغزارة العقل وصفاء التوحيد وطيب المولد.

ذكر القسم الثاني

وهو الاستدلال على عقل العاقل بالأفعال والأقوال

قال المؤلف يستدل على عقل العاقل بسكوته وسكونه وخفض بصره وحركاته في أماكنها اللائقة بها ومراقبته للعواقب فلا تستفزه شهوة عاجلة عقباها ضرر وتراه ينظر في الفضاء فيتخير الأعلى والأحمد عاقبة من مطعم ومشرب وملبس وقول وفعل ويترك ما يخاف ضرره ويستعد لما يجوز وقوعه.
أنبأنا يحيى بن ثابت بن بندار قال أخبرنا أبي قال أخبرنا الحسن بن الحسين دوماً قال أخبرنا إسماعيل بن عيسى العطار قال أخبرنا أبو حذيفة إسحاق ابن بشر القرشي قال أخبرنا جعفر بن الحرث عن شهر بن حوشب قال. قال أبو الدرداء أبو حذيفة أنبئكم بعلامة العاقل يتواضع لمن فوقه ولا يزدري من دونه يمسك الفضل من منطقة يخالق الناس بأخلاقهم ويحتجر الإيمان فيما بينه وبين ربه عز وجل فهو يمشي في الدنيا بالتقية والكتمان.

قال القرشي وأخبرني إدريس عن جده وهب بن منبه أن لقمان قال لابنه يا بني ما يتم عقل امرئ حتى يكون فيه عشر خصال الكبر منه مأمون والرشد فيه مأمول يصيب من الدنيا القوت وفضل ماله مبذول، التواضع أحب إليه من الشرف والذل، أحب إليه من العز لا يسام من طلب الفقه طول دهره ولا يتبرم من طلب الحوائج من قبله يستكثر قليل المعروف من غيرها ويستقل كثير المعروف من نفسه والخصلة العاشرة التي بها مجده وأعلى ذكره أن يرى جميع أهل الدنيا خيراً منه وأنه شرهم وإن رأى خيراً منه سره ذلك وتمنى أن يلحق به وأن رأى شراً منه قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا فهنالك حين استكمل العقل قال

القرشي وأخبرني عثمان بن عبد الرحمن عن مكحول أن لقمان قال لأبنه غاية الشرف والسؤدد حسن العقل ومن حسن عقله غطى ذلك جميع ذنوبه واصلح ذلك مساويه ورضى عنه مولاه. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الدربندي قال أخبرنا محمد بن بكر الوراق قال حدثنا أبو أحمد علي بن محمد بن عبد الله المروزي قال حدثنا شهاب بن الحسن العكبري قال سمعت الأصمعي يقول سمعت إبان بن جرير يقول قال الملهب بن أبي صفرة يعجبني أن أرى عقل الكريم زائداً على لسانه ولا يعجبني أن أرى لسانه زائداً على عقله.

الباب الخامس

في سياق المنقول من ذلك عن الأنبياء

المتقدمين مما يدل على قوة الفطنة

معلوم أن فطن الأنبياء فوق الفطن ولكنا أحببنا أن لا نخلي كتابنا هذا من شيء عنهم فمن المنقول عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أنبأنا محمد بن عبد الملك قال أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال أخبرنا أبو الحسين بن زرقويه قال أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق قال أخبرنا الحسن بن علي القطان قال أخبرنا إسماعيل بن عيسى قال أخبرنا أبو حذيفة اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال لما رأت سارة إبراهيم قد شغف بأم إسماعيل غارت غيرة شديدة وحلفت لتقطعن عضوا من أعضاء هاجر فبلغ ذلك هاجر فلبست درعا وجرت ذيلها فهي أول نساء العالمين جرت الذيل وإنما فعلت ذلك لتعفى أثرها في الطريق على سارة فقال إبراهيم هل لك في خير أن فعلت ذلك لتعفى عنها وترضى بقضاء الله عز وجل قالت وكيف لي بما قد حلفت قال اخفضيها فتكون سنة النساء وتبر يمينك قالت افعل فخفضتها فمضت السنة للنساء بالخفض منها أخبرنا عبد الله قال أنبأنا الداوودي قال أخبرنا ابن أعين قال حدثنا الفريري قال حدثنا البخاري قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب السختياني وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة يزيد أحدهما على الآخر عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس لما شب إسماعيل تزوج امرأة فقالت خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم فقالت نحن بشر في ضيق وشدة وشكت إليه فقال فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء فأخبرته قال ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحق بأهلك.

قال المؤلف وهذا الحديث يدل على فطنة إسماعيل أيضاً ومن المنقول عن سليمان عليه الصلاة والسلام أخبرنا عبد الله بن محمد قال أخبرنا الحسن بن علي بن المذهب قال أخبرنا أبو بكر بن مالك قال أخبرنا

عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثنا يونس قال حدثنا ليث عن محمد بن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على أحدهما فأخذتا يختصمان في الصبي الباقي فاختصما إلى داود عليه الصلاة والسلام فقضى به للكبرى منهما فمرتا على سليمان عليه السلام فقال ما أمركما فقصتا عليه القصة فقال ائتوني بالسكين اشق الغلام بينكما فقالت الصغرى اشتقه قال نعم قالت لا تفعل حظي منه لها فقال هو ابنك فقضى به لها أخرجاه في الصحيحين.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال أخبرنا أحمد بن أحمد الحداد قال أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال حدثنا الحسن بن محمد بن علي قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن إدريس قال حدثنا أحمد بن سنان قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبي قال سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول بعث سليمان عليه السلام إلى ما روى من مردة الجن فأتى به وراء الحائط فوقع بين يدي سليمان أخذ عودا فذرعه بذراعه ورمى به وراء الحائط فوقع بين يدي سليمان فقال ما هذا فأخبر بما صنع المارد قال أتدرون ما أراد قالوا لا قال يقول اصنع ما شئت فإنك تصير إلى مثل هذا من الأرض.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي أخبرنا أحمد بن أحمد قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا محمد بن هارون بن بكار الدمشقي قال حدثنا سعيد بن داود عليه السلام يسعى في موكبه إذ مر بامرأة تصيح بابنها يالدين فوقف سليمان وقال إن دين الله ظاهر فأرسل إلى المرأة فسألها فقالت أن زوجها سافر وله شريك فزعم شريكه أنه مات وأوى أن ولدت غلاماً أن اسميه يالدين فأرسل إلى الشريك فاعترف أنه قتله فقتله سليمان عليه السلام.

حدثنا محمد بن كعب القرظي قال جاء رجل إلى سليمان النبي صلى الله عليه وسلّم فقال يا نبي الله إن لي جيرانا يسرقون أوزي فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم فقال في خطبته وأحدكم يسرق أوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح رجل برأسه فقال سليمان خذوه فإنه صاحبكم ومن المنقول عن عيسى عليه السلام أن إبليس جاء إليه فقال له الست تزعم أنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك قال بلى قال فارم بنفسك من هذا الجبل فإنه إن قدر لك السلامة تسلم فقال له يا معلون إن الله عز وجل إن يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه عز وجل.

الباب السادس

في سياق المنقول من ذلك عن الأمم السالفة

فمن المنقول عن لقمان حدثنا مكحول أن لقمان الحكيم كان عبداً نوبياً أسود وكان قد أعطاه لله تعالى الحكمة وكان لرجل من بني إسرائيل اشتراه بثلاثين مثقالاً ونش يعنى نصف مثقال وكان يعمل له وكان مولاه يعلب بالنرد يقامر عليه وكان على بابه نهر جار فلعب يوماً بالنرد على أن من قمر صاحبه شرب الماء الذي في النهر كله أو افتدي منه وإن هو قمر صاحبه فعل به مثل ذلك قال فقمر سيد لقمان فقال له القامر أشرب ما في النهر وإلا فافتد منه قال فسلني الفداء قال عينيك أفقؤهما أو جميع ما تملك قال أمهلني يومي هذا قال لك ذلك قال فأمسى كئيباً حزيناً إذ جاءه لقمان وقد حمل حزمة على ظهره فسلم على سيده ثم وضع ما معه ورجع إلى سيديه وكان سيده إذا رآه عبث به ويسمع من الكلمة الحكيمة فيعجب منه فلما جلس إليه قال لسيده ما لي أراك كئيباً حزيناً فاعرض عنه فقال له الثانية مثل ذلك فاعرض عنه ثم قال له الثالثة مثل ذلك فاعرض عنه فقال له أخبرني فلعل لك عندي فرجاً فقص عليه القصة فقال له لقمان لا تغتم فإن لك عندي فرجاً قال وما هو قال إذا أتاك الرجل فقال لك اشرب ما في النهر فقل له اشرب ما بين ضفتي النهر أو المد فإنه سيقول لك اشرب ما بين الضفتين فإنه لا يستطيع أن يحبس عنك المد وتكون قد خرجت مما ضمنت له فعرف سيده أنه قد صادق فطابت نفسه فلما أصبح جاءه الرجل فقال له فلي بشرطي قال له نعم اشرب ما بين الضفتين أو المد قال لا بل ما بين الضفتين قال فاحبس عني المد قال كيف أستطيع قال فخصمه قال فاعتقه مولاه.

حدثنا محمد بن إسحاق قال، قال لقمان لابنه يا بني إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك فإن أنصفك عند غضبه وإلا فاحذره ومن ذلك ما نقل عن عبد الله ابن عامر الأزدي في الاحتيال للسلامة من سيل العمر حدثنا الضحاك عن ابن عباس لقد كان لسبأ في مساكنهم آية قال كانت لا تنقطع عنهم جنتهم شتاء ولا صيفاً فكفروا ما أنعم الله عليهم فأرسل عليهم سبيل العرم فسلط على الردم الذي بنوه على غير شربهم جرذاً له مخاليب وأنياب من حديد فأول من علم بذلك عبد الله بن عامر الأزدي فانطلق نحو الردم فرأى الجرذ يحفر بمخاليب من حديد ويقرض بأنياب من حديد فانصرف إلى أهله فأخبر امرأته وأراها ذلك وأرسل إلى بنيه فقال هل ترون ما رأينا قالوا نعم قال فإن هذا الأمر ليس لنا إليه سبيل اضمحلت الحيل فيه لأن الأمر لله وقد أذن في هلاكه فأتى بهرة والجرذ يحفر ولا يكترث بالهرة فلما رأت الهرة ذلك ولت هاربة فقال عبد الله احتالوا لأنفسكم قالوا يا أبت كيف نحتال قال إني محتال لكم بحيلة قال فدعا أصغر بنيه ثم قال له إذا جلست اليوم في المجلس وكان الناس يجتمعون إليه وينتهون إلى رأيه فإذا اجتمعوا أمرت أصغركم بأمر فليفعل عنه فإذا شتمته فليهم إلى فليلطمني ولا تتغيروا أنتم عليه فإذا رأى الجلساء أنكم لم تتغيروا على أخيكم لم يجسر أحد منهم أن يتغير عليه فاحلف أنا عند ذلك يميناً لا كفارة

لها إن لا أقيم بني أظهر قوم قام إلى أصغر بني فلطمني فلم يتغيروا عليه لذلك قالوا تفعل فلما راح الناس إليه أمر ابنه ببعض أمره فلهى عنه ثم أمره فلهى عنه فشتمه فقام إليه فلطم وجهه فعجبوا من جرأة ابنه فنكسوا رؤوسهم وظنوا أن ولده يتغيرون عليه فلما لم يتغير أحد منهم قال الشيخ فحلف أن يتحول عنهم ويستبدلوا بداره فلا يقيم بين أظهر قوم لم يتغيروا على ابنه فقام القوم معتذرين وقالوا إما كنا ظننا أن ولدك لا يتغيرون فذلك الذي منعنا قال قد سبق مني ما ترون وليس إلى غير التحويل سبيل فعرض ضياعه على البيع وكان الناس يتنافسون فيها واحتمل بثقله وعياله فتحول عنهم فلم يلبث القوم إلا قليلاً حتى أتى الجرذ على الردم فاستأصله فلم يفاجئ القوم ليلة بعدما هدأت العيون إذا هم بالسيل قد اقبل فاحتمل أنعامهم وأموالهم وخرب ديارهم وقد جاءت أخبار عن القدماء ستراها في أبوابها إن شاء الله تعالى.

الباب السابع

في سياق المنقول من ذلك عن نبينا

صلى الله عليه وسلّم

كلمات تدل على قوة الفطنة الفطرية

فأما ما حصل له بتلقي الوحي وتثقيفه فذلك كثير وليس هو مرادنا ههنا إنما المراد القسم الأول أخبرنا حارثة بن مضرب عن علي عليه السلام قال لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر وجدنا عندها رجلين رجلاً من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط فأما القرشي فأفلت وأما مولى عقبة فأخذناه فجعلنا نقول له كم القوم فيقول هم والله كثير عددهم شديد باسهم فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له كم القوم فقال هم والله كثير عددهم شديد باسهم فجهد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبره كم هم فأبى ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم سأله كم ينحرون من الجزر فقال عشراً لكل يوم فقال رسول الله القوم ألف كل جزور لمائة وتبعها أخبرنا كعب بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يردي غزاة يغزوها الأورى بغيرها أخرجاه في الصحيحين أخبرنا أبو سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس إن الله عز وجل يعرض بالخمر سيترل فيها أمر فمن كان عنده منها شيء فليبعه فلينتفع به قال فما لبثنا إلا يسيراً حتى قال صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل حرم الخمر فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء فلا يشربه ولا يبيع فاستقبل الناس بما كان عندهم منها طرق المدينة فسفكوها انفرد بإخراجه مسلم أخبرنا هشام بن

عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أحدث أحدكم في الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف حدثنا أبو هريرة قال، قال رجل يا رسول الله لي جار يؤذيني فقال انطلق واخرج متاعك إلى الطريق فانطلق فأخرج متاعه فاجتمع الناس عليه فقالوا ما شأنك قال لي جار يؤذيني فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انطرق واخرج متاعك إلى الطريق فجعلوا يقولون اللهم العنه اللهم أخزه فبلغه فأتاه فقال ارجع إلى مترلك فوالله لا أؤذيك.

حدثنا زيد بن سالم أن رجلاً قال لحذيفة يا حذيفة نشكو إلى الله صحبتكم رسول الله أدركتموه و لم ندركه ورأيتموه و لم نره فقال حذيفة ونحن نشكو إلى الله إيمانكم به و لم تروه والله ما تدري يا ابن أخي لو أدركته كيف كنت تكون لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الخندق في ليلة باردة مظلمة مطيرة وقد نزل أبو سفيان وأصحابه بالعرصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم أدخله الله الجنة فما قام منا أحد ثم قال من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم جعله الله رفيق إبراهيم يوم القيامة فوالله ما قام منا أحد فقال من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم جعله الله رفيقي يوم القيامة فوالله ما قام أحد منا فقال أبو بكر يا رسول الله ابعث حذيفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حذيفة فقلت لبيك يا رسول الله بأبي أنت وأمي فقال هل أنت ذاهب فقلت والله ما بي أن أقتل ولكنني أخشى أن أوسر فقال إنك لت تؤسر فقلت مرني يا رسول الله بما شئت فقال اذهب حتى تدخل بني ظهراني القوم فات قريشاً فقل يا معشر قريش إنما يريد الناس إذا كان غداً أن يقولوا أين قريش أين قادة الناس أين رؤوس الناس فيقدمونكم فتصلون القتال فيكون القتل بكم ثم ائت قيساً قل يا معشر قيس إنما يريد الناس إذا كان غداً أن يقولوا أين أحلاس الخيل أين الفرسان فيقدمونكم فتصلون القتال فيكون القتل بكم فانطلقت حتى دخلت بين ظهراني القوم فجعلت اصطلي معهم على نيرانهم وجعلت أبث ذلك الحديث الذي أمرني به حتى إذا كان وجاء السحر قام أبو سفيان فدعا اللات والعزي وأشرك ثم قال لينظر كل رجل من جليسه ومعي رجل منهم يصطلي على النار فوثبت عليه فأخذت بيده مخافة أن يأخذني فقلت من أنت فقال أنا فلان بن فلان فقلت أولى فلما دنا الصبح نادوا أين قريش أين رؤوس الناس فقالوا هات الذي أتينا به البارحة أين بنو كنانة أين الرماة فقالوا هات الذي أتيتنا به البارحة فتخاذلوا وبعث الله عليهم تلك الليلة الريح فما تركت لهم بناء إلا هدمته ولا إناء إلا أكفاته حتى لقد رأيت أبا سفيان وثب على جمل له معقول فجعل يسحبه ولا يستطيع أن يقوم فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت أخبره عن أبي سفيان فجعل يضحك حتى بدت نواجذه وجعلت أنظر إلى أنيابه.

عن عاصم الأحوال عن الحسن أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل قد قتل حميماً له فقال

له النبي صلى الله عليه وسلم أتأخذ الدية قال لا قال أفتعفو قال لا قال اذهب فاقتله فلما جاوزه الرجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا فتركه وهو يجر نسعه في عنقه قال ابن قتيبة لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مثل في المأثم واستيجاب النار أن قتله وكيف يريد هذا وقد أباح الله عز وجل قتله بالقصاص ولكن كره رسول الله أن يقتص وأحب له العفو فعرض تعريضاً أوهمه به أنه إن قتله كان مثله في الإثم ليعفو عنه وكان مراده أنه يقتل نفساً كما قتل الأول نفساً فهذا قاتل وهذا قاتل فقد استويا في قاتل وقاتل إلا أن الأول ظالم والآخر مقتص قال مؤلف الكتاب وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا كثير خصوصاً في المعاريض فلنقتصر على هذه النبذة.

الباب الثاني

في سياق المنقول من ذلك عن أصحاب نبينا

رضي الله عنهم أجمعين

فمن المنقول عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه حدثنا ثابت عن أنس قال لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسول الله يركب وأبو بكر رديفه وكان أبو بكر يعرف الطريق لاختلافه إلى الشام فكان يمر بالقوم فيقولون من هذا بين يديك يا أبا بكر فيقول هاد يهديني.

حدثنا الحسن قال لما خرج رسول الله صلى عليه وسلم وأبو بكر من الغار لم يستقبلهما أحد يعرف أبا بكر إلا قال له من هذا معك يا أبا بكر فيقول دليل يدلني الطريق وصدق والله أبو بكر.

حدثنا الحسن قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الناس فقال إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله عز وجل قال فبكى أبو بكر فعجبنا من بكائه أن خبر رسول الله عن عبد خير فكان رسول الله عن عبد خير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به ومن المنقول عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حدثنا اسلم عن أبيه قال قدمت على عمر بن الخطاب حلل من اليمن فقسمها بين الناس فرأى فيها حلة رديئة فقال كيف أصنع بهذه إذا أعطيتها أحد لم يقبلها إذا رأى هذا العيب فيها قال فأخذها فطواها فجعلها تحت مجلسه واخرج طرفها ووضع الحلل بين يديه فجعل يقسم بين الناس قال فدخل الزبير بن العوام وهو تلك الحال قال فجعل ينظر إلى تلك الحلة فقال له ما هذه الحلة قال عمر دع هذه عنك قال ما هيه ما هيه ما شأنها قال دعها عنك قال فأعطينيها قال إنك لا ترضاها قال بلى قد رضيتها فلما توثق منه واشترط عليه أن يقبلها ولا يردها رمى إليه فلما أخذها الزبير ونظر إليها إذا هي رديئة فقال لا أريدها فقال عمر أيهات قد فرغت منها

فأجازها عليه وأبى أن يقبلها منه.
حدثنا بريد بن جرير عن أبيه عن عمر قال له والناس يتحامون العراق وقال الأعظم سر بقومك فما قد غلبت عليه فلك ربعه فلما جمعت الغنائم غنائم جلولاً ادعى جرير أنه له ربع ذلك كله فكتب سعد إلى عمر بذلك فكتب عمر صدق جرير قد قلت ذلك له فإن شاء أن يكون قاتل هو وقومه على جعل فأعطوه جعله وأن يكون إنما قاتل لله ولدينه ولحبيبه فهو رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فلما قدم الكتاب على سعد أخبر جرير بذلك فقال جرير صدق أمير المؤمنين لا حاجة لي به بل أنا رجل من المسلمين.

أخبرنا نافع عن ابن عمر قال بينما عمر رضى الله عنه جالس إذ رأى رجلاً فقال قد كنت مرة ذات فراسة وليس لي رأي إن لم يكن هذا الرجل ينظر ويقول في الكهانة شيا أدعوه لي فدعوه فقال هل كنت تنظر وتقول في الكهانة شيئاً قال نعم. وقد روينا عن عمر رضى الله عنه أنه خرج يعس المدينة بالليل فرأى ناراً موقدة في خباء فوقف وقال يا أهل الضوء وكره أن يقول يا أهل النار وهذا من غاية الذكاء وروينا عنه أنه قال لرجل عرس هل كان فقال لا أطال الله بقاك فقال عمر قد علمتم فلم تتعلموا هلا قلت لا وأطال الله بقاك ومن المنقول عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبي البختري قال جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فاطره وكان بغضه فقال له أني ليس كما تقول وإنا فوق ما في نفسك حدثنا عبد الله بن سلمة قال سمعت علياً يقول بمسكن لا أغسل رأسي بغسل حتى آتي البصر وأحرقها وأسوق الناس بعصاي إلى مصر قال فأتيت أبا مسعود البدري فأخبرته أن علياً يورد الأمور مواردها لا يحسنون يصدرونها على رجل أصلع إنما رأسه مثل الطست إنما حوله مغيبات أو قال شعيرا أخبرنا سماك بن حرب عن حنبش بن المعتمر أن رجلين أتيا امرأة من قريش فاستودعاها مائة دينار وقالا لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه حتى نجتمع فلبثا حولاً فجاء أحدهما إليها فقال إن صاحبي قد مات فادفعي إلي الدنانير فأبت وقالت إنكما قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه فلست بدافعتها إليك فثقل عليها بأهلها وجيرانها فلم يزالوا بها حتى دفعتها إليه ثم لبثت حولا فجاء الآخر فقال ادفعي إلي الدنانير فقالت إن صاحبك جاءني فزعم أنك مت فدفعتها إليه فاختصما إلى عمر بن الخطاب فأراد أن يقضي عليها فقالت أنشدك الله أن تقضي بيننا أرفعنا إلي علي فرفعهما إلى علي عرف أنهما قد مكرا بها فقال أليس قد قلتما لا تدفعيها إلا واحد منا دون صاحبه قال بلى قال فإن مالك عندنا فاذهب فجيء بصاحبك حتى ندفعها إليكما.
أخبرنا محمد بن أبيه عن علي أنه جيء برجل حلف فقال امرأته طالق ثلاثاً إن لم يطأها في شهر رمضان

نهاراً فقل تسافر بها ثم لتجامعها نهاراً ومن المنقول عن الحسن بن علي عليهما السالم قال مؤلف الكتاب قرأت بخط أبي الوفاء بن عقيل قال لما جيء بابن ملجم إلى الحسن قال له أريد أن أسارك بكلمة فأبى الحسن وقال إنه يريد أن يعض أذني فقال ابن ملجم والله لو مكنني منها لأخذتها من صماخة قال ابن عقيل انظر إلى حسن رأى هذا السيد الذي قد نزل به من المصيبة الفادحة ما يذهل الخلق وتقصيه إلى هذا الحد وانظر إلى ذلك اللعين كيف لم يشغله حاله عن استرداد غشه ومن المنقول عن الحسين عليه السلام أخبرنا إبراهيم بن رياح الموصلي قال يروي أن رجلاً ادعى على الحسين بن علي مالا وقدمه إلى القاضي فقال الحسين ليحلف على ما ادعى ويأخذه فقال الرجل والله الذي لا إله إلا هو فقال قل والله والله والله إن هذا الذي تدعيه لك قبلي ففعل الرجل وقام فاختلف رجلاه وسقط ميتاً فقيل للحسين في ذلك فقال كرهت أن يمجد الله فيحلم عنه ومن المنقول عن العباس عليه السلام أخبرنا أبو رزين قال سئل العباس أنت أكبر أم النبي صلى الله عليه وسلم فقال هو أكبر مني وأنا ولدت قبله أخبرنا عكرمة عن ابن عباس قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك العير ليس دونها شيء فناداه العباس بن عبد المطلب وهو أسير في وثاقه أنه لا يصلح لحك قال و لم قال لأن الله تعالى إنما وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك.

أخبرنا مجاهد قال قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه إذ وجد ريحاً فقال ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ فاستحيا الرجل ثم قال ليقم صاحب هذه الريح فيتوضأ فإن الله لا يستحي من الحق فقال العباس إلا نقوم يا رسول الله فليتوضأ فإن الله لا يستحي من الحق فقال العباس إلا نقوم مرسلاً ووصله عنه محمد بن مصعب القرساني فقال مجاهد عن ابن عباس وقد جرى مثل هذه القضية عند عمر رضى الله عنه عن الشعبي أن عمر كان في بيت ومعه جرير بن عبد الله فوجد عمر ريحاً فقال عزمت على صاحب هذه الريح أن قام فتوضأ فقال جرير يا أمير المؤمنين أو يتوضأ القوم جميعاً فقال عمر رحمك الله نعم السيد كنت في الجاهلية ونعم السيد أنت في الإسلام.

ومن المنقول عن عبد الله بن جعفر أخبرنا أبو مليك قال، قال ابن الزبير لابن جعفر أتذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس فقال نعم فحملنا وتركك أخرجاه في الصحيحين وقد روى لنا هذا بالعكس عن عبد الله ابن أبي مليكة قال، قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير أتذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس قال نعم فحملنا وتركك، انفرد بإخراج هذا مسلم قال مؤلف الكتاب والظاهر أنه انقلب على الراوي وعلى هذا تكون الغبطة لابن الزبير ومن المنقول عن عبد الله بن رواحة حدثنا عكرمة مولى ابن عباس أن عبد الله بن رواحة كان مضطجعاً إلى جنب امرأة فخرج

إلى الحجرة فواقع جارية له فاستنبهت المرأة فلم تره فخرجت فإذا هو على بطن الجارية فرجعت فأخذت شفرة فلقيها ومعها الشفرة فقال لها مهيم فقالت مهيم أما أني لو وجدتك حيث كنت لو جئتك بها قال وأين، قالت على بطن الجارية قال ما كنت قالت بلى قال فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب فقالت اقرأ فقال:

أتانا رسول الله يتلو كتابه	كما لاح منشور من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا	به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه	إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

قالت آمنت بالله وكذبت بصري قال فغدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فضحك حتى بدت نواجذه ومن المنقول عن محمد بن مسلمة عن عمر بن دينار سمع جابراً يقول قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الأشرف إنه قد أذى الله ورسوله فقال له محمد بن مسلمة أتحب أن أقتله يا رسول الله قال نعم قال إنا له يا رسول الله فائذن لي أن أقول قال قل فأتاه محمد بن سلمة فقال إن هذا الرجل قد أخذنا بالصدقة وقد عنانا وقد مللنا منه قال الخبيث لما سمعها والله لتملنه أو لتملن منه وقد علمت أن أمركم سيصير إلى هذا قال أنا لا نستطيع أن نسلمه حتى ننظر ما يفعل وأنا نكره بعد أن تبعنا حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره وقد جئت لتسلفني تمراً قال نعم على أن ترهنوني نسائكم قال محمد أنرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب قال فأولادكم قال فيعير الناس أولادنا بأنا رهناهم بوسق أو وسقين وربما قال فيسب ابن أحدنا فيقال برهن وسق أو وسقين قال فأي شيء ترهنوني قال نرهنك اللامة يعني السلاح قال نعم فواعده أن يأتيه فرجع محمد إلى أصحابه فاقبل وأقبل معه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة وجاء معه برجلين آخرين فقال أني مستمكن من رمته فإذا أدخلت يدي في رأسه فدونكم الرجل فجاؤوه ليلاً فأمر أصحابه فقاموا في ظل النخل وأتاه محمد فناداه فقالت امرأته أين يخرج هذه الساعة قال إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة فنزل إليه ملتحفاً في ثوب واحد وينفح منه ريح الطيب فقال محمد ما أحسن جسدك وأطيب ريحك قال إن عندي ابنة فلان وهي أعطر العرب قال أفتأذن لي أن أشمه قال نعم قال فأدخل محمد يده في رأسه فشمه ثم قال أتأذن لي أن أشمه أصحابي قال نعم فأدخلها في رأسه ثم شبك يده في رأسه قبضاً ثم قال لأصحابه دونكم عدو الله فخرجوا عليه فقتلوه ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره وعن عكرمة عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من أصحابي إلى رجل من اليهود ليقتله فقال يا رسول الله إني لن أستطيع ذلك إلا أن تأذن لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الحرب خدعة فاصنع ما تريد قال مؤلف الكتاب قتل وقد روينا عن الضحاك في

اغتيالهم أبا رافع اليهودي ما يقارب هذه القصة فلم نر التطويل بذكرها.

ومن المنقول عن سويبط بن سعد بن حملة وقد شهد بدراً عن وهب نب عبد الله بن زمعة قال أخبرتنا أم سملة قالت خرج أبو بكر في تجارة إلى بصرى قبل موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعام ومعه نعيمان وسويبط بن حملة وكانا قد شهدا بدراً وكان نعيمان على الزاد وكان سويبط رجلاً مزاحاً فقال النعيمان أطعمني قال حتى تجيء أبو بكر قال أما لأغيظنك قال فمروا بقوم فقال لهم سويبط أتشترون مني عبداً لي قالوا نعم قال إنه عبد له كلام وهو قائل لكم أني حر فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تفسدوا على عبدي قالوا لا بل نشتريه منك قال فاشتروه بعشر قلائص قال ثم أتوه فوضعوا في عنقه عمامة أو حبلاً فقال نعيمان إن هذا يستهزئ بكم إني حر ولست بعبد فقالوا أخبرنا بخبرك فانطلقوا به فجاء أبو بكر فأخبره بذلك فاتبع القوم فرد عليهم القلائص وأخذ نعيمان فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من حولا.

ومن المنقول عن معاوية بن أبي سفيان أخبرنا المدائني عن ربيعة ابن ناجد قال قيل لمعاوية بن أبي سفيان ما بلغ من عقلك قال ما وثقت بأحد قط وقال ثعلب نظر معاوية يوم صفين إلى إحدى جنبتي عسكره وقد مالت فلمها فاستوت ثم نظر إلى الجنبة الأخرى وقد مالت فلمحها فاستوت فقال له رجل من أصابه أهذا كنت دبرته من زمن عثمان فقال هذا والله كنت دبرته منذ زمن عمر رضى الله عنهم قال مؤلف الكتاب وبلغنا أن رجلاً جاء إلى حاجب معاوية فقال له قل له على الباب أخوك لأبيك وأمك ثم قال له ما أعرف هذا ثم قال أئذن له فدخل فقال له أي الأخوة أنت فقال ابن آدم وحواء فقال يا غلام أعطه درهماً فقال تعطى أخاك لأبيك وأمك درهما فقال لو أعطيت كل أخ لي من آدم وحواء ما بلغ إليك هذا ومن المنقول عن حذيفة بن اليمان حدثنا كعب القرظي قال قال فتى منا لحذيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض قال حذيفة دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالخندق قال اذهب فاجلس في القوم فانظر ماذا يفعلون فذهبت فدخلت في القوم والريح تفعل في جنود الله عز وجل ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا ماء فقام أبو سفيان ابن حرب فقال يا معشر قريش لينظر كل امرئ من يجالس فقال حذيفة فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت له من أنت فقال أنا فلان بن فلان ومن المنقول عن المغيرة ابن شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الخليل قال أخبرنا علي قال كان للمغيرة رمح فكنا إذا خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة خرج به معه فيركزه فيمر الناس عليه فيحملونه فقلت لئن أتيت على النبي صلى الله عليه وسلم لأخبرته فقال إنك إن فعلت لم ترفع ضالة.

حدثنا زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل المغيرة بن شعبة على البحرين فكرهوه وأبغضوه قال فعزل عنهم قال فخافوا أن يرد عليهم فقال دهقانهم إن فعلتم ما أمركم لم يرد علينا قالوا أمرنا بأمرك قال تجمعون مائة ألف درهم حتى أذهب بها إلى عمر وأقول إن المغيرة أختار هذا فدفعه لي قال فدعا عمر المغيرة فقال ما يقول هذا قال كذب أصلحك الله إنما كانت مائتي ألف قال فما حملك على ذلك قال العيال والحاجة قال فقال عمر للعلج مات قول قال لا والله لأصدقنك أصلحك الله والله ما دفع إلي قليلاً ولا كثيراً قال فقال عمر للمغيرة ما أردت إلى هذا العلج قال الخبيث كذب علي فأحببت أن أخزيه.

حدثنا مسلم ابن صبيح الكوفي قال سمعت أبي يقول خطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان الفتى طريراً جميلاً فأرسلت إليها المرأة فقالت إنكما قد خطبتماني ولست أجيب أحد منكما دون أن أراه وأسمع كلامه فأحضرا إن شئتما فحضرا فأجلستهما بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رآه المغيرة نظر إلى جماله وشبابه وهيئته يئس منها وعلم أنها لن تؤثره عليه فأقبل على الفتى فقال له لقد أوتيت جمالاً حسناً وبياناً فهل عندك سوى ذلك قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك قال ما يسقط على منه شيء وإني لاستدرك منه أدق من الخردلة فقال له المغيرة لكنني أضع البدرة في زاوية البيت فينفقها أهلي على ما يريدون فما أعلم نفادها حتى يسألوني غيرها فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب إلي من هذا الذي يحصي علي مثل صغير الخردل فتزوجت المغيرة.

ومن المنقول عن عمرو بن العاص قال ابن الكلبي لما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل على غزة فبعث إليه علجها أن أرسل إلى رجلاً من أصحابك أكلمه ففكر عمرو فقال ما لهذا العلج أحد غيري فقام حتى دخل على العلج فكلمه فسمع كلاماً لم يسمع مثله قط فقال له العلج حدثني هل من أصحابك أحد مثلك قال لا تسأل عن هواني عندهم إذا بعثوني إليك وعرضوني لما عرضوني فلا يدرون ما تصنع بي قال فأمر له بجائزة وكسوة، وبعث إلى البواب إذا مر بك فاضرب عنقه وخذ ما معه. فمر برجل من النصارى من غسان فعرفه، فقال يا عمرو قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج فرجع فقال له الملك ما ردك إلينا قال نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك ليسع بني عمي فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد قال صدقت أعجل بهم وبعث إلى البواب خلة سبيله. فخرج عمرو وهو يلتفت، حتى إذا أمن قال: لا عدت لمثلها أبداً. فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج فقال له أنت هو.. قال على ما كان من غدرك.

ومن المنقول عن خزيمة بن ثابت عن الزهري قال أخبرنا عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه أن

النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرساً من أعرابي فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم ليقضيه ثمن فرسه فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم المشي وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يعترضون الأعرابي، فيساومون الفرس لا يشعرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاعه حتى زاد بعضهم للإعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي صلى الله عليه وسلم فنادى الأعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته. فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أليس قد ابتعته منك؟ قال لا. فطفق الناس يلوذون بالنبي صلى الله عليه وسلم والأعرابي وهما يتراجعان. فطفق الإعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني قد بايعتك، فمن جاء من المسلمين قال للإعرابي ويلك إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا حقاً حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم ومراجعة الإعرابي. فطفق الإعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني قد بايعتك. فقال خزيمة أنا اشهد أنك قد بايعته. فأقبل النبي على خزيمة فقال بم تشهد، فقال بتصديقك يا رسول الله فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة بشهادة رجلين. وفي رواية أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لخزيمة لم تشهد و لم تكن معنا؟ قال: يا رسول الله أنا أصدقك بخبر السماء أفلا أصدقك بما تقول.

ومن المنقول عن الحجاج بن علاط عن معمر بن ثابت النباني قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنهم قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قال الحجاج بن علاط يا رسول الله إن لي بمكة مالاً وإن لي بها أهلاً وإني أريد أن آتيهم فأنا في حل إن أنا نلت منك أو قلت شيئاً، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه فإنهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم، وفشا ذلك بمكة فانقمع المسلمون وأظهر المشركون سروراً وفرحاً قال وبلغ الخبر العباس بن عبد المطلب فعقر وجعل لا يستطيع أن يقوم قال معمر وأخبرني عثمان الجزري عن مقسم قال فأخذ أبنا له كان يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قم واستلقي، فوضعه على صدره وجعل يقول حبي قثم ذي الأنف الأشم ثم أرسل غلاماً له إلى الحجاج بن علاط فقال له ويلك ماذا جئت به وماذا تقول ما وعد الله خير مما جئت به قال فقال الحجاج بن علاط اقرأ علي ابن الفضل السلام وقل له ليخل لي في بعض بيوته لأتيه فإن الخبر على ما يسره. قال فجاء غلامه فلما بلغ الباب قال ابشر يا أبا الفضل. قال فوثب العباس فرحاً حتى قبل بين عينيه فأخبره ما قال الحجاج فاعتقه. قال ثم جاء الحجاج فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افتتح خيبر وغنم أموالهم وجرت سهام الله في أموالهم واصطفى صفية بنت حيي واتخذها لنفسه خيرها أن يعتقها وتكون زوجة أو تلحق بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجة ولكني جئت لما لي كان ههنا أردت أن أجمعه فاذهب به، فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لي أن

أقول ما شئت فأخف عني ثلاثاً ثم أذكر ما بدا لك قال فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي ومتاع فدفعته إليه ثم انشمر به فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال ما فعل زوجك فأخبرته أن قد ذهب يوم كذا وكذا وقالت لا يحزنك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك قال أجل لا يحزنني الله، و لم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا، فتح الله خيبر على رسوله، وجرت سهام الله في أموالهم واصطفى رسول الله صفية لنفسه فإن كان لك حاجة في زوجك فالحقي به. قالت أظنك والله صادقاً، قال فإني والله صادق والأمر على ما أخبرتك. قال ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم لا يصيبك إلى خير يا أبا الفضل. قال لم يصبني إلى خير بحمد الله لقد أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله وجرت سهام الله فيهم واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه. وقد سألني أن أخفي عنه ثلاثاً وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء ههنا ثم ذهب. فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين وخرج المسلمون ممن كان دخل بيته مكتئباً حتى دخل أبو الفضل العباس فأخبرهم الخبر فسر المسلمون ورد الله تعالى ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين.

ومن المنقول عن نعيم بن مسعود قال أخبرنا ابن اسحق قال بينما الناس على خوفهم يوم الأحزاب أتى نعيم بن مسعود رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني رجل عن عبد الله بن كعب بن مالك قال جاء نعيم بن مسعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني قد أسلمت و لم يعلم بي أحد من قومي، مرني أمرك. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنت منا رجل واحد فحدث عنا ما استطعت فإنما الحرب خدعة. فانطلق نعيم حتى أتى بني قريظة فقال لهم يا معشر قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، إني لكم نديم وصديق، قد عرفتم ذلك، قالوا صدقت. قال تعلمون والله ما أنتم وقريش وغطفان من محمد بمنزلة واحدة، إن البلد لبلدكم به أموالكم ونساءكم وأبنائكم، وإن قريشاً وغطفان بلادهم غيرها، وإنما جاؤوا حتى نزلوا معكم فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم وخلوا بينكم وبين الرجل فلا طاقة لكم به، فإن هم فعلوا ذلك فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم تستوثقون به ولا تبزحوا حتى تناجزوا محمد. فقالوا لقد أشرت برأي ونصح، ثم ذهب إلى قريش فأتى أبا سفيان وأشراف قريش فقال يا معشر قريش، إنكم قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمد أو دينه، وإني قد جئتكم بنصيحة فاكتموا علي. فقالوا نفعل ما أنت عندنا بمتهم فقال تعلمون أن بني قريظة من يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد بعثوا إليه إلا يرضيك أن نأخذ لك من القوم رهناً من أشرافهم فندفعهم إليك فنضرب أعناقهم ثم نكون معك حتى نخرجهم من بلادك فقال بلى فإن بعثوا إليكم يسألونكم نفراً من رجالكم فلا تعطوهم قد علمتم أني رجل

منكم قالوا صدقت فقال لهم كما قال لهذا الحي من قريش فلما أصبحوا بعث إليهم أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش أن أبا سفيان يقول كلم يا معشر يهود إن الكراع والخف قد هلكا إنا لسنا بدار مقام فاخرجوا إلى محمد حتى نناجزه فبعثوا إليه أن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم نستوثق بهم، لا تذهبوا وتدعونا حتى نناجز محمداً فقال أبو سفيان قد ولله حذرنا نعيم فبعث إليهم أبو سفيان أنا لا نعطيكم رجلاً واحداً فإن شئتم تخرجوا فتقاتلوا وإن شئتم فاقعدوا فقالت يهود هذا ولله الذي قال لنا نعيم والله ما أراد القوم إلا أن يقاتلوا محمداً فإن أصابوا فرصة انتهزوها وإلا مضوا إلى بلادهم وخلوا بيننا وبين الرجل فبعثوا إليهم إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً فأبوا فبعث الله تعالى الريح على أبي سفيان وأصحابه وغطفان فخذلهم الله عز وجل.

ومن المنقول عن الأشعب بن قيس عن الهيثم بن عدي قال أخبرنا ابن عباس قال خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على الحسن ابنه أم عمران بنت سعيد بن قيس الهمداني فقال فوقى أمير ذو إمرة يعنى أمها فقال قم فأمرها فخرج من عنده ولقيه الأشعث بن قيس بالباب فأخبره الخبر فقال ما تريد إلى الحسن يفخر عليها ولا ينصفها ويسيء إليها فيقول ابن رسول الله وابن أمير المؤمنين ولكن هل لك في ابن عمها فهي له وهو لها قال ومن ذلك قال محمد بن الأشعث قال قد زوجته ودخل الأشعث على أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين خطبت على الحسن ابنة سعيد قال نعم قال فهل كل في أشرف منها بيتاً وأكرم منها حسباً وأتم منها جمالاً وأكثر مالاً قال ومن هي قال جعدة بنت الأشعث بن قيس قال قد قاولنا رجلاً قال ليس إلى ذلك الذي قاولته سبيل قال إنه قد فارقني ليوامر أمها فقال قد زوجها من محمد بن الأشعث قال متى قال الساعة بالباب قال فزوج الحسن جعدة فلما لقي سعيد الاشعث قال يا أعور خدعتني قال أنت أعور خبيث حيث تستشيرني في ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألست أحمق ثم جاء الأشعث إلى الحسن فقال يا أبا محمد ألا تزور أهلك فلما أراد ذلك قال لا تمشي والله إلا على اردية قومي فقدمت له كندة سماطين وجعلت له أرديتها من بابه إلى باب الأشعث! ومن المنقول عن وحشي بن حرب عن بعد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار قال حدثنا جعفر بن عمر والضمري قال خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار قال حدثنا جعفر بن عمر والضمري قال خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار فقال لي هل لك في وحشي فجئنا حتى وقفنا عيه فسلمنا فرد السلام وعبيد الله معتجر بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه فقال عبد الله يا وحشي أتعرفني فنظر إليه ثم قال لا والله على

أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة فولدت له غلاماً فاسترضعه فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه فكأني نظرت إلى قدميه.

الباب التاسع

في سياحة المنقول من ذلك عن الخلفاء

رضي الله عنهم

قال مؤلف الكتاب قد ذكرنا طرفاً عن أبي بكر الصديق وعمر وعلي والحسن والحسين ومعاوية وابن الزبير ونحن نذكر طرفا مما نقل إلينا عمن بعدهم من الخلفاء والله الموفق فمن المنقول عن عبد الملك بن مروان أخبرنا ابن أخي الأصمعي عن عمه قال وجه عبد الملك بن مروان عامر الشعبي إلى ملك الروم في بعض الأمر له فاستكثر الشعبي فقال له من أهل بيت الملك أنتَ قال لا فلما أراد الرجوع إلى عبد الملك حمله رقعة لطيفة وقال إذا رجعت إلى صاحبك أبلغته جميع ما يحتاج إلى معرفته من ناحيتنا فادفع إليه هذه الرقعة فلما صار الشعبي إلى عبد الملك ذكر ما أحتاج إلى ذكره ونهض من عنده فلما خرج ذكر الرقعة فرجع فقال يا أمير المؤمنين أنه حملني إليك رقعة نسيتها حتى خرجت وكانت في آخر ما حملني فدفعها إليه ونهض فقرأها عبد الملك قال فأمر برده فقال أعلمت ما في هذه الرقعة قال فيها عجبت من العرب كيف ملكت غير هذا أفتدري لم كتب إلي بمثل هذا فقال لا فقال حسدني عليك فأراد أن يغريني بقتلك فقال الشعبي لو كان رآك يا أمير المؤمنين ما تسكثرني فبلغ ذلك ملك الروم ففكر في عبد الملك فقال لله أبوه والله ما أردت إلا ذلك! ومن المنقول عن هشام بن عبد الملك قال هشام لمؤدب ولده إذا سمعت منه الكلمة العوراء في المجلس بين جماعة فلا تؤنبه لتخجله وعسى أن ينصر خطاه فيكون نصر للخطأ أقبح من ابتدائه به ولكن احفظها عليه فإذا خلا فرده عنها ومن المنقول عن السفاح أخبرنا سعيد الباهلي عن أبيه قال حدثني من حضر مجلس السفاح وهو أحسد ما كان لبني هاشم والشيعة ووجوه الناس فدخل عبد الله بن حسين بن حسن ومعه مصحف فقال يا أمير المؤمنين أعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف فأشفق الناس أن يجعل السفاح بشيء إليه ولا يريدون ذلك في شيخ بنى هاشم أو يعيا لجوابه فيكون ذلك نقصاً عليه وعارا فأقبل إليه غير مغضب ولا مترعج فقال أن جدك علياً كان خيراً مني وأعدل ولي هذا الأمر فأعطى جديك الحسن والحسين وكانا خيراً منك شيئاً وكان الواجب أن أعطيك مثله فإن كنت فعلت فقد أنصفتك وإن كنت زدتك فما هذا جزائي منك فما رد عبد الله إليه جواباً وانصرف والناس يعجبون من جوابه له.

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي قال أول خطبة خطبها السفاح في قرية يقال لها العباسية فلما صار إلى موضع الشهادة من الخطبة قال رجل من آل أبي طالب في عنقه مصحف فقال أذكرك الله الذي ذكرته إلا أنصفتني من خصمي وحكمت بيني وبينه بما في هذا المصحف فقال له ومن ظلمك قال أبو بكر الذي منع فاطمة فدكا قال وهل كان بعده أحد قال نعم من قال عمر قال على ظلمكم قال نعم قال وهل كان بعده أحد قال نعم قال من قال عثمان قال وأقام على ظلمكم قال نعم قال وهل كان بعده أحد قال نعم قال علي قال وأقام على ظلمكم قال فاسكت الرجل وجعل يلتفت إلى ورائه يطلب مخلصاً فقال له والله الذي لا إله إلا هو لولا أنه أول مقام قمته ثم لم أكن تقدمت إليك في هذا قبل لأخذت الذي فيه يعناك أقعد وأقبل على الخطبة! ومن المنقول عن المنصور قال إسماعيل بن محمد قال دخل ابن هرمة على أبي جعفر فانشده فقال سل حاجتك قال تكتب إلى عاملك بالمدينة متى وجدني سكران لا يحدني قال هذا حد ولا سبيل إلى إبطاله قال مالي حاجة غير ذلك قال أكتب إلى عاملنا بالمدينة من أتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده ثمانين واجلد الذي جاء به مائة قالة فكان الشرطة يعمرون به وهو سكران فيقول من يشتري ثمانين بمائة فيمرون ويتركونه وبلغنا عن المنصور أنه جلس في إحدى قباب مدينته فرأى رجلاً ملهوفاً مهموماً يجول في الطرقات فأرسل من أتاه به سأله عن حاله فأخبره الرجل أنه خرج في تجارة فأفاد مالاً وأنه رجع بالمال إلى مترله فدفعه إلى أهله فذكرت امرأته أن المال سرق من بيتها و لم تر نقباً ولا تسليقاً فقال له المنصور منذ كم تزوجتها قال منذ سنة قال أفبكروا تزوجتها قال لا قال فلها ولد من سواك قالا قال فشبابة هي أم مسنة قال بل حديثة فدعا له المنصور بقارورة طيب كان تخذه له حاد الرائحة غريب النوع فدفعها إليه وقال له تطيب من هذا الطيب فإنه يذهب همك فلما خرج الرجل من عند المنصور قال المنصور لأربعة من ثقاته ليقعد على كل باب من أبواب المدينة واحد منكم فمن مر بكم فشممتم منه رائحة هذا الطيب وأشمهم منه فليأتني به وخرج الرجل بالطيب فدفعه إلى امرأته وقال لها وهبه لي أمير المؤمنين فلما شمته بعثت إلى رجل كانت تحبه وقد كانت دفعت المال إليه فقالت له تطيب من هذا الطيب فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجي فتطيب منه الرجل ومن مجتاز ببعض أبواب المدينة فشم الموكل بالباب رائحة الطيب منه فأخذه مجتازاً ببعض أبواب المدينة فشم الموكل بالباب رائحة الطيب منه فأخذه فأتى به المنصور فقال له المنصور من أين استفدت هذا الطيب فإن رائحته غريبة معجبة قال اشتريته قال أخبرنا ممن اشتريته فتلجلج الرجل وخلط كلامه فدعا المنصور صاحب شرطته فقال له خذ هذا الرجل إليك فإن أحضر كذا وكذا من الدنانير فخله يذهب حيث شاء وأن امتنع فاضربه ألف سوط من غير مؤامرة فلما خرج من عنده دعا صاحب شرطته فقال هول عليه وجرده ولا تقدمن بضربه حتى

تؤامرني فخرج صاحب شرطته فلما جرده وسجنه أذعن برد الدنانير وأحضرها بهيئتها فاعلم المنصور بذلك فدعا صاحب الدنانير فقال له رأيتك إن رددت عليك الدنانير بهيئتها أتحكمني في امرأتك قال نعم قال فهذه دنانيرك وقد طلقت المرأة عليك وخبره خبرها عن يعقوب بن جعفر أنه قال ومما يعرف ويؤثر من ذكاء المنصور أنه دخل مدينة فقال للربيع اطلب لي رجلاً يعرفني دور الناس فإني أحب أن أعرف ذلك فجاء برجل يعرفه إلا أنه لا يبدؤه حتى يسأله المنصور فلما فارقه أمر له بألف درهم فطالب بها الرجل الربيع فقال ما قال لي شيئاً وأنا أهب لك ألفاً من عندي وسيركب فاذكر فركب معه فجعل يعرفه الدور ولا يرى موضعاً للكلام فلما أراد المنصور أن يفارقه قال له الرجل شعر:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم ... مذق اللسان يقول ما لا يفعل

ثم إنه أراد الإمضاء فضحك وقال يا ربيع أعطه الألف درهم الذي وعدته وألفاً آخر وعن مبارك الطبري قال سمعت أبا عبيد الله تقول خلا أبو جعفر يوماً مع يزيد بن أبي أسيد فقال يا يزيد بن أبي أسيد فقال يا يزيد ما ترى في قتل أبي مسلم فقال أرى أن تقتله وتقرب إلى الله بدنة فوالله لا يصفوا ملكك ولا تهنأ بعيش ما بقي فنفر مني بقرة ظننت أنه سيأتي على ثم قال قطع الله لسانك واشمت بك عدوك أتشير علي بقتل انصر الناس لنا وأثقلهم على عدونا أما والله لولا حفظي لما سلف منك وأن أعدها هفوة من هفواتك لضربت عنقك قم لا أقام الله رجليك قال فقمت وقد أظلم بصري وتمنيت أن تسيخ الأرض بي فلما كان بعد قتله قال لي يا يزيد أتذكر يوم شاورتك قلت نعم قال فوالله لقد كان ذلك رأياً وما لا شك فيه ولكن خشيت أن يظهر منك فتفسد مكيدتي ومن المنقول عن المهدي عن القاسم بن محمد بن خلاد عن علي بن صالح قال كنت عند المهدي ودخل عليه شريك بن عبد الله القاضي فأراد أن يبخره فقال الخادم بالعود الذي يلهى به فوضعه في حجر شريك فقال شريك ما هذا يا أمير المؤمنين قال هذا أخذه صاحب العسس البارحة فأحببت أن يكون كسره على يد القاضي فقال جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين فكسره ثم أفاضوا في حديث حتى نسى الأمر ثم قال المهدي لشريك ما تقول في رجل أمر وكيلاً له أن يأتي بشيء بعينه فأتى بغيره فتلف ذلك الشيء فقال يضمن يا أمير المؤمنين فقال للخادم أضمن ما تلف بقضيته.

ومن المنقول عن محمد بن الفضل قال أخبرنا بعض أهل الأدب عن حسن الوصيف قال قعد المهدي قعوداً عاماً للناس فدخل رجل وفي يده نعل ملفوفة في منديل فقال يا أمير المؤمنين هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهديتها لك فقال هاتها فدفعها إليه فقبل باطنها ووضعها على عينيه وأمر للرجل بعشرة

آلاف درهم فلما أخذها وانصرف قال لجلسائه أترون أني لم أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرها فضلاً عن أن يكون لبسها ولو كذبناه قال للناس أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها علي وكان من يصدقه أكثر ممن يدفع خبره إذا كان من شأن العامة ميلها إلى أشكالها والنصرة للضعيف على القوى وإن كان ظالماً اشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدقنا قوله ورأينا الذي فعلنا انجح وارجح ومن المنقول عن المأمون رحمه الله قال المبرد حدثني عمارة بن عقيل قال ابن أبي حفصة الشاعر أعلمت أن أمير المؤمنين يعني المأمون لا يبصر الشعر فقلت من ذا يكون أفرس منه وأنا لننشداول البيت فيسبق آخره من غير أن يكون سمعه قال فإني أنشدته بيتا أجدت فيه فلم أره تحرك له وهذا البيت فاسمعه.

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا بالدين والناس بالدنيا مشاغيل فقلت له ما زدته على أن جعلته عجوزا في محرابها في يدها مسبحة فمن يقوم بأمر الدنيا إذا كان مشغولاً عنها وهو المطوق لها إلا قلت كما قال عمك جرير لعبد العزيز بن الوليد.

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

قال مؤلف الكتاب وبلغنا أن حسنا اللؤلؤي كان يحدث المأمون والمأمون يومئذ أمير فنعس المأمون فقال له اللؤلؤي نمت أيها الأمير فاستيقظ المأمون وقال سوقى والله يا غلام خذ بيده قال مؤلف الكتاب قلت وإنما قال ذلك لأن هؤلاء إنما يريدون الحديث ليناموا عليه فكان إيقاظه غفلة عما يراد من الحديث وسوء أدب ومن المنقول عن المعتضد بالله عن أبي عبد الله محمد بن حمدون قال لي المعتضد بالله ليلة وقد قدم له عشاء لقمني وكان الذي قدم له فراريج ودراريج فلقمته من صدر فروج فقال لا لقمني من فخذه فلقمته لقماً ثم قال هات من الدراريج فلقمته من أفخاذها فقال ويلك هوذا تتنادر علي هات من صدورها فقلت يا مولاي ركبت القياس فضحك فقلت إلى كم أضحكك ولا تضحكني قال فشل المطرح وخذ ما تحته قال فشلته فإذا دينار واحد فقلت آخذها قال نعم فقلت بالله هو ذا تتنادر أنت الساعة على خليفة يجيز نديمه بدينار فقال ويلك لا أحد لك في بيت المال حقاً أكثر من هذا ولا تسمح نفسي أن أعطيك من مالي شيئاً ولكن هو ذا احتال لك بحيلة تأخذ فيها خمسة آلاف دينار فقبلت يده فقال إذا كان غد وجاءني القاسم يعني ابن عبيد الله فهو ذا إسارك خبر تقع عيني عليه سراراً طويلاً التفت فيه إليك كالمغضب وأنظر أنت إليه من خلال ذلك كالمتخالس لي نظر المترائي فإذا خرجت خاطبك جميل وأخذك إلى دعوته ويسألك عن حالك فاشك الفقر والخلة وقلة حظك مني وثقل ظهرك بالدين والعيال وخذ ما

يعطيك واطلب كل ما تقع عينك عليه فإنه لا يمنعك حتى تستوفي الخمسة آلاف دينار فإذا أخذها فيسألك عما جرى بيننا فاصدقه وإياك أن تكذبه وعرفه أن ذاك حيلة مني عليه حتى وصل إليك هذا وحدثه كله بالحديث كله على شرحه وليكن أخبارك إياه بذلك بعد امتناع شديد وإحلاف منه بالطلاق والعتاق أن تصدقه وبعد أن تخرج من داره كل ما يعطيك إياه تجعله في بيتك فلما كان الغد حضر القاسم فحين رآه ابتدأ يسارني وجرت القصة على ما وضعني عليه فخرجت فإذا القاسم في الدهليز ينتظرني فقال يا أبا محمد ما هذا الجفاء لا تجيئني ولا تزورني ولا تسألني حاجة فاعتذرت إليه باتصال الخدمة علي ما يقنعني إلا أن تزورني اليوم وتتفرج فقلت أنا خادم الوزير فأخذني إلى طيارة وجعل يسألني عن حلي وأخباري وأشكو إليه الخلة والإضاقة والدين والبنات وجفاء الخليفة وإمساك يده ويتوجع ويقول يا هذا مالي لك ولن نضيف عليك ما يتسع على أن نجاوزك نعمة حصلت لي لو عرفتني لعاونتك على إزالة هذا كله عنك فشكرته وبلغنا داره فصعد و لم ينظر في شيء وقال هذا يوم احتاج أن اختص فيه بالسرور بأبي محمد فلا يقطعني أحد عنه وأمر كتابه بالتشاغل بالأعمال ولها بي في دار الخلوة وجعل يحادثني ويبسطني وقدمت الفاكهة فجعل يلقمني بيده وجاء الطعام فكان هذا سبيله فلما جلس للشرب وقع لي بثلاثة آلاف دينار فأخذها للوقت وأحضر ثياباً وطيباً ومركوباً فأخذت ذلك كله وما بين يدي صينية فضة فيها مغسل فضة وخردادي بلوروكوز وقدح بلور فأمر بحمله إلى طيارتي وأقبلت كلما رأيت شيئاً حسناً له قيمة وافرة طلبته وحمل إلى فرشا نفسياً وقال هذا للبنات فلما تقوض أهل المجلس خلا بي وقال يا أبا محمد أنت عالم بحقوق أبي عليك ومودتي لك فقلت أنا خادم الوزير فقال أريد أن أسألك عن شيء وتحلف لي أنك تصدقني عنه فقلت السمع والطاعة فأحلفني بالله وبالطلاق والعتاق على الصدق ثم قال لي بأي شيء سارك الخليفة اليوم في أمري فصدقته عن كل ما جرى حرفاً بحرف فقال فرجت عني ولكون هذا هكذا مع سلامة نيته أسهل علي فشكرته وانصرفت إلى بيتي فلما كان من الغد باكرت المعتضد بالله فقال هات حديثك فسقته عليه فقال احفظ الدنانير ولا يقع لك أني أعمل مثلها بسرعة.

أنبأنا أبو بكر بن محمد بن عبد الباقي عن القاسم علي بن المحسن عن أبيه قال بلغني أن المعتضد بالله كان يوماً جالساً في بيت يبنى له يشاهد الصناع فرأى في جملتهم غلاماً أسود منكر الخلقة شديد المزح يصعد على السلاليم مرقاتين مرقاتين ويحمل ضعف ما يحملونه فأنكر أمره فأحضره وسأله عن سبب ذلك فلجلج فقال لابن حمدون وكان حاضراً أي شيء يقع لك في أمره فقال ومن هذا حتى صرفت فكرك إليه ولعله لا عيال له فهو خالي القلب قال ويحك قد خمنت في أمره تخميناً ما أحسبه باطلاً إما أن يكون معه دنانير قد ظفر بها دفعة من غير وجهها أو يكون لصاً يتستر بالعلم في الطين فلاحاه ابن حمدون في ذلك

فقال علي بالأسود فأحضر، وقال مقارع فضربه نحو مائة مقرعة وقرره وحلف أن لم يصدقه ضرب عنقه وأحضر السيف والنطع فقال الأسود لي الأمان فقال لك الأمان إلا ما يجب عليك فيه من حد فلم يفهم ما قال له وظن أنه قد أمنه فقال أنا كنت أعمل في اتاتين الآجر سنين وكنت منذ شهور هناك جالساً فاجتاز بي رجل في وسطه هميان فتبعه فجاء إلى بعض الأتاتين فجلس وهو لا يعلم مكاني فحل الهميان وأخرج منه ديناراً فتأملته فإذا كله دنانير فثاورته وكتفته وسددت فاه وأخذت الهميان وحملته على كتفي وطرحته في نقرة الأتون وطينته فلما كان بعد ذلك أخرجت عظامه فطرحتها في دجلة والدنانير معي يقوي بها قلبي فأمر المعتضد من أحضر الدنانير من مترله وإذاً على الهميان مكتوب لفلان بن فلان فنودي في البلدة باسمه فجاءت امرأة قال هذا زوجي ولي منه هذا الطفل خرج في وقت كذا ومعه هميان فيه ألف دينار فغاب إلى الآن فسلم الدنانير إليها وأمرها أن تعتد وضرب عنق الأسود وأمر أن تحمل جثته إلى الأتون.

قال المحسن وبلغني أن المعتضد بالله قام في الليل لحاجة فرأى بعض الغلمان المردان قد نهض من ظهر غلام أمرد ودب على أربعته حتى اندس بين الغلمان فجاء المعتضد فجعل يضع يده على فؤاد واحد بعد واحد إلى أن وضع يده على فؤاد ذلك الفاعل فإذا به يخفق خفقاناً شديداً فركزه برجله فقعد واستدعى آلات العقوبة فاقر فقتله قال المحسن وبلغنا عن المعتضد بالله أن خادماً من خدمه جاء يوماً فأخبره أنه كان قائماً على شاطئ الدجلة في دار الخليفة فرأى صياداً وقد طرح شبكته فثقلت بشيء فجذبها فأخرجها فإذا فيها جراب وأنه قدره مالاً فأخذه وفتحه فإذا فيه آجر وبين الآجر كف مخضوبة بحناء قال فأحضر الجراب والكف والأجر فهال المعتضد ذلك وقال قل للصياد يعاود طرح الشبكة فوق الموضع وأسفله وما قاربه قال ففعل فخرج جراب آخر فيه رجل قال فطلبوا فلم يخرج شيء آخر فاغتم المعتضد فقال معي في البلد من يقتل إنساناً ويقطع أعضاؤه ويفرقه ولا أعرف به ما هذا ملك قال وأقام يومه كله ما طعم طعاماً فلما كان من الغد أحضر ثقة له وأعطاه الجراب فارغاً وقال له طف به على كل من يعمل الجرب ببغداد فإن عرفه منهم رجل فسله على من باعه فإذا دلك عليه فسله المشتري من اشتراه منه على خبره أحدا قال فغاب الرجل وجاءه بعد ثلاثة أيام فزعم أنه لم يزل في الدباغين وأصحاب الجرب إلى أن عرف صانعه وسأل عنه فذكر أنه باعه على عطار بسوق يحيى وأنه مضى إلى العطار وعرضه عليه فقال ويحك كيف وقع هذا الجراب في يدك فقلت أو تعرفه فقال نعم اشترى مني فلان الهاشمي منذ ثلاثة أيام عشرة جرب لا أدري لأي شيء أرادها وهذا منها فقلت له ومن فلان الهاشمي فقال رجل من ولد على بن ريطه من ولد المهدي يقال له فلان عظيم إلا أنه شر الناس وأظلمهم وأفسدهم لحرم المسلمين وأشدهم تشوقاً إلى

مكايدهم وليس في الدنيا من ينهي خبره إلى المعتضد خوفاً من شره ولفرط تمكنه من الدولة والمال و لم يزل يحدثني وأنا أسمع أحاديث له قبيحة إلى أن قال فحسبك أنه كان يعشق منذ سنين فلانة المغنية جارية فلانة المغنية وكانت كالدينار المنقوش وكالقمر الطالع في غاية حسن الغناء فساوم مولاتها فيها فلم تقاربه فلما كان منذ أيام بلغه أن سيدتها تريد بيعها على مشتر قد حضر بذل فيها ألوف دنانير فوجه إليها لا أقل من أن تنفذيها إلى لتودعني فأنفذتها إليه بعد أن أنفذ إليها حذرها لثلاثة أيام فلما انقضت الأيام الثلاثة غصبها عليها وغيبها عنها فما يعرف لها خبر وادعى أنها هربت من داره وقالت الجيران أنه قتلها وقال قوم لا بل هي عنده وقد أقامت سيدتها عليها المأتم وجاءت وصاحت على بابه وسودت وجهها فلم ينفعها شيء فلما سمع المعتضد سجد شكراً لله تعالى على انكشاف الأمر له وبعث في الحال من كبس على الهاشمي وأحضر المغنية وأخرج اليد والرجل إلى الهاشمي فلما رآهما انتقع لونه وأيقن بالهلاك واعترف فأمر المعتضد بدفع ثمن الجارية إلى مولاتها من بيت المال وصرفها ثم حبس الهاشمي فيقال أنه قتله ويقال مات في الحبس.

قال عبد الله محمد بن أحمد بن حمدون قال كنت قد حلفت وعاهدت الله أن لا أعقد مالا من القمار وأنه لا يقع في يدي منه شيء إلا صرفته في ثمن شمع يحترق أو نبيذ يشرب أو جذر مغنيه فجلست يوماً ألاعب المعتضد فقمرته بسبعين ألف درهم فنهض المعتضد يصلي قبل العصر ركعتان من قبل أن يأمر لي بها فجلست أفكر وأندم على ما حلفت عليه وقلت كم اشترى من هذه السبعين ألف شمعاً وشراباً وكم أجذر وما كانت هذه العجلة في اليمين ولو لم أكن حلفت كنت الآن قد اشتريت بها ضيعة وكانت اليمين بالطلاق والعتاق وصدقة الملك فلما سلم من السجود قال لي في أي شيء تفكرت فقلت خير فقال بحياتي أصدقني فصدقته فقال وعندك أني أريد أن أعطيك سبعين ألفاً من القمار فقلت أفتصغر قال نعم قد صعرت قم ولا تفكر في هذا قال ودخل في صلاة الفرض فلحقني الغم أعظم من الأول وندمت على فوت المال وجعلت ألوم نفسي لم صدقته فلما فرغ من صلاته قال لي يا أبا عبد الله بحياتي أصدقني عن هذا الفكر الثاني فصدقته فقال أما القمار فقد قلت أني صغرت ولكني أهب لك سبعين ألفاً من مالي ولا يكون على إثم في دفعها إليك وعليك إثم في أخذها وتخرج من يمينك فتشتري بها ضيعة حلالاً فقبلت يده وأخذت المال فاعتقدت به ضيعة والله أعلم .

الباب العاشر

في سياق المنقول من ذلك عن الوزراء

قال ابن الموصلي حدثني أبي قال أتيت يحيي بن خالد بن برمك فشكوت إليه ضيقة اليد فقال ويحك وما أصنع بك ليس عندنا في هذا الوقت شيء ولكن عليك ههنا أمر أدلك عليه فتكن فيه رجلاً قد جاءني خليفة صاحب مصر يسألني أن أستهدي صاحبه شيئاً وقد أبيت ذلك فالح علي وقد أبلغني أنك قد أعطيت بجاريتك فلانة آلاف دنانير فهو ذا استهديه إياها وأخبره أنها قد أعجبتني وإياك أن تنقصها ثلاثين ألف دينار فلم يزل يساومني حتى بذل لي عشرين ألف دينار فلما سمعتها ضعف قلبي عن ردها فبعتها وقبضت العشرين ألفاً، ثم صرت إلى يحيى بن خالد، فقال لي كيف صنعت في بيعك الجارية؟ فأخبرته فقلت والله ما ملكت نفسي أن أجبت إلى العشرين ألفاً حين سمعتها. فقال: إنك لخسيس وهذا خليفة صاحب فارس قد جاءني في مثل هذا فخذ جاريتك فإذا ساومك فلا تنقصها من خمسين ألف دينار فإنه لا بد أن يشتريها منك بذلك. قال فجاءني الرجل فاستمعت عليه خمسين ألف دينار فلم يزل يساومني حتى أعطاني ثلاثين ألف دينار فضعف قلبي عن ردها و لم أصدق بها فأوجبتها له بها ثم صرت إلى يحيى ابن خالد فقال لي بكم بعت الجارية فأخبرته، فقال لي ويحك ألم تؤدبك الأولى عن الثانية قلت ضعفت والله عن رد شيء لم أطمع فيه. فقال هذه جاريتك فخذها إليك. قال فقلت جارية أفدت بها خمسين ألف دينار ثم أملكها أشهدك أنها حرة وأني قد تزوجتها.

أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى النديم قال: قال يحيى بن خالد ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها: الهدية والكتاب والرسول. وبلغنا أن المنصور كان يعجب بيحيى بن خالد ويجود رأيه وكان يقول ولد الآباء أبناء وولد خالد ابن برمك آباء. وكان يحيى يقول لابنه جعفر يا بني خذ من كل أدب طرفا فإنه من جهل شيئاً عاداه وأنا أكره أن تكون عدو الشيء من الأدب. وكان يقول من بلغ رتبه فتاه فيها أخبر أن محله دونها. وقال له رجل والله لانت أحلم من الأحنف. فقال ما نقرب إلى ما أعطاني فوق حقي وبلغنا عن الرشيد أنه رأى يوماً في داره حزمة خيزران فقال له لوزيره الفضل بن الربيع ما هذه؟ فقال عروق الرماح يا أمير المؤمنين، و لم يرد أن يقول الخيزران لموافقته اسم أم الرشيد. وقال الفضل إياكم ومخاطبة الملوك بما يقتضي الجواب فإنهم أن أجابوكم شق عليهم وأن لم يجيبوكم شق عليكم. قال ثعلب: قلت للحسن بن سهل وقد كثر عطاؤها على اختلال حاله ليس في السرف خير، فقال: بل ليس في الخير سرف. فرد اللفظ واستوفى المعنى ورأى الفتح بن خاقان في لحية المتوكل شيئاً فلم يمسه بيده، ولا قال له شيئاً، ولكنه نادى يا غلام مرآة أمير المؤمنين فجيء بها. فقال بل بها وجه حتى أخذ ذلك الشيء بيده.

حدثنا أبو علي بن مقلة قال: كنت أكتب لأبي الحسن بن الفرات أخدم بين يديه فأول شيء برزق عشرة دنانير في كل شهر وهو يخلف أخاه في ديوان السواد ثم زادت حاله فرقاني إلى ثلاثين ديناراً في كل شهر، فكنت كذلك معه إلى أن تقلد الوزارة الأولى فحصل رزقي خمسمائة دينار في كل شهر، ثم أمر بقبض ما

في دور المخالفين الذين بايعوا ابن المعتز وكانت أمتعتهم تقبض وتحمل إليها فيراها وينفذها إلى خزائن المقتدر. فجاؤوه يوماً بصندوقين، فقالوا له: هذان وجدناهما في دار ابن المعتز، فقال: أفعلمتم ما فيهما؟ قالوا نعم جرائد من بايعه من الناس بأسمائهم وأنسابهم فقال لا تفتح ثم قال: يا غلمان هاتوا ناراً فجاء الفراشون بفحم وأمرهم فأججوا النار، وأقبل علي وعلى من كان حاضراً، فقال والله لو رأيت من هذين الصندوقين ورقة واحدة لظن كل من له فيها اسم أني قد عرفته فتفسد نيات العالم كلهم علي وعلى الخليفة وما هذا رأي حرقوهما، قال فطرحا بأقفالهما في النار فلما احترقا بحضرته أقبل علي فقال يا أبا علي قد أمنت كل من جنى وبايع ابن المعتز وأمرني الخليفة بأمانة فأكتب للناس للأمان مني ولا يلتمس منك أحد أماناً كائناً من كان إلا كتبته له وجئني به لا وقع فيه فقد أفردتك لهذا العمل. ثم قال لمن حضر أشيعوا ما قلته حتى يأنس المستترون بأبي علي ويكاتبونه في طلب الأمان فشكرناه ودعت الجماعة له وشاع الخبر وكتبت الأمانات فكتب في ذلك مائة ألف أو نحوها.

حدثنا ابن المحسن عن أبيه قال سمعت أبا القاسم الحسن بن علي بن مقلة يقول: كان أبو علي بن مقلة يوماً يأكل فلما رفعت المائدة ففتح الدواة واستمد منها نقطة على الصفرة حتى لم يبق لها أثر وقال ذاك أثر شهوة، وهذا أثر صناعتي، ثم أنشد:

إنما الزعفران عطر العذارى ومداد الدواة عطر الرجال

قال أبو بكر الصولي: قال لي المكتفي بالله وقد أنشدته أنت أشعر من فلان فقلت لأنعامك على ترى ذلك والأقفلان أشعر مني، فلما خرجنا قال لي القاسم بن عبيد الله رددت على أمير المؤمنين لأنه قال شيئاً فقلت لا فقلت من أين لي هذا الفهم، وذكر أن ملكاً كانت أسراره تظهر كثيراً إلى عدوه فيبطل تدبيره على العدو فبلغ ذلك منه فشكا إلى أحد نصحائه وقال له أن جماعة يطلعون على أسرار لي لا بد من إظهارها لهم ولست أدري أيهم يظهرها وأكره أن أنال البريء منهم بما يستحق الخائن فدعا بكتاب فكتب فيه أخباراً من أخبار المملكة وجعلها كذباً كلها ثم دعا برجل، رجل كل واحد دون صاحبه ممن كان يفشي الملك إليه سره فقال للملك أخبر كل واحد منهم بخبر على حدة لا يظهر عليه سائر أصحابه وأمر كل واحد بستر ما أسررت إليه وأكتب على كل خبر اسم صاحبه فلم يلبث أن أظهر الخونة ما أفشى إليهم وانكتمت أخبار الناصحين فعرف الملك من يفشي سره فحذره. قيل رفعت إلى فخر الملك وزير السلطان قصة رجل سعى برجل فكتب عليها السعاية قبيحة وإن كانت نصيحة فإن كنت أخرجتها بالنصح فخسرانك فيها أكثر من الربح، وأنا لا أدخل في محظور ولا أسمع قول مهتوك في مستور ولولا

أنك في خفارة شيبتك لقابلتك على جريرتك مقابلة تشبه أفعالك وتردع أمثالك فاستر على نفسك هذا العيب واتق من يعلم الغيب فإن الله للصالح والطالح بالمرصاد. وقال الوزير أبو منصور بن جهير يوماً لولد أبي نصر بن الصناع استعمل بآداب وإلا كنت صناعاً بغراب.

الباب الحادي عشر

في سياق المنقول من ذلك عن السلاطين

والأمراء والحجاب والشرطة

قال المؤلف بلغني أن رجلاً قدم إلى بغداد للحج وكان معه عقد من الحب يساوي ألف دينار فاجتهد في بيعه فلم ينفق فجاء إلى عطار موصوف بالخير فأودعه إياه ثم حج وعاد فأتاه بهدية فقال له العطار من أنت وما هذا فقال أنا صاحب العقد الذي أودعتك، فما كلمه حتى رفسه رفسة رماه عن دكانه، وقال تدعي علي مثل هذه الدعوى، فاجتمع الناس وقالوا للحاجي ويلك هذا رجل خير ما لحقت من تدعي عليه إلا هذا، فتحير الحاجي وتردد إليه فما زاده إلا شتماً وضربا فقيل له لو ذهبت إلى عضد الدولة فله في هذه الأشياء فراسة فكتب قصته وجعلها على قصبة ورفعها لعضد الدولة فصاح به فجاء فسأله عن حاله فأخبره بالقصة فقال اذهب إلى العطار غداً، واقعد على دكانه، فإن منعك فاقعد على دكان تقابله، من الصبح إلى المغرب ولا تكلمه، وافعل هكذا ثلاثة أيام فإني أمر عليك في اليوم الرابع وأقف وأسلم عليك فلا تقم لي ولا تزدني على رد السلام وجواب ما أسألك عنه فإذا انصرفت فأعد عليه ذكر العقد ثم أعلمني ما يقول لك فإن أعطاكه فجيء به إلي. قال فجاء إلى دكان العطار ليجلس فمنعه، فجلس بمقابلته ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع اجتاز عضد الدولة في موكبه العظيم، فلما رأى الخراساني وقف وقال سلام عيكم فقال الخرساني و لم يتحرك: وعليكم السلام، فقال يا أخي تقدم فلا تأتي إلينا ولا تعرض حوائجك علينا، فقال كما اتفق و لم يشبعه الكلام وعضد الدولة يسأله ويستخفي وقد وقف ووقف العسكر كله والعطار قد أغمي عليه من الخوف، فلما انصرف التفت العطار إلى الحاجي فقال ويحك متى أودعتني هذا العقد، وفي أي شيء كان ملفوفاً، فذكرني لعلي أذكره، فقال من صفته كذا وكذا، فقام وفتش ثم نقض جرة عنده فوضع العقد فقال قد كنت نسيت، ولو لم تذكرني الحال ما ذكرت. فأخذ العقد ثم قال وأي فائدة لي في أن أعلم عضد الدولة ثم قال في نفسه لعله يريد أن يشتريه فذهب إليه فأعلمه، فبعث به مع الحاجب إلى دكان العطار فعلق العقد في عنق العطار وصلبه بباب الدكان ونودي عليه هذا جزاء من استودع فجحد. فلما ذهب النهار أخذ الحاجب العقد فسلمه إلى الحاجي وقال

اذهب.

وقال المؤلف أيضاً بلغني عن عضد الدولة أنه كان في بعض أمرائه شاب تركي وكان يقف عند روزنة ينظر إلى امرأة فيها فقالت المرأة لزوجها قد حرم علي هذا التركي أن أتطلع في الروزنة، فإنه طول النهار ينظر إليها وليس فيها أحد فلا يشك الناس أن لي معه حديثاً، وما أدري كيف أصنع. فقال زوجها أكتبي إليه رقعة وقولي فيها لا معنى لوقوفك فتعال إلي بعد العشاء، إذا غفل الناس في الظلمة فإني خلف الباب ثم قام وحفر حفرة طويلة خلف الباب ووقف له، فلما جاء التركي فتح له الباب فدخل فدفعه الرجل فوقع في الحفرة وطموا عليه،، وبقي أياماً لا يدري ما خبره، فسأل عنه عضد الدولة فقيل له ما لنا فيه خبر فما زال يعمل فكره إلى أن بعث يطلب مؤذن المسجد المجاور لتلك الدار فأخذه أخذاً عنيفاً في الظاهر ثم قال له هذه مائة دينار خذها وامتثل ما آمرك إذا رجعت إلى مسجدك فإذن الليلة واقعد في المسجد فأول من يدخل عليك ويسألك عن سبب أنفاذي إليك فأعلمني به فقال نعم. ففعل ذلك، فكان أول من دخل ذلك الشيخ فقال له قلبي إليك ولا شيء أراد منك عضد الدولة؟ فقال ما أراد مني شيئاً وما كان إلى الخبر، فلما أصبح أخبر عضد الدولة بالحال فبعث إلى الشيخ فأحضره، ثم قال له ما فعل التركي فقال صدقك لي امرأة ستيرة مستحسنة كان يراصدها ويقف تحت روزنتها فضجت من خوف الفضيحة بوقوفه، ففعلت به كذا وكذا، فقال اذهب في دعة الله فما سمع الناس ولا قلنا.

وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه أنه بلغ إلى عضد الدولة خبر قوم من الأكراد يقطعون الطريق ويقيمون في جبال شاقة فلا يقدر عليهم، فاستدعى أحد التجار ودفع إليه بغلاً عليه صندوقان فيهما حلوى قد شيبت بالسم وأكثر طيبها وترك في الظروف الفاخرة وأعطاه دنانير وأمره أن يسير مع القافلة ويظهر أن هذه هدية لإحدى نساء أمراء الأطراف. ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة، فترل القوم وأخذوا الأمتعة والأموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به مع جماعتهم إلى الجبل وبقي المسافرون عراة لما فتح الصندوقين وجد الحلوى يضوع طيبها ويدهش منظرها ويعجب ريحها، وعلم أنه لا يمكنه الاستبداد بها، فدعا أصحابه فرأوا ما لم يروه أبداً قبل ذلك فأمعنوا في الأكل عقيب مجاعة فانقلبوا فهلكوا عن آخرهم فبادر التجار إلى أخذ أموالهم وأمتعتهم وسلاحهم واستردوا المأخوذ عن آخره، فلم أسمع بأعجب من هذه المكيدة، محت أثر العاتين شوكة المفسدين.

وقال مؤلف الكتاب وحدثت أن بعض التجار قدم من خراسان ليحج فتأهب للحج وبقي معه من ماله ألف دينار لا يحتاج إليها، فقال أن حملتها خاطرت بها وأن أودعتها خفت جحد المودع، فمضى إلى الصحراء، فرأى شجرة خروع فحفر تحتها ودفنها و لم يره أحد، ثم خرج إلى الحج وعاد فحفر المكان

فمل يجد شيئاً، فجعل يبكي ويلطم وجهه، فإذا سئل عن حاله قال الأرض سرقت مالي، فلما كثر ذلك منه قيل له لو قصدت عضد الدولة، فإن له فطنة، فقال: أو يعلم الغيب؟ فقيل له: لا بأس بقصده. فأخبره بقصته فجمع الأطباء وقال لهم هل داويتم في هذه السنة أحداً بعروق الخروع؟ فقال أحدهم: أنا داويت فلاناً وهو من خواصك. فقال علي به فجاء، فقال له هل تداويت في هذه السنة بعروق الخروع؟ قال نعم. قال من جاءك له؟ قال فلان الفراش قال علي به، فلا جاء قال من أين أخذت عروق الخروع؟ فقال من المكان الفلاني، فقال اذهب بهذا معك فأره المكان الذي أخذت منه. فذهب معه بصاحب المال إلى تلك الشجرة وقال من هذه الشجرة أخذت فقال الرجل ههنا والله تركت ما لي فرجع إلى عضد الدولة فأخبره فقال للفراش هلم بالمال، فتلكأ فأوعده فأحضر المال. وروى أبو الحسن بن هلال بن المحسن الصابي قال حكى السلامي الشاعر قال دخلت على عضد الدولة فمدحته فأجزل عطيتي من الثياب والدنانير وبين يديه حسام خرواني فرآني ألحظه، فرمى به إلي وقال خذه فقلت وكل خير عندنا من عنده. فقال عضد الدولة ذاك أبوك فبقيت متحير لا أدري ما أراد، فجئت أستاذي فشرحت له الحال فقال ويحك قد أخطأت عظيمة لأن هذه الكلمة لأبي نواس يصف كلبا حيث يقول:

أنعت كلباً أهله في كده   قد سعدت جدودهم بجده

وكل خير عنده من عنده

قال: فعدت متوشحاً بكساء فوقفت بين يدي الملك فقال: ما لك فقلت حممت الساعة. فقال هل تعرف سبب حماك؟ قلت نظرت في ديوان أبي نواس فقال لا تخف لا بأس عليك من هذه الحما فسجدت بين يديه وانصرفت. وروى أبو الحسن بن هلال ابن الحسن الصابي في تاريخه قال حدثني بعض التجار وقال كنت في المعسكر، واتفق أن ركب السلطان جلال الدولة يوماً إلى صيد على عادته فلقيه سوادي يبكي فقال مالك؟ فقال لقيني ثلاثة غلمان أخذوا حمل بطيخ كان معي وهو بضاعتي. فقال امض إلى المعسكر فهناك قبة حمراء فاقعد عندها ولا تبرح إلى آخر النهار، فأنا أرجع وأعطيك ما يغنيك، فلما عاد السلطان، قال لبعض شرائه قد اشتهيت بطيخاً ففتش العسكر وخيمهم على شيء منه ففعل وأحضر البطيخ فقال عند من رأيتموه؟ فقل في خيمة فلان الحاجب. فقال أحضروه. فقال له: من أين هذا البطيخ فقال الغلمان جاؤوا به. فقال أريدهم الساعة فمضى وقد أحس بالشر فهرب الغلمان خوفاً من أن يقتلوا وعاد فقال: قد هربوا لما علموا بطلب السلطان لهم. فقال أحضروا السوادي، فأحضر فقال له هذا بطيخك الذي أخذ منك؟ قال نعم. قال فخذه وهذا الحاجب مملوك لي وقد سلمته إليك ووهبته لك حتى يحضر الذين أخذوا منك البطيخ، ووالله لئن أخليته لأضربن رقبتك. فأخذ السوادي بيد الحاجب فأخرجه فاشترى الحاجب

نفسه بثلاثمائة دينار فعاد السوادي إلى السلطان وقال يا سلطان قد بعت المملوك الذي وهبته لي بثلاثمائة دينار فقال قد رضيت بذلك قال نعم قال اقبضها وامض مصاحباً السلامة.

قال الصابي وحكى لي من كان حاضراً باصفهان: قال جاء إليه تركماني قد لزم يد تركماني، فلما دخلا إليه قال هذا وجدته قد ابتنى بابنتي وأريد أن أقتله بعد إعلامك به قال لا بل تزوجها به ونعطي المهر من خزائننا، فقال لا أقنع إلا بقتله. فقال هاتوا السيف، فجيء به فسله وقال للأب تعال، فلما قرب منه أعطاه السيف وأمسك بيده الجفن وأمره أن يعيد السيف إلى الجفن، فكلما رام الرجل ذاك قلب السلطان الجفن و لم يمكنه من إدخال السيف، فقال يا سلطان ما تدعني فقال كذلك ابنتك لو لم ترد ما فعل بها هذا فإن كنت تريد قتله لأجل فعله فاقتلهما جميعاً، ثم أحضر من زوجه بها وأعطاه المهر من خزانته.

حدثنا الأصمعي قال وفد فلان بن أبي بردة على عمر بن عبد العزيز وهو بخاضرة، فلزم سارية من المسجد يصلي إليها بحسن الركوع الخشوع وعمر بن عبد العزيز ينظر إليه فقال عمر للعلاء بن المغيرة وكان خصيصاً بعمر. فقال له العلاء بن المغيرة: أنا آتيك يا أمير المؤمنين بخبره فأتاه وهو يصلي بين المغرب والعشاء فقال له اشفع صلاتك فإن لي حاجة فلما سلم من صلاته قال له العلاء تعرف منزلتي وموضعي من أمير المؤمنين فإني أن أشرت عليك أني وليك العراق ما تجعل لي قال عمالتي سنة، وكان مبلغها عشرين ومائة ألف. قال فاكتب لي على ذلك خطاً فقام من وقته فكتب له خطاً بذلك فحمل ذلك الخط إلى عمر بن عبد العزيز فلما قرأه كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وكان والياً على الكوفة: أما بعد فان بلال غرنا بالله فكدنا نغتر به ثم سبكناه فوجدناه حبثاً كله. قال مؤلف الكتاب وبلغنا أن رجلا وعظ أميراً فأنفذ إليه الأمير مالاً قبله فلما عاد الرسول قال الأمير كلنا صياد ولكن الشباك تختلف وقيل لما خطب السفاح يوم بويع سقطت العصا من يده فتضير من ذلك فقام بعض أصحابه فأخذها ومسحها ودفعها إليه ثم أنشد:

فألقت عصاها واستقرث بها النوى   كما قر عيناً بالأياب المسافر

فسر بذلك وسرى عنه وأكرمه.

نزل أمير بقرية فاحتاج إلى المزين يمسح شعره فجاء الأمير وحده إليه وقال أنا حاجب هذا الأمير الذي قد نزل بكم فامسح شعري فإن كنت حاذقاً جاء الأمير فمسحت شعره وإنما فعل ذلك لئلا يعلم أنه الأمير فيترعج فيجرحه.

حدثني عمر بن عثمان قال دخل المنصور أمير المؤمنين قصراً فرأى في جداره كتاباً:

ومالي لا أبكي بعين حزينة   وقد قربت للظاعنين حمول

وتحته مكتوب ايه ايه قال أبو عمر ويرى أه أه، فقال المنصور أي شيء ايه ايه، فقال له الربيع وهو إذ ذاك تحت يدي أبي الخصيب الحاجب يا أمير المؤمنين إنه لما كتب البيت أحب أن يخبر أنه يبكي، فقال له: الله ما كان أظرفه فكان هذا أول ما ارتفع به الربيع. قال المؤلف نقلت من خط أبي الوفاء بن عقيل قال دخل هاشمي على المنصور فاستدناه ودعا بغدائه وقال أدنه، فقال قد تغديت، فكف عنه فلما خرج دفع الربيع في قفاه فوافقه الحجاب فدخل عمومته فشكا إلى المنصور فقال الربيع هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف فأدناه أمير المؤمنين واستجلسه ثم أذن له في الغداء، فقال له قد تغديت قول من يظن أن الغداء عند أمير المؤمنين لا يصلح إلا لسد الخلة ومثل هذا لا يكون أدبه بالقول ولكن بالفعل.

حدثنا المدايني عن غياث بن إبراهيم أن معن بن زائدة دخل على أبي جعفر أمير المؤمنين فقارب في خطوه، فقال له أبو جعفر كبرت سنك يا معن، فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين قال وأنك لجلد قال على أعدائك، قال وإن فيك لبقية، قال هي لك.

حدثنا أبو الفضل الربيع قال: حدثني أبي قال قال المأمون لعبد الله بن طاهر أيما أطيب مجلسي أو مترلك قال ما عدلت به يا أمير المؤمنين. قال ليس لي إلى هذا، إنما ذهبت إلى الموافقة في العيش واللذة، قال مترلي يا أمير المؤمنين. قال و لم ذلك قال لأني فيه مالك وأنا ههنا مملوك.

وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني أن أحمد بن طولون جلس يوماً في متتره له يأكل فرأى سائلاً في ثوب خلق فوضع يده في رغيف ودجاجة وفرخ وقطع لحم وقطعة فالوذج، وأمر بعض الغلمان بمناولته، فرجع الغلام وذكر أنه ما هش له، فقال ابن طولون للغلام: جئني به فمثل به بين يديه فاستنطقه فأحسن الجواب و لم يضطرب من هيبته، فقال له أحضرني الكتب التي معك واصدقني عمن بعث بك فقد صح عندي أنك صاحب خبر، واستحضر السياط فاعترف له بذلك فقال بعض من حضر هذا والله السحر، فقال أحمد ما هو بسحر، ولكنه قياس صحيح رأيت سوء حال هذا فوجهت إليه بطعام يسر إلى أكله الشبعان فما هش له ولا مد يده فأحضره فتلقاني بقوة جأش، فلما رأيت رثاثة حاله وقوة جنانه علمت أنه صاحب خبر.

ورأى ابن طولون يوماً حمالاً يحمل صندوقاً وهو يضطرب تحته فقال لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاصت عنقه وأنا أرى عنقه بارزة، وما هذا إلا من خوف ما يحمل، فأمر بحط الصندوق فوجد فيه جارية قد قتلت وقطعت، فقال أصدقني عن حالها فقال أربعة نفر في الدار الفلانية أعطوني هذه الدنانير وأمروني بحمل هذه المقتولة. فضرب الحمال مائتي ضربة بعصا، وأمر بقتل الأربعة. وكان ابن طولون يبكر ويخرج فيسمع قراءة الأئمة في المحاريب فدعا بعض أصحابه يوماً وقال امض إلى المسجد الفلاني، وأعط أمامه هذه الدنانير. قال فمضيت فجلست مع الإمام وباسطته حتى شكا أن زوجته ضربها

الطلق و لم يكن معه ما يصلح به شأنها وأنه صلى فغلط مراراً في القراءة فعدت إلى ابن طولون فأخبرته، فقال صدق، لقد وقفت أمس فرأيته يغلط كثيراً علمت شغل قلبه.

حدثنا سهل بن محمد السجستاني قال وفد علينا عامل من أهل الكوفة لم أرى في عمال السلطان بالبصرة أبرع منه، فدخلت مسلماً عليه، فقال يا سجستاني من أعلمكم بالبصرة أبرع منه، فدخلت مسلماً عليه، فقال يا سجستاني من أعلمكم بالبصرة قال الزيادي أعلمنا بعلم الأصمعي والمازني أعلمنا بالنحو وهلال الرأي أفقهنا والشادكوني أعلمنا بالحديث وأنا رحمك الله أنسب إلى علم القرآن وابن الكلبي من أكتبنا للشروط، قال فقال لكاتبه إذا كان غد فاجمعهم إلي، قال فجمعنا قال أيكم المازني قال أبو عثمان ها أنذا يرحمك الله، قال هل يجزى في الظهاري عتق عبد أعور، فقال المازني لست صاحب فقه، أنا صاحب عربية، فقال يا زيادي كيف تكتب بين بعل وامرأة خالعها زوجها على الثلث من صداقها قال ليس هذا من علمي هذا من علم هلال الرأي، قال يا هلال كم أسند ابن عون عن الحسن قال ليس هذا من علمي هذا من علم الشادكوني، قال يا شادكوني من قرأ ألا أنهم يثنون صدورهم، قال ليس هذا من علمي هذا من علم أبي حاتم فقال يا أبا حاتم كيف تكتب كتاباً إلى أمير المؤمنين تصف فيه خصاصة أهل البصرة وما أصابهم في الثمرة وتسأله لهم النظر بالبصرة قال لست رحمك الله صاحب بدعة وكتابة أنا صاحب قرآن قال ما اقبح بالرجل يتعاطى بالعلم خمسين سنة لا يعرف إلا فنا واحداً حتى إذا سئل من غيره لم يجل فيه و لم يمر لكن عالمنا بالكوفة الكسائي لو سئل عن هذا كله لأجاب.

نظر بعض العمال في ديوانه إلى رجل يصغي إلى سرة فأمر بضربه وحبسه. فقال كاتب الحبس كيف اكتب قصته قال اكتب استرق السمع فاتبعه شهاب ثابت ووجد أعمى مع عمياء فلم يدر الكاتب كيف يكتب قصتها فقال صاحب الربع أكتب ظلمات بعضها فوق بعض.

قال الحسين بن الحسن بن أحمد بن يحيى الواثقي قال كان جدي يتقلد شرطة بغداد للمكتفي بالله فعمل اللصوص في أيامه عملة عظيمة فاجتمع التجار وتظلموا إلى المكتفي بالله فألزمه بإحضار اللصوص أو غرامة المال فتحير حتى كان يركب وحده ويطوف بالليل والنهار إلى أن اجتاز يوماً في زقاق خال في بعض أطراف بغداد فدخله فوجد منكراً ووجد فيه زقاقاً لا ينفذ فدخله فرأى على بعض أبواب دور الزقاق شوك سمكة كبيرة وعظم الصلب وتقدير ذاك أن تكون السمكة فيها مائة وعشرون رطلاً، فقال لواحد من أصحاب المسالح ويحك ما ترى عظام هذه السمكة كم تقدر ثمنها قال دينار، فقال أهل هذا الزقاق لا تحمل أحوالهم شراء مثل هذه السمكة لأنه زقاق بين الاحتلال إلى جانب الصحراء لا يترله من معه شيء يخافه أو له مال ينفق منه مثل هذه النفقة وما هي إلا بلية يجب أن يكشف عنها فاستبعد الرجل

هذا وقال هذا فكر بعيد، فقال اطلبوا امرأة من الدرب أكلمها، فدق بابا غير الباب الذي عليه الشوك واستسقى ماء فخرجت عجوز ضعيفة، فما زال يطلب شربة بعد شربة وهي تسقيهم والواثقي في خلال ذلك يسأل عن الدرب وأهله وهي تخبره غير عارفة بعواقب ذلك إلى أن قال لها فهذه الدار من يسكنها وأومأ إلى التي عليها عظام السمك فقالت والله ما ندري على الحقيقة من سكانها إلا أن فيها خمسة شباب أعفار كأنهم تجار قد نزلوا منذ شهر لا نراهم يخرجون نهاراً إلا كل مدة طويلة، وأنا نرى الواحد منهم يخرج في الحاجة ويعود سريعاً وهم طول النهار يجتمعون فيأكلون ويشربون ويلعبون بالشطرنج والنرد ولهم صبي يخدمهم، وإذا كان الليل انصرفوا إلى دارهم لهم في الكرخ. ويدعون الصبي في الدار يحفظها، فإذا كان سحراً بليل جاؤوا ونحن نيام لا نعقل بهم وقت مجيئهم. قال فقطع الوالي استسقاء الماء ودخلت العجوز وقال للرجل هذه صفة لصوص أم لا فقال: توكلوا بحوالي الدار ودعوني على بابها قال وأنفذ في الحال واستدعى عشرة من الرجال وأدخلهم إلى سطوح الجيران ودق هو الباب فجاء الصبي ففتح فدخل والرجال معه فما فاتهم من القوم أحد وحملهم إلى مجلس الشرطة وقررهم فكانوا هم أصحاب الخيانة بعينها ودلوا على باقي أصحابهم فتبعهم الواثقي وكان يفتخر بهذه القصة.

قال مؤلف الكتاب وبلغنا عن بعض ولاة مصر أنه كان يلعب بالحمام فتسابق هو وخادم له فسبقه الخادم فبعث الأمير إلى وزيره ليعلم الحال فكره الوزير أن يكتب إليه أنك قد سبقت و لم يدر كيف يكنى عن ذلك، فكان ثم كاتب فقال أن رأيت أن تكتب شعراً.

يا أيها الملك الذي جده	لكل جد قاهر غالب
طائرك السابق لكنه	أتى وفي خدمته حاجب

فاستحسن ذلك وأمر له بجائزة وكتب به. قال الشيخ حدثني أبو محمد عبد الله بن علي المقري قال كان حاجب باب ابن النسوي ذكياً فسمع في بعض ليالي الشتاء صوت برادة فأمر بكبس الدار فأخرجوا رجلاً وامرأة فقيل له من أين علمت هذا قال في الشتاء لا يبرد الماء وإنما هذه علامة بين هذين، وبه حدثني أبو حكيم إبراهيم بن دينار الفقيه قال حدثني أبي قال جيء إلى ابن النسوي برجلين قد اتهما بالسرقة فأقامهما بين يديه ثم قال شربة ماء فجاء بها فأخذ يشرب ثم ألقاها من يده عمداً فوقعت فانكسرت فانزعج أحد الرجلين لانكسارها وثبت الآخر فقال للمترعج اذهب أنت وقال للآخر رد ما أخذت فقيل له من أين علمت، فقال اللص قوي القلب لا يترعج وهذا المترعج بريء لأنه لو تحركت في البيت فأرة لا زعجته ومنعته أن يسرق وبه ذكر بعض مشايخنا أن رجلاً من جيران ابن النسوي كان يصلي بالناس دخل على

ابن النسوي في شفاعة وبين يديه صحن فيه قطايف فقال له ابن النسوي كل فامتنع فقال كأنني بك وأنت تقول من أين لابن النسوي شيء حلال ولكن كل فما أكلت قط أحل من هذا فقال بحكم المداعبة من أين لك شيء لا يكون فيه شبهة فقال إن أخبرتك تأكل، قال نعم فقال كنت منذ ليال في مثل هذا الوقت فإذا الباب يدق فقالت الجارية من؟ فقالت امرأة تستأذن فإذن لها فدخلت فأكبت على قدمي تقبلها فقلت ما حاجتك قالت لي زوج ولي منه ابنتان لواحدة اثنتا عشرة سنة وللأخرى أربع عشرة سنة وقد تزوج علي وما يقربني والأولاد يطلبونه فيضيق صدري لأجلهم وأريد أن يجعل ليلة لي ولتلك ليلة، فقلت لها ما صناعته؟ فقالت خباز قلت وأين دكانه قالت بالكرخ ويعرف بفلان بن فلان فقلت وأنت بنت من؟ فقالت بنت فلان، قلت فما اسم بناتك، قالت فلانة وفلانة... قلت أنا أرده إليك إن شاء الله تعالى فقالت هذه شقة قد غزلتها أنا وابنتاي، وأنت في حل منها. قلت خذي شقتك وانصرفي. فمضت فبعث إليه اثنين وقلت أحضراه ولا تزعجاه. فأحضراه وقد طار عقله فقلت لا بأس عليك إنما استدعيتك لأعطيك كر طعام وعمالته تقيمه خبزاً للرحالة فسكن روعه وقال ما أريد له عمالة قلت بلى صديق مخسر عدو مبني أنت مني وإلي كيف هي زوجتك فلانة تلك بنت عمي وكيف بناتها فلانة وفلانة فقال بكل خير، قلت الله الله لا أحتاج أن أوصيك بها لا تضيق صدرها فقبل يدي، فقلت امض إلى دكانك وأن كان لك حاجة فالموضع بحكمك فانصرف. فلما كان في هذه الليلة جاءت المرأة فدخلت وهذا الصحن معها وأقسمت علي بالله أن لا أردها وقالت قد جمعت شملي وشمل أولادي وهذا والله من ثمن غزلي فبالله لا ترده فقبلته فهل هو حلال؟ فقال والله ما في الدنيا أحل من هذا قال فكل، فأكل.

كان لأحمد بن خصيب وكيل له في ضياعه فرمى إليه بخيانة فعزم على القبض عليه والإساءة إليه فهرب فكتب إليه أحمد يؤنسه ويحلف له على بطلان ما اتصل إليه ويأمره بالرجوع إلى عمله فكتب إليه:

أنالك عبد سامع ومطيع ... وإني لما تهوى إليك سريع

ولكن لي كفا أعيش بفضلها ... فما أشترى إلا بها وأبيع

أأجعلها تحت الرحائم أبتغي ... خلاصاً لها إني إذا لرقيع

حدثنا أبو سهل بن زياد قال كان شاعر له ضويعة فهجا عاملها وبلغه ذلك فأمسك عنه فلما كان وقت الغلة ركب العامل إلى البيدر فقسمها وحلم غلة الشاعر أصلاً فجاء الشاعر إليه يشكو فقال يا هذا ليس بيننا، هجوتنا بالشعر ونحن نهجوك بالشعير فقد استوت الحال بيننا وبينك. قال الشيخ وحدثني ابن شبيب المشرف بالمحرز أنه لقي الخليفة المستنجد فقال له الخليفة أين شتيت قال عندك يا أمير المؤمنين وأراد

الخليفة تصحيف ابن شبيب وأراد هو تصحيف عبدك. وكان بعض العمال واقفاً على رأس أمير فأخذه البول فخرج فلما جاء قال أين كنت قال أصوب الرأي يعني أنه لا رأى لحاقن حدثني بعض الشيوخ قال سرق من رجل خمسمائة دينار فحمل المتهومين إلى الوالي فقال الوالي أنا ما أضرب أحداً منكم بل عندي خيط ممدود في بيت مظلم فأدخلوا فليمر كل منكم يده عليه من أول الخيط إلى آخره ويلف يده في كمه ويخرج فإن الخيط يلف على يد الذي سرق وكان قد سود الخيط بسخام فدخلوا فكلهم جريده على الخيط في الظلمة إلا واحد منهم فلما خرجوا نظر إلى أيديهم مسودة إلا واحد فالزمه بالمال فأقربه.

الباب الثاني عشر

في سياق المنقول من ذلك عن القضاة

حدثنا الشعبي قال جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت أشكو إليك خير أهل الدنيا إلا رجل سبقه بعمل أو عمل مثل عمله يقوم الليل حتى يصبح ويصوم النهار حتى يمسي ثم أخذها الحياء فقالت أقلني يا أمير المؤمنين فقال جزاك الله خيراً فقد أحسنت الثناء قد أقلتك فلما ولت قال كعب بن سور يا أمير المؤمنين لقد أبلغت إليك في الشكوى فقال ما اشتكت قال زوجها قال علي بالمرأة وزوجها فجيء بهما فقال لكعب اقض بينهما قال أأقضي وأنت شاهد قال أنك قد فطنت ما لم أفطن إليه قال فإن الله يقول فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع صم ثلاثة أيام وأفطر عندها يوماً وقم ثلاث ليال وبت عندها ليلة فقال عمر لهذا أعجب إلي من الأول مزحله بدابة وبعثه قاضياً لأهل البصرة.
أخبرنا مجالد بن سعيد قال، قلت للشعبي يقال في المثل أن شريحا أدهى من الثعلب وأحيل فما هذا فقال لي في ذلك أن شريحاً خرج أيام الطاعون إلى النجف وكان إذا قام يصلي يجيء ثعلب فيقف تجاهه فيحاكيه ويخيل بين يديه فيشغله عن صلاته فلما طال ذلك عليه نزع قميصه فجعله على قصبة وأخرج كميه وجعل قلنسوته وعمامته عليه فأقبل الثعلب فوقف على عادته فأتى شريح من خلفه فأخذه بغتة فلذلك يقال هو أدهى من الثعلب وأحيل.
أخبرنا مجالد عن العشبي قال شهدت شريحاً أو جاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينيها فبكت فقلت يا أبا أمية ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة فقال يا شعبي إن أخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاء يبكون حدثنا شيخ من قريش قال عرض شريح ناقة يبيعها فقال له المشتري يا أبا أمية كيف لبنها قال أحلب في أي إناء شئت قال كيف الوطء قال افرش ونم قال كيف نجاؤها قال إذا رأيتها في الإبل عرفت مكانها على سوطك فقال كيف قوتها قال احمل على الحائط ما شئت فاشتراها فلم ير شيئاً مما وصف فرجع إليه فقال

لم أر فيها شيئاً مما وصفتها به قال ما كذبتك قال اقلني قال نعم. قال القرشي وحدثني أبو القاسم السلمي عن غير واحد من أشياخه قال إن شريحاً خرج من عند زياد وهو مريض فأرسل إليه مسروق بن الأجدع رسولاً يسأله كيف وجدت الأمير قال تركته يأمر وينهي قال يأمر بالوصية وينهي عن النياحة قال الشيخ وقد روينا أن عدي بن أرطاة أتى شريحاً وهو في مجلس القضاء فقال لشريح أين أنت قال بينك وبين الحائط قال اسمع مني قال لهذا جلست مجلسي قال إني رجل من أهل الشام قال الحبيب القريب قال وتزوجت امرأة من قومي قال بارك الله لك بالرفاء والبنين قال وشرطت لأهلها أن لا أخرجها قال الشرط أملك قال وأريد الخروج قال في حفظ الله قال اقض بيننا قال قد فعلت.

حدثنا صالح بن أحمد العجلي قال حدثني أبي قال دخل علي أياس بن معاوية ثلاثة نسوة فقال أما واحدة فمرضع والأخرى بكر والثالثة ثيب فقيل له بن علمت قال أما المرضع فإنها لما قعدت أمسكت ثديها بيدها وأما البكر فلما دخلت لم تلتفت إلى أحد وأما الثيب فلما دخلت رمقت بعينها يميناً وشمالاً.

أخبرنا أبو الحسن القيسي قال استودع رجل رجلاً من أبناء الناس مالاً وكان أمينا لا بأس به وخرج المستودع إلى مكة فلما رجع طلبه فجحده فأتى أياساً فأخبره فقال له إياس أعلم أنك أتيتني قال لا قال فنازعته عند أحد قال لا لم يعلم أحد بهذا قال فانصرف واكتم أمرك ثم عد إلي بعد يومين فمضى الرجل فدعا إياس أمينه ذلك فقال قد حضر مال كثير أريد أن أسلمه إليك أفحصين مترلك قال نعم قال فأعده موضعاً للمال وقوماً يحملونه وعاد الرجل إلى إياس فقال له انطلق إلى صاحبك فاطلب المال فإن أعطاك فذاك وأن جحدك فقل له أني أخبر القاضي فأتى الرجل صاحبه فقال مالي وإلا أتيت القاضي وشكوت إليه وأخبرته ما جرى فدفع إليه ماله فرجع الرجل إلى إياس فقال قد أعطاني المال وجاء الأمين إلى أياس فزبره وانتهره وقال لا تقربني يا خائن. وذكر الجاحظ أن إياس بن معاوية نظر إلى صدع في أرض فقال تحت هذا دابة فنظروا فإذا حية فقيل له من أين علمت قال رأيت ما بين الآجرتين نديا من بني جميع تلك الرحبة فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفس. قال الجاحظ وحج إياس فسمع نباح كلب فقال هذا كلب مشدود ثم سمع نباحه فقال قد أرسل فانتهزوا إلى الماء فسألوهم فكان كما قال فقيل له من أين علمت قال كان بناحه وهو موثق يسمع من مكان واحد ثم سمعته يقرب مرة ويبعد أخرى ومر إياس ليلة بماء فقال اسمع صوت كلب غريب فقيل له كيف عرفته قال بخضوع صوته وشدة نباح الآخرين فسألوا فإذا كلب غريب والكلاب تنبحه.

حدثنا أبو سهل قال لم يشرك في القضاء بين أحد قط إلا بين عبد الله بن الحسن العنبري وبني عمر بن عامر على قضاء البصرة وكانا يجتمعان جميعاً في المجلس وينظران جميعاً بين الناس قال فتقدم إليهما قوم في

جارية لا تثيب فقال فيها عمر بن عامر هذه ضئيلة وقال عبيد الله بن الحسن كل خالف ما عليه الخلقة فهو عيب.

أخبرنا يزيد بن هارون قال تقلد القضاء في بواسط رجل ثقة كثير الحديث فجاء رجل فاستودع بعض الشهود كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف دينار فلما حصل الكيس عند الشاهد وطالة غيبة الرجل قدر أنه قد هلك فهم بإنفاق المال ثم دبر وفتق الكيس من أسفله وأخذ الدنانير وجعل مكانها دارهم وأعاد الخياطة كما كانت وقدر أن الرجل وافى وطلب الشاهد بوديعته فأعطاه الكيس بختمه فلما حصل في مترله فض ختمه فصادف في الكيس دراهم فرجع إلى الشاهد فقال له عافاك الله أردد على مالي فإني استودعتك دنانير والذي وجدت دراهم مكانها فأنكره ذلك واستعدي عليه القاضي المقدم ذكره فأمر بإحضار الشاهد مع خصمه فلما حضرا سأل الحاكم منذ كم أودعته هذا الكيس قال منذ خمس عشرة سنة فأخذ القاضي الدراهم وقرأ سككها فإذا هي دراهم إليها ما قد ضرب منذ سنتين وثلاث ونحوها فأمره أن يدفع الدنانير إليه فدفعها إليه وأسقطه وقال له يا خائن ونادى مناديه إلا أن فلان بن فلان القاضي قد أسقط فلان بن فلان الشاهد فاعلموا ذلك ولا يغترن به أحد بعد اليوم فباع الشاهد أملاكه في بواسط وخرج عنها هاربا فلم يعلم له خبر ولا أحس منه أثر.

أخبرنا أبو محمد القرشي قال استودع رجل رجلاً مالاُ ثم طلبه فجحده فخاصمه إلى إياس بن معاوية فقال الطالب إني دفعت المال إليه قال ومن حضر قال دفعته في مكان كذا وكذا و لم يحضرنا أحد قال فأي شيء في ذلك الموضع قال شجرة قال فانطلق إلى ذلك الموضع وانظر الشجرة فلعل الله تعالى يوضح لك هناك ما يتبين به حقك لعلك دفنت مالك عند الشجرة ونسيت فتتذكر إذا رأيت الشجرة فمضى الرجل قال إياس للمطلوب اجلس حتى يرجع خصمك فجلس واياس يقضي وينظر إليه ساعة ثم قال له يا ذا أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة الذي ذكر قال لا قال يا عدو الله إنك لخائن قال أقلني أقالك الله فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل فقال له إياس قد أقر لك بحقك فخذه.

حدثنا ابن السماك قال اختصم إلى قاضي القضاة الشامي يوماً رجلان وهو بجامع المنصور فقال أحدهما أني أسلمت إلى هذا عشرة دنانير فقال للأخر ما تقول قال ما أسلم إلى شيئاً فقال للطالب هل لك بينة قال لا قال ولا سلمتها إليه بعين أحد قال لا لم يكن هناك إلا الله عز وجل قال فأين سلمتها إليه قال بمسجد بالكرخ فقال للمطلوب أتحلف قال نعم قال للطالب قم إلى ذلك المسجد الذي سلمتها إليه فيه وائتني بورقة من مصحف لأحلفه بها فمضى الرجل واعتقل القاضي الغريم فلما مضت ساعة التفت القاضي إليه فقال تظن أنه قد بلغ ذلك المسجد فقال لا ما بلغ إليه فكان هذا كالإقرار فالزمه بالذهب

فأقربه.

حدثنا أبو العيناء قال ما رأيت في الدنيا أقوم على أدب من ابن أبي داود ما خرجت من عنده يوماً فقال يا غلام خذ بيده بل كان يقول يا غلام اخرج معه فكنت افتقد هذه الكلمة عليه فلا يخل بها ولا اسمعها من غيره. ذكر أبو علي عيسى بن محمد الطوماري أنه سمع أبا حازم القاضي سمعت أبي يقول ولي يحيى بن أكثم قضاء البصرة وسنة عشرون أو نحوها فقال له أحدهم كم سنو القاضي قال فعلم أنه قد استصغر فقال له أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضياً على أهل مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضياً على أهل اليمن وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجه به عمر بن الخطاب قاضياً على أهل البصرة.

حدثنا ابن الليث قال باع رجل من أهل خراسان جمالاً بثلاثين ألف درهم من مرزبان المجوسي وكيل أم جعفر فمطله بثمنها وحبسه فطال ذلك على الرجل فأتى بعض أصحاب حفص بن غياث فشاوروه فقال اذهب إليه فقل له أعطني ألف درهم وأحيل عليك بالمال الباقي واخرج إلى خراسان فإذا فعل هذا فأتني حتى أشاور عليك ففعل الرجل فأتى مرزبان فأعطاه ألف درهم فرجع إلى الرجل فأخبره فقال عد إليه فقل له إذا ركبت غداً فطريقك على القاضي فأحضر وأوكل رجلاً بقبض المال وأخرج فإذا جلس إلى القاضي فادع عليه بما بقي لك من المال ففعل ذلك فحسبه القاضي فأخرجته أم جعفر وقالت لهارون قاضيك حبس وكيلي فمره لا ينظر في الحكم فأمر لها بالكتاب وبلغ حفصاً الخبر فقال للرجل أحضر لي شهوداً حتى أسجل لك على المجوسي قبل ورود كتاب أمير المؤمنين فحضر فقال للرجل مكانك فلما فرغ من السجل أخذ الكتاب فقرأه وقال للخادم اقرأ على أمير المؤمنين السلام وأخبره أن كتابه ورد وقد أنقذت الحكم.

حدثنا المدايني قال كان المطلب بن محمد الحنظبي على قضاء مكة وكان عند امرأة قد مات عندها أربع أزواج فمرض مرض الموت فجلست عند رأسه تبكي وقالت إلى من توصي بي قال إلى السادس الشقي. قال المؤلف وبلغنا أن رجلاً جاء إلى أبي حازم فقال له أن الشيطان يأتيني فيقول إنك قد طلقت زوجتك فيشككني فقال له أوليس قد طلقتها قال لا قال ألم تأتيني أمس فطلقتها عندي فقال والله ما جئتك إلا اليوم ولا طلقتها بوجه من الوجوه قال فاحلف للشيطان إذا جاءك كما حلفت لي وأنت في عافية. قال أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي حدثني من أثق به أن قاضياً من القضاة سألته زوجته أن يبتاع لها جارية فتقدم إلى النخاسين بذلك فحملوا إليه عدة جوار فاستحسن أحدهن فأشار على زوجته بها قال ابتاعها لك من مالي فقالت مالي إليه حاجة ولكن خذ هذه الدنانير فابتعها لي بها وأعطته مائة دينار فأخذها فعزلها في مكان وخرج فاشتراها لنفسه وأعطى ثمنها من ماله وكتب عهدتها باسمه

واعلم الجارية بذلك سراً واستكتمها فكانت زوجته تستخدمها فإذا أصاب خلوة من زوجته وطئ على الجارية فاتفق يوماً أنها صادفته فوقها فقالت له ما هذا يا شيخ سوءزان أما تتقي الله أما أنت من قضاة المسلمين فقال أما الشيخ فنعم وأما الزنا فمعاذ الله وأخرج عهدة الجارية باسمه عرفها الحيلة وأخرج دنانيرها بختمها فعرفت صحة ذلك و لم تزل تداريه حتى باعها.

أخبرنا التنوخي عن أبيه قال سمعت قاضي القضاة بالسائب يقول كان ببلدنا همدان رجل مستور فأحب القاضي قبول قوله فسأله عنه فزكى له سراً وجهراً فراسله في حضور المجلس ليقبل قوله وأمر بأخذ خطه في كتب ليحضر فيقيم الشهادة فيها وجلس القاضي وحضر الرجل مع الشهود فلما أراد إقامة الشهادة لم يقبله القاضي فسئل القاضي عن سبب ذلك فقال انكشف لي أنه مراء فلم يسعني قبول قوله فقيل له وكيف، قال كان يدخل إلي في كل يوم فاعد خطواته من حيث تقع عيني عليه من داري إلى مجلسي فلما دعوته اليوم للشهادة جاء فعددت خطاه من ذلك المكان فإذا هي قد زادت خطوتين أو ثلاثاً فعلمت أنه متصنع فلم أقبله.

قال أبو بكر الصولي حدثنا أبو العيناء قال كان الأفشين يحسد أبا دلف ويبغضه للفروسية والشجاعة فاحتال عليه حتى شهد عليه عنده بخيانة وقتل فأحضر السياف فبلغ ابن أبي داود فركب مع من حضر من عدوله فدخل على الأفشين ثم قال أني رسول أمير المؤمنين إليك وقد أمرك أن لا تحدث في القاسم بن عيسى حدثا حتى تحمله إليه مسلماً ثم التفت إلى العدول فقال اشهدوا أني قد أديت الرسالة عن أمير المؤمنين إليه فلم يقدم الأفشين عليه وسار ابن أبي داود إلى المعتصم فقال يا أمير المؤمنين لقد أديت عنك رسالة لم تقلها لي ما أعتد بعمل خير خير منها وإني لأرجو لك الجنة بها ثم أخبره الخبر فصوب به رأيه ووجه من أحضر القاسم فأطلقه ووهب له وعنف الأفشين فيما عزم عليه. قال ابن قتيبة شهد الفرزدق عند بعض القضاة فقال قد أجزنا شهادة أبي فراس وزيدونا فقيل له حين انصرف والله ما أجاز شهادتك. تقدم رجلان إلى أبي ضمضم القاضي فادعى أحدهما على الآخر طنبوراً وأنكر المدعي عليه فقال المدعي لي بينة فجاء برجلين فشهدا فقال المدعي عليه أيها القاضي سلهما عن صناعتها فقال أحدهما أنا نباذ وقال الآخر هو قواد فالتفت القاضي إلى المدعي عليه فقال له أتريد على طنبور أعدل من هذين قم فأعطه طنبورا. اختصهم رجلان في شاة وكل واحد منهما قد أخذ بإذنها فجاء رجل فقالا قد رضينا بحكمك يرجع فيما أحكم به فحلفا فقال خلياها فخلياها فأخذ بأذنها وساقها فجعلا ينظران إليه ولا يقدران على كلامه.

قال المؤلف بلغنا عن أبي عمر القاضي أنه قلد بعض الأعيان القضاء فذكر عنده بأشياء لا تليق بالقضاء

فأراد صرفه فعوتب على ذلك وقيل له أن صح عندك ما رمى به فاعزله فقال ما صح عندي ولا بد من صرفه قيل و لم ذاك قال أليس قد احتمل عرضه أن يقال فيه مثل هذا وتشبهت صورته بصورة من إذا رمى بهذا يغاران يشك فيه والقضاء أرق من هذا فصرفه دخل أحمد بن أبي داود على الواثق فقال له كان عندي الساعة محمد بن عبد الملك الزيات فذكرك بكل قبيح فقال الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي أحوجه إلى الكذب عن قول الصدق على ورغبتي عنه. تقدم رجل إلى بعض القضاة ليشهد في كتاب بمهر فقال له القاضي ما اسمك قال المسيب فقال اليوم لا.

الباب الثالث عشر

في سياق المنقول من ذلك عن علماء هذه الأمة وفقهائها

فمن المنقول عن الشعبي قال مجاهد دخل الشعبي الحمام فرأى داود الأزدي بلا مئزر فغمض عينيه فقال داود متى عميت يا أبا عمر وقال منذ هتك الله سترك ودخل الشعبي على عبد الملك بن مروان قال منذ هتك الله سترك ودخل الشعبي على عبد الملك بن مروان الماء البارد ثم قال كم عطاك فقلت ألفي درهم فجعل يسار أهل الشام ويقول لحن العراقي ثم قال كم عطاؤك لأرد قولي فيغلطني فقلت ألفاً درهم فقال ألم تقل ألفي درهم فقلت لحنت يا أمير المؤمنين فلحنت لأني كرهت أن تكون راجلاً وأكون فارساً فقال صدقت واستحيا من المنقول عن ابراهيم النخعي قال الشيخ حدثنا المبارم بن علي قال حدثنا جرير عن مغيرة قال كان ابراهيم إذا طلبه إنسان لا يحب أن يلقاه وخرجت الخادم فقالت اطلبوه في المسجد قال القرشي حدثني الأعمش عن إبراهيم قال أتاه رجل فقال إني ذكرت رجلاً بشيء فبلغه عني فكيف لي أن أعتذر إليه قال تقول والله أن والله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء. قال إبراهيم بن هاشم عن رجل قد سماه قال كنا إذا خرجنا من عند إبراهيم يقول إن سئلتم عني فقولوا لا ندري أين هو فإنكم إذا أخرجتم لا تدرون أين أكون ومن المنقول عن الأعمش أخبرنا جرير قال جئنا الأعمش يوماً فوجدناه قاعداً في ناحية فجلسنا في ناحية أخرى وفي الموضع خليج من ماء المطر فجاء رجل عليه سواد فلما بصر بالأعمش وعليه فروة حقيرة قال قم عبرني هذا الخليج وجذب بيده فأقامه وركبه وقال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج ثم رمى به وقال وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ثم خرج وترك المسود يتخبط في الماء.

حدثنا أبو بكر بن عياش قال كان الأعمش إذا صلى الفجر جاءه القراء فقرؤوا عليه وكان أبو حصين

أمامهم فقال الأعمش يوماً أن أبا حصين يتعلم القراءة منا لا يقوم من مجلسه كل يوم حتى يفرغ ويتعلم بغير شكر ثم قال لرجل ممن يقرأ عليه إن أبا حصين يكثر أن يقرأ بالصافات في صلاة الفجر فإذا كان غدا فاقرأ على الصافات واهمز الحوت فلما كان من الغد قرأ عليه الصافات وهمز الحوت و لم يأخذ عليه الأعمش فلما كان بعد يومين أو ثلاثة قرأ أبو حصين بالصافات في الفجر فلما بلغ الحوت همز فلما فرغوا من صلاتهم ورجع الأعمش إلى مجلسه دخل عليه بعض إخوانه فقال له الأعمش يا أبا فلان لو صليت معنا الفجر لعلمت ما لفي الحوت من هذا المحراب فعلم أبو الحصين ما الذي فعل به فأمر بالأعمش فسحب حتى أخرج من المسجد قال وكان أبو حصين عظيم القدر في قومه من بني أسد.

أخبرنا أبو الحسن المدايني قال جاء رجل إلى الأعمش فقال يا أبا محمد اكتريت حماراً بنصف درهم فأتيتك لا سألك عن حديث كذا وكذا فقال أكثر بالنصف وارجع ومن المنقول عن أبي حنيفة رضى الله تعالى عنه أخبرنا ابن المبارك قال رأيت أبا حنيفة في طريق مكة وشوى لهم فصيل ثمين فاشتهوا أن يأكلوه بخل فلم يجدوا شيا يصبون فيه الخل فتحيروا فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة وسكب الخل على ذلك الموضع فأكلوا الشواء بالخل فقالوا له تحسن كل شيء فقال عليكم بالشرك فإن هذا شيء ألهمته لكم فضلاً من الله عليكم.

حدثنا محمد بن الحسن قال دخل اللصوص على رجل فأخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثا أن لا يعلم أحداً قال فاصبح الرجل وهو لا يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر أن يتكلم من أجل يمينه فجاء الرجل يشاور أبا حنيفة فقال له أبو حنيفة أحضرني أمام حيك والمؤذن والمستورين منهم فأحضره إياهم فقال لهم أبو حنيفة هل تحبون أن يرد الله على هذا متاعه قالوا نعم قال فاجمعوا كل ذي فجر عندكم وكل متهم فأدخلوهم في دار أو في مسجد ثم أخرجوا وأحداً واحداً فقولوا هذا لصك فإن كان ليس بلصه وإن كان لصه فليسكت فإذا سكت فاقبضوا عليه ففعلوا ما أمرهم به أبو حنيفة فرد الله عليه جميع ما سرق منه.

حدثنا حسين الأشقر قال كان بالكوفة رجل من الطالبين من خيارهم فمر بأبي حنيفة فقال له أين تريد قال أريد ابن أبي ليلى قال فإذا رجعت ناحب أن أراك وكانوا يتبركون بدعائه فمضى إلى ابن أبي ليلى ثلاثة أيام وإذ رجع مر بأبي حنيفة فدعاه وسلم عليه فقال له أبو حنيفة ما جاء بك ثلاثة أيام إلى ابن أبي ليلى فقال شيء كتمته الناس فأملت أن يكون لي عنده فرج فقال أبو حنيفة قل ما هو قال أبي رجل موسر وليس لي من الدنيا إلا ابن كلما زوجته امرأة طلقها وإن اشتريت له جارية اعتقها قال فما لي ما عندي في هذا شيء فقال أبو حنيفة اقعد عندي حتى أخرجك من ذلك فقرب إليه ما حضر عنده فتغدى

عنده ثم قال له ادخل أنت وابنك إلى السوق فأي جارية أعجبته ونالت يدك ثمنها فاشترها لنفسك لا تشترها له ثم زوجها منه فإن طلقها رجعت إليك وإن اعتقها لم يجز عتقه وإن ولدت ثبت نسبه إليك قال وهذا جائز قال نعم هو كما قلت فمر الرجل إلى ابن أبي ليلى فأخبره فقال هو كما قال لك، وعن أبي يوسف قال دعا المنصور أبا حنيفة، فقال الربيع حاجب المنصور وكان يعادي أبا حنيفة يا أمير المؤمنين هذا أبو حنيفة يخالف جدك كان عبد الله بن عباس يقول إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء وقال أبو حنيفة لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين إن الربيع يزعم أن ليس لك في رقاب جندك بيعة قال وكيف قال يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيتثنون فتبطل أيمانهم فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تعرض لأبي حنيفة فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع أردت أن تشيط بدمي قال لا ولكنك أردت أن تشيط بدمي فخلصتك وخلصت نفسي.

حدثنا عبد الواحد بن غياث قال كان أبو العباس الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة وكان أبو حنيفة يعرف ذلك فأقبل عليه فقال يا أبا حنيفة إن أمير المؤمنين يدعو الرجل منا فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو أيسعه أن يضرب عنقه فقال يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أو الباطل قال بالحق قال انفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه إن هذا أراد أن يوثقني فربطته. حدثنا علي بن عاصم قال دخلت على أبي حنيفة وعنده حجام يأخذ من شعره فقال للحجام تتبع مواضع البياض لا تزد قال و لم، قال لأنه يكثر فتتبع مواضع السواد لعله يكثر.

حدثنا يحيى بن جعفر قال سمعت أبا حنيفة يقول احتجت إلى ماء بالبادية فجاءني أعرابي ومعه قربة من ماء فأبى أن يبيعها إلا بخمسة دراهم فدفعت إليه خمسة دراهم وقبضت القربة ثم قلت يا أعرابي ما رأيك في السويق فقال هات فأعطيته سويقاً ملتوياً بالزيت فجعل يأكل حتى امتلأ ثم عطش فقال شربة قلت بخمسة دراهم فلم أنقصه من خمسة دراهم على قدح من ماء فاستردت الخمسة وبقي معي الماء.

حدثنا عبد المحسن ابن علي قال ذكر أبو حنيفة وفطنته فقال استودع رجل من الحجاج رجلاً بالكوفة وديعة فحج ثم رجع فطلب وديعته فأنكر المستودع وجعل يحلف له فانطلق الرجل إلى أبي حنيفة يشاوره فقال لا تعلم أحداً بجحوده قال وكان المستودع يجالس أبا حنيفة فخلا به وقال له أن هؤلاء قد بعثوا يستشيروني في رجل يصلح للقضاء فهل تنشط فتمانع الرجل قليلاً وأقبل أبو حنيفة يرغبه فانصرف على ذلك وهو طمع ثم جاء صاحب الوديعة فقال له أبو حنيفة اذهب إليه وقل له أحسبك نسيتني أودعتك في وقت كذا والعلامة كذا قال فذهب الرجل فقال له فدفع إليه الوديعة فلما رجع المستودع قال أبو حنيفة أني نظرت في أمرك فأردت أن أرفع قدرك ولا اسميك حتى يحضر ما هو أجل من هذا.

حدثنا ابن الوليد قال كان في جوار أبي حنيفة فتى يعتني مجلس أبي حنيفة ويكثر الجلوس عنده فقال يوماً لأبي حنيفة أني أريد التزويج إلى فلان من أهل الكوفة وقد خطبت إليهم وقد طلبوا مني من المهر فوق وسعي وطاقتي وقد تعلقت نفسي بالتزويج فقال أبو حنيفة فاستخر الله تعالى وأعطهم ما يطلبونه منك فأجابهم إلى ما طلبوه فلما عقدوا النكاح بينهم وبينه جاء إلى أبي حنيفة فقال له أني قد سألتهم أن يأخذوا مني البعض وليس في وسعي الكل وقد أبوا أن يحملوها إلا بعد وفاء الدين كله فماذا ترى قال احتل وافترض حتى تدخل بأهلك فإن الأمر يكون أسهل عليك من تشدد هؤلاء القوم ففعل ذلك واقرضه أبو حنيفة فيمن اقرضه فلما دخل بأهله وحملت إليه قال أبو حنيفة ما عليك أن تظهر أنك تريد الخروج عن هذا البلد إلى موضع بعيد وأنك تريد أن تسافر بأهلك معك فاكترى الرجل جملين وجاء بهما وأظهر أنه يريد الخروج إلى خراسان في طلب المعاش وأنه يريد حمل أهله معه فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاؤوا إلى ابن حنيفة ليسألوه ويستعينوه في ذلك فقال لهم أبو حنيفة له أن يخرجها ليسألوه ويستعينوه في ذلك فقال لهم أبو حنيفة له أن يخرجها إلى حيث شاء قالوا له ما يمكننا أن ندعها تخرج فقال لهم أبو حنيفة فأرضوه بأن تردوا عليه ما أخذتموه منه فأجابوه إلى ذلك فقال أبو حنيفة للفتى أن القوم قد سمحوا أن يردوا عليك ما أخذوه منك من المهر ويبرؤك منه فقال له الفتى وأنا أريد منهم شيئاً آخر فوق ذلك فقال أبو حنيفة أيما أحب إليك أن ترضى بهذا الذي بذلوه لك وإلا أقرت المرأة لرجل بدين لا يمكنك أن تحملها ولا تسافر بها حتى تقضي ما عليها من الدين قال فقال الرجل الله الله لا يسمعوا بهذا فلا آخذ منهم شيا فأجاب إلى الجلوس وأخذ ما بذلوه من المهر.

أخبرنا أحمد بن الدقاق قال بلغني أن رجلاً من أصحاب أبي حنيفة أراد أن يتزوج فقال أهل المرأة نسأل عنه أبا حنيفة فأوصاه أبو حنيفة فقال إذا دخلت علي فضع يدك على ذكرك ففعل ذلك فلما سألوه عنه قال قد رأيت في يده ما قيمته عشرة آلاف درهم. وبلغنا أن رجلاً جاء إلى أبي حنيفة فشكا له أنه دفن مالاً في موضع ولا يذكر الموضع فقال أبو حنيفة ليس هذا فقهاً فاحتال لك فيه ولكن اذهب فصل الليلة إلى الغداة فإنك ستذكره إن شاء الله تعالى ففعل الرجل ذلك فلم يمض إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره فقال قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى تذكر فهلا أتممت ليلتك شكر الله عز وجل ومن المنقول عن ابن عون قال أبو بكر القرشي حدثنا ابن مثنى أن ابن عون كان في جيش فخرج رجل من المشركين فدعا للبراز فخرج إليه ابن عون وهو متلثم فقتله لم اندس فجهد الوالي أن يعرفه فمل يقدر عليه فنادى مناديه أعزم على من قتل هذا المشرك إلا جاءني فجاءه ابن عون فقال وما على الرجل أن يقول أنا قتلته. وعن يحيى بن يزيد قال جاء شرطي يطلب رجلاً من مجلس ابن عون فقال يا أبا عون فلاناً رأيته قال ما في كل الأيام يأتينا فذهب وتركه ومن المنقول عن هشام بن

الكلبي أخبرنا محمد بن أبي السرى قال قال لي هشام بن الكلبي حفظت ما لم يحفظ أحد ونسيت ما لم ينسه أحد كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن فدخلت بيتاً وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام ونظرت يوماً في المرآة فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة ومن المنقول عن عمارة بن حمزة بلغنا عن عمارة بن حمزة أنه دخل على المنصور فجلس على مرتبته المرسومة له فقام رجل فقال مظلوم يا أمير المؤمنين فقال من ظلمك قال عمارة غصبني ضيعتي فقال المنصور قم يا عمارة فاجلس مع خصمك قال ما هو لي بخصم قال وكيف وهو يتظلم منك قال إن كانت لي فقد تركتها له ولا أقوم من مجلس شرفني أمير المؤمنين بالرفعة فيه فاجلس في أدناه بسبب ضيعة ومن المنقول عن ابن المبارك رضى الله عنه قال ابن حميد قال عطس رجل عند ابن المبارك فلم يحمد الله فقال له ابن المبارك أي شيء يقول العاطس إذا عطس قال الحمد لله قال يرحمك الله.

ومن المنقول عن أبي يوسف رحمه الله تعالى حدثنا علي بن المحسن التنوخي عن أبيه قال حدثني أبي قال كان عند الرشيد جارية من جواريه وبحضرته عقد جوهر فأخذ يقلبه ففقده فاتهمها فسأله عن ذلك فأنكرت فحلف بالطلاق والعتاق والحج لتصدقته فأقامت على الإنكار وهو متهم لها وخاف أن يكون قد حنث في يمينه فاستدعى أبا يوسف وقص عليه القصة فقال أبو يوسف بتخليني مع الجارية وخادم معنا حتى أخرجك من يمينك ففعل ذلك فقال لها أبو يوسف إذا سألك أمير المؤمنين عن العقل فأنكريه فإذا أعاد عليك السؤال فقولي قد أخذته فإذا أعاد عليك الثالثة فأنكري وخرج فقال للخادم لا تقل لأمير المؤمنين ما جرى وقال للرشيد سلها يا أمير المؤمنين ثلاث دفعات متواليات عن العقد فإنها تصدقك فدخل الرشيد فسألها فأنكر أول مرة وسألها الثانية فقالت تصدقك فدخل الرشيد فسألها فأنكرت أول مرة وسألها الثانية فقالت نعم قد أخذته فقال أي شيء تقولين فقالت والله ما أخذته ولكن هكذا قال لي أبو يوسف فخرج إليه فقال ما هذا قال يا أمير المؤمنين قد خرجت من يمينك لأنها أخبرتك أنها قد أخذته وأخبرتك أنها لم تأخذه فلا يخلو أن تكون صادقة في أحد القولين وقد خرجت أنت من يمينك فسر ووصل أبا يوسف فلما كان بعد مدة وجد العقد وبلغنا أن الرشيد قال لأبي يوسف ما تقول في الفالوذج واللورينج أيها أطيبن فقال يا أمير المؤمنين لا أقضي بين غائبين عني فأمر بإحضارهما فجعل أبو يوسف يأكل من هذا لقمة ومن ذاك أخرى حتى نصف جاميهما ثم قال يا أمير المؤمنين ما رأيت خصمين أجدل منهما كلما أردت أن أسجل لأحدهما أدلى الآخر بحجة.

ومن المنقول عن يزيد بن هارون قال أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان قال قال لي يزيد بن هارون أنت أثقل عندي من نصف رحى البزر قلت يا أبا خالد لم لم تقل من الرحى كله فقال أنه إذا كان

صحيحاً تدحرج وإذا كان نصفاً لم يرفع إلا بجهد ومن المنقول عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه حدثنا الحسن بن الصياح قال لما أن قدم الشافعي إلى بغداد وأوفق عقد الرشيد للأمين والمأمون على العهد قال فبكر الناس ليهنوا الرشيد فجلسوا في دار العامة ينتظرون الأذن فجعل الناس يقولون كيف ندعو لهما فإنا إذا فعلنا ذلك كان دعاء على الخليفة وإن لم ندعو لهما كان تقصيراً قال فدخل الشافعي فجلس فقيل له في ذلك الله الموفق فلما إذن دخل الناس فكان أول متكلم فقال:

لا قصراً عنها ولا بلغنها حتى يطول على يديك طولها

قال عبد العزيز بن أبي رجاء سمعت الربيع يقول مرض الشافعي فدخلت عليه فقلت يا أبا عبد الله قوى الله ضعفك فقال يا أبا محمد والله لو قوى الله ضعفي على قوتي أهلكني قلت يا أبا عبد الله ما أردت إلا الخير لو دعوت الله ما أردت إلا الخير فقال لو دعوت الله على لعلمت أنك لم ترد إلا الخير قال المؤلف من فقه الشافعي رضى الله عنه أنه أخذ بظاهر اللفظ فعلم أنه إذا نوى الضعف حصل الأذى وقد جاءني حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه علم رجلاً دعاء فقال قل اللهم قوفي رضاك ضعفي إلا أن معناه قوماً ضعف وفي هذا نوع تجوز والربيع تجوز والشافعي قصد الحقيقة.

حدثنا الربيع قال رأيت الشافعي وقد جاءه رجل يسأله عن مسألة فقال من أهل صنعاء أنت قال نعم قال فلعلك حداد قال نعم. حدثنا حرملة بن يحيى قال سمعت الشافعي وقد سأله رجل فقال حلفت بالطلاق أن أكلت هذه الثمرة أو رميت بها قال تأكل نصفها وترمي نصفها.

قال المؤلف وهذا المنقول عن الشافعي هو قول أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه وقد ذكر أصحابنا من جنس هذه المسألة كثيراً لا يكاد يتنبه له في الفتوى إلا الفطن فتذكر منه ههنا مسائل لأن ذكر مثل هذا ينبه الفطن فمنها إذا قال لزوجته وهي في ماء أن أقمت في هذا الماء فأنت طالق وأن خرجت منه فأنت طالق فإننا ننظر فإن كان الماء جارياً ولا نية له لم تطلق سواء خرجت أو أقامت وإن كان راكداً فالحيلة أن تحمل في الحال مكرهة فإن كانت على سلم فقال لها إن صعدت فيه أو نزلت أو أقمت أو رميت نفسك أو حطك أحد فأنت طالق فإنها تنتقل إلى سلم آخر فإن أكل رطباً كثيراً قم قال أنت طالق إن لم تخبريني بعدد ما أكلت فخلاصها أن تعد من واحد إلى عدد يتحقق إن ما أكله قد دخل فيه فإن أكل رطباً فقال لها أنت طالق إن لم تميزي نوى ما أكلت من نوى ما أكلت وقد اختلط فإنها تفرد كل نواة على حدة فإن قال لها أنت طالق أن لم تصدقيني هل سرقت مني أم لا فإنها إذا قالت سرقت ما سرقت لم تطلق فإن كان له ثلاث زوجات فاشترى لهن خمارين فاختصمن عليهما قال أنتن طوالق إن لم

تختمر كل واحدة منكن عشرين يوماً في هذا الشهر فالوجه أن تختمر الكبرى والوسطى بالخمارين عشرة أيام ثم تدفع الكبرى الخمار إلى الصغرى ويبقى خمار الوسطى إلى تمام عشرين يوماً ثم تأخذ الكبرى خمار الوسطى إلى تمام الشهر مسألة إذا سافر بالنسوة سفراً قدره ثلاثة فراسخ ومعه بغلان فاختصمن على الركوب فحلف بالطلاق لتركبن كل واحدة منكن فرسخين فتركب الكبرى والوسطى فرسخاً ثم تنزل الوسطى وتركب الكبرى مكانها وتركب الصغرى مكان الوسطى إلى تمام المسافة وتركب الوسطى مكان الكبرى عند تمام الفرسخين والله أعلم مسألة إذا حمل إلى بيته ثلاثين قارورة عشرة ملأى وعشرة في كل واحدة نصفها وعشرة فرغ ثم قال انتن طوالق إن لم أقسمها بينكن بالسوية من غير أن استعين على القسمة بميزان ولا مكيال فإنه يملأ خمساً من المنصفات بالخمس الآخر ثم يدفع إلى كل واحدة خمسة مملوءة وخمسة فرغاً فإن رأى مع زوجته إناء فيه ماء فقال اسقنيه فامتنعت فحلف بالطلاق لا شربت هذا الماء ولا أرقيته ولا تركتيه في الإناء ولا فعل غير ذلك فالحيلة أن تطرح في الإناء ثوباً يشرب الماء ثم يجفف في الشمس فإن حلف رجل إن امرأته بعثت إليه قد حرمت عليك وتزوجت بغيرك وأوجبت عليك أن تبعث بالمملوك في تجارة فمات الأب فإن البنت ترثه وينفسخ نكاح العبد وتقضي العدة وتتزوج برجل فتبعث إليه أنفذ لي المال الذي معك فهو لي.

فإن كان له زوجتان أحدهما في الغرفة والأخرى في الدار فصعد في الدرجة فقالت كل واحدة إلي فحلف لا صعدت إليك ولا نزلت إليك ولا أقمت مكاني ساعتي هذه فإن التي في الدار تصعد والتي في الغرفة تنزل وله أن يصعد أو ينزل إلى أيتهما شاء، فإن حلف على زوجته لا أدخل بيتك بارية ولا وطئتك إلا على بارية فوطئها في البيت و لم يحنث فوجهه أن يحمل إلى بيته قصباً وينسج له الصانع بارية في البيت ويطأها عليه فإن حلف لا بد أن يطأ زوجته نهار يوم ولا يغتسل فيه من جنابة مع قدرته على استعمال الماء ولا تفوته الصلاة في الجماعة مع الإمام فإنه يصلي مع الإمام الفجر والظهر والعصر ومن يطأ بعد العصر فإذا غربت الشمس اغتسل وصلى مع الإمام فإن حلف إني رأيت رجلاً يصلي أمام بنفسين وهو صائم فالتفت عن يمينه فنظر إلى قوم يتحدثون فحرمت عليه امرأته وبطل صومه ووجب جلد المأمومين ونقض الجامع فهذا رجل تزوج بامرأة قد غاب زوجها وشهد المأموما بوفاته وأنه وصى بداره أن تجعل مسجداً وكان مقيماً صائماً فالتفت فرأى زوج المرأة قد قدم والناس يقولون خرج يوم الصوم وجاء يوم العيد وهو لم يعلم بأن هلال شوال قد رؤى إلى جانبه ماء وعلى ثوبه نجاسة فإن المرأة تحرم عليه بقدوم زوجها وصومه يبطل بكون اليوم عيداً وصلاته تبطل برؤية الماء ويجلد الرجلان لكونهما شاهدي زور ويجد نقض المسجد لأن الوصية ما صحت والدار لمالكها، فإن كان عنده تمر وتين وزبيب ووزن الجميع عشرين رطلاً فحلف أنه باع التمر كل رطل بنصف درهم والتين كل رطل بدرهمين والزبيب كل رطل

بثلاثة دراهم فجاء ثمن الجميع عشرين درهماً فإنه قد كان الثمر أربع عشرة رطلا والتين خمسة أرطال والزبيب رطل واحد.

ومن المنقول عن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي قال محمد بن يحيى النديم حدثنا المبرد قال سأل المأمون يحيى بن المبارك عن شيء فقال لا وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين فقال لله درك ما وضعت واوقط موضعاً أحسن منها في هذا الموضع ووصله وجمله ومن المنقول عن أبي العيناء أخبرنا محمد بن يحيى قال حدثنا أبو العيناء قال، قال المتوكل قد أردتك لمجالستي فقلت لا أطيق ذلك ولا أقول هذا جهلاً بمالي في هذا المجلس من الشرف ولكنني محجوب والمحجوب تختلف إشارته ويخفى عليه الإيماء ويجوز أن يتكلم بكلام غضبان ووجهك راض وبكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم أميز هذين هلكت قال صدقت ولكن تلزمنا فقلت لزوم الفرض الواجب فوصلني بعشرة آلاف درهم.

قال وروى أن المتوكل قال أشتهي أن أنادم أبا العيناء لولا أنه ضرير فقال أبو العيناء أن عفاني أمير المؤمنين من رؤية الهلال ونقش الخواتم فإن أصلح وبلغنا عن أبي العيناء أنه شكا تأخر رزقه إلى عبد الله بن سليمان فقال ألم يكن كتبنا لك إلى فلان فما فعل في رأيك قال جرني على شوك المطل قال أنت اخترته قال وما علي وقد اختار موسى قومه سبعين رجلاً فما كان فيهم رشيد فأخذتهم الرجفة واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً فلحق بالكفار مرتداً واختار على أبا موسى فحكم عليه.

شكا بعض الوزراء كثرة الأشغال فقال أبو العيناء لا رآني الله يوم فراغك وقيل لأبي العيناء بقي من يلقى قال نعم في البئر وسأل أبو العيناء عن حماد بن زيد بن درهم وعن عماد بن سلمة ابن دينار فقال بينهما في القدر ما بين أبواهما في الصرف ومن المنقول عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري حدثنا غلام لابن المرزوق البغدادي قال كان مولاي مكرماً لي فاشترى جارية وزوجنيها فأحببتها حباً شديداً وأبغضتني بغضاً شديداً عظيماً وكانت تنافرني دائماً واحتملها إلى أن أضجرتني يوماً فقلت لها أنت طالق ثلاثاً أن خاطبتيني بشيء إلا خاطبتك بمثله فقد أفسدك احتمالي لك فقالت لي في الحال أنت طالق ثلاثا بتاتاً قال فأبلست و لم أدر ما أجيبها به خوفاً أن أقول لها مثل ما قالت فتصير بذلك طالقاً مني فأرشدت إلى أبي جعفر الطبري فأخبرته بما جرى فقال أقم معها بعد أن تقول لها أنت طالق ثلاثاً أن أنا طلقتك فتكون قد خاطبتك به فوفيت بيمينك و لم تطلقها ولا تعاود الإيمان. ومن المنقول عن علي بن عيسى الربيع أنه كان يمشي على دجلة فرأى الرضى والمرتضى في سفينة ومعهما عثمان بن جنى فقال من أجب أحوال الشريفين أن يكون عثمان جالساً بينهما وعلي يمشي على الشط بعيداً عنهما.

ومن المنقول عن أبي الوفاء بن عقيل رضي الله عنه حدثني أزهر بن عبد الوهاب قال جاء رجل إلى ابن

عقيل فقال إني كلما انغمس في النهر غمستين وثلاثاً لا أتيقن أنه قد غمسني الماء ولا أني قد تطهرت فكيف أصنع قال له لا تصل فقيل له كيف قلت هذا قال لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى ينتبه وعن المجنون حتى يفيق ومن ينغمس في النهر مرة أو مرتين أو ثلاثاً ويظن أنه ما اغتسل فهو مجنون.

قال حدثني أبو حكيم ابراهيم بن دينار عن ابن عقيل قال بلغني أن السلطان محمد بن علي عزم على القدوم إلى بغداد فخرجت متطيلساً فجلست على تل في طريقه فلما وصل سأل عني فقيل هذا ابن عقيل فانحرف فترل وجلس معي وقال كنت أحب أن ألقاك وسألني عن مسائل في الطهارة ثم قال لخادمه أي شيء معك فأخرج خمسين دينار فقال تقبل هذه فقلت لست بمحتاج فإن أمير المؤمنين لا يحوجني إلى أحد ولا أقبلها فلما انصرفت إلى المترل إذا خادم قد جاءني بمال من عند الخليفة وشكر فعلى قال وأنا علمت إن ثم من هو عين للخليفة يخبره بما جرى، وبلغني عن ابن عقيل أنه تعوق يوماً فاستوحشوا له فقال أنا صليت عند المنارة وإنما عنى صناديق بيته ومنارة بيته ومن المنقول عن بعض الفقهاء إن رجلاً قال له إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر اغتسل أتوجه إلى القبلة أم إلى غيرها قال توجه إلى ثيابك التي نزعتها.

الباب الرابع عشر

في سياق المنقول من ذلك عن العباد والزهاد

حدثنا جعفر الخلدي قال سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول اعتللت بطرسوس علة الذرب فدخل على هؤلاء القراء يعودوني فجلسوا فأطالوا فآذاني جلوسهم ثم قالوا إن رأيت أن تدعو الله فمددت يدي فقلت اللهم علمنا أدب العيادة حدثنا أبو الحسين محمد بن عبد الله بن جعفر الرازي قال سمعت يوسف بن الحسين يقول قيل لي إن ذا النون يعرف اسم الله الأعظم فدخلت مصر وخدمته سنة ثم قلت يا أستاذي أني قد خدمتك وقد وجب حقي عليك وقيل لي أنك تعرف اسم الله الأعظم وقد عرفتني ولا تجد له موضعاً مثلي فأحب أن تعلمني إياه قال فسكت عني ذو النون و لم يجبني وكأنه أومأ إلي أنه يخبرني قال، فتركني بعد ذلك ستة أشهر ثم أخرج لي من بيته طبقاً ومكبة مشدوداً في منديل وكان ذو النون يسكن الجيزة فقال تعرف فلاناً صديقنا من الفسطاط قلت نعم قال فأحب أن تؤدي هذا إليه قال فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشي طول الطريق وأنا متفكر فيه مثل ذي النون يوجه إلى فلان هدية ترى أي شيء هي فلم أصبر إلى أن بلغت الجسر فحللت المنديل ورفعت المكبة فإذا فارة قفزت من الطبق ومرت

قال فاغتظت غيظاً شديداً وقلت ذو النون يسخر بي ويوجه مع مثلي فارة فرجعت على ذلك الغيظ فلما أن رآني عرف ما في وجهي فقال يا أحمق إنما جربناك ائتمنتك على فارة فخنتني أفأئتمنك على اسم الله الأعظم مر عني فلا أراك.

الباب الخامس عشر

في سياق المنقول من ذلك عن العرب

وعلماء العربية

حدثنا علي بن المغيرة قال لما حضرت نزار بن معد الوفاة قسم ماله بين بنيه وهم أربعة مضر وربيعة وإياد وأنمار فقال يا بني هذه القبة الحرماء وهي من آدم وما أشبهها من المال لمضر فسمي مضر الحمراء وهذا الخباء الأسود وما أشبه من المال لربيعة فأخذ خيلادهما فسمى ربيعة الفرس وهذه الخادم وما أشبه من المال لربيعة فأخذ خيلادهما فسمى ربيعة الفرس وهذه الخادم وما أشبهها من المال لأياد وكانت الخادم شمطاء فأخذ إياد البلق وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه فأخذ أنمار ما صار له وقال لهم إن أشكل الأمر عليكم في ذلك واختلفتم في القسمة فعليكم بالأفعى الجرهمي فاختلفوا فتوجهوا إلى الأفعى فبينما هم يسيرون إذ رأى مضر كلاء قد رعى إياد وهو ابتر وقال أنمار وهو شرود فلم يسيروا إلا قليلاً حتى لقيهم رجل توضع به راحلته فسألهم عن البعير فقال مضر هو أعور قال نعم قال ربيعة هو أزور قال نعم قال إياد هو ابتر قال نعم قال أنمار هو شرود قال نعم هذه والله صفة بعيري دلوني عليه فحلفوا له أنهم ما رأوه فلزمهم وقال كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته فساروا حتى قدموا على نجران فترلوا بالأفعى الجرهمي فنادى صاحب البعير أصحاب بعيري وصفوا لي صفته ثم قالوا لم نره فقال الجرهمي كيف وصفتموه و لم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانباً ويدع جانباً فعرفت أنه أعور وقال ربيعة رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئته لا زوراره وقال إياد عرفت بتره باجتماع بعره ولو كان ذيالاً لمصع بعره به وقال أنمار عرفت أنه شرود أنه كان يرعى في المكان الملتف نبته ثم يجوز إلى مكان آخر أرق منه وأخبث فقال الشيخ ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم من هم فأخبروه فرحب بهم وقال تحتاجون إلي وأنتم كما أرى فدعا فلهم بطعام فأكل وأكلوا وشرب وشربوا فقال مضر لم أر كاليوم خمراً أجود لو لا أنها على قبر وقال ربيعة لم أر كاليوم مضر لم أر كاليوم خمراً أجود لولا أنها على قبر وقال ربيعة لم أر كاليوم لحماً أطيب لولا أنه ربي بلبن كلبة وقال إياد لم أر كاليوم

رجلاً سرياً لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعي له وقال أنمار لم أر كاليوم كلاماً أنفع من حاجتنا فلما سمع صاحبهم كلامهم فقال ما هؤلاء إلا شياطين فسأل أمه فأخبرته أنها كانت تحت ملك ولا يولد له ولد فكرهت أن يذهب الملك فأسكنت رجلاً نزل بهم من نفسها فوطئها وقال للقهرمان للخمر التي شربناها ما أمرها قال من حبة غرستها على قبر أبيك وسأل الراعي عن اللحم ما أمره فقال شاة أرضعناها من لبن كلبة و لم يكن ولد في الغنم شيء غيرها فأتاهم فقال قصوا قصتكم فقصوا عليه ما وصى به أبوهم وما كان من اختلافهم فقال ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر فصارت له الدنانير والغبل وهن حمر فسميت مضر الحمراء وما أشبه الخباء الأسود من دابة ومال فهو لربيعة فصارت له الخيل ويه دعم فسمي ربيعة الفرس وما أشبه الخادم وكانت شمطاء من مال فيه بلق فهو لإياد فصارت له الماشية البلق من الخيل والبقر وقضى لأنمار بالدراهم والأرض فساروا من عنده على ذلك قال مؤلف الكتاب واعلم أن العرب تضرب المثل للذكي بالدهاء فيقولون ادعى من قيس بن زهير وهو سيد عبس وكان شديد الذكاء ومن كلامه أربعة لا يطاقون عبد ملك ونذل شبع وأمة ورثت وقبيحة تزوجت.

عن الشعبي قال خرج عمرو بن معد يكرب يوماً حتى انتهت إلى حي فإذا بفرس مشدودة ورمح مركوز وإذا صاحبه في وهدة يقضي حاجته فقلت له خذ حذرك فإن قاتلك قال ومن أنت قلت عمرو بن معد يكرب قال يا أبا ثور ما أنصفتني أنت على ظهر فرسك وأنا في بئر فأعطني عهداً إنك لا تقتلني حتى أركب فرسي وآخذ حذري فأعطيته عهداً أن لا أقتله حتى يركب فرسه ويأخذ حذره فخرج من المواضع الذي كان فيه حتى أحتبي بسيفه وجلس فقلت له ما هذا قال ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك فإن كنت نكثت عهداً فأنت أعلم فتركته ومضيت فهذا أحيل من رأيت.

عن أبي حاتم الأصمعي قال حدثنا شيخ من بني العنبرة قال أسرت بني شيبان رجلاً من بني العنبر فقال لهم أرسل إلى أهلي ليفدوني قالوا ولا تكلم الرسول إلا بين أيدينا فجاؤوه برسول فقال له ائت قومي فقل لهم أن الشجر قد أورق وأنا لنساء قد اشتكت ثم قال له أتعقل قال نعم اعقل قال فما هذا وأشار بيده فقال هذا الليل قال أراك تعقل انطلق فقل لأهلي عروا جملي الأصهب واركبوا ناقتي الحمراء وسلوا حراثة عن أمري فأتاهم الرسول فأرسلوا إلى حارثة فقص عليهم الرسول القصة فلما خلا معهم قال أما قوله أن الشجر قد أورق فإنه يريد أن القوم قد تسلحوا وقوله أن النساء قد اشتكت فإنه يريد أنها قد اتخذت الشكا للغزور وهي الأسقية وقوله هذا الليل يريد يأتوكم مثل الليل أو في الليل وقوله عروا جملي الأصهب يريد ارتحلوا عن الصمان وقوله اركبوا ناقتي يريد اركبوا الدهناء فلما قال لهم ذلك تحملوا من مكانهم فأتاهم القوم فلم يجدوا منهم أحد.

قال مؤلف الكتاب وبلغني عن أبي الأعرابي قال أسرت طيء رجلاً شاباً من العرب فقدم عليه أبوه وعمه ليفدياه فاشتطوا عليهما في الفداء فأعطيا به عطية لم يرضوها فقال أبوه لا والذي جعل الفرقدين يصبحان ويمسيان على جبل طيئ لا أزيدكم على ما أعطيتكم ثم انصرفا فقال الأب لقد ألقيت إلى ابني كلمة لئن كان فيه خير لينجون فما لبث أن جاء وطرد قطعة من أبلهم فذهب بها كأنه قال له الزم الفرقدين على جبل طيئ فإنهما طالعان عليه ولا يغيبان عنه.

حدثنا ابن الأعرابي عن بعض مشايخه أن رجلاً من بني تميم كانت له ابنة جميلة وكان غيوراً فابتنى لها في داره صومعة وجعلها فيها وزوجها من أكفائه من بني عمها وأن فتى من كنانة مر بالصومعة فنظر إليها ونظرت إليه فاشتد وجد كل واحد منهما بصاحبه و لم يمكنه الوصول إليها وأنه افتعل بيتاً من الشعر ودعا غلاماً من الحي فعلمه البيت وقال له ادخل هذه الدار وانشد كأنك لاعب ولا ترفع رأسك ولا تصوبه ولا تومئ في ذلك إلى أحد ففعل الغلام ما أمر به وكان زوج الجارية قد أزمع على سفر يوم أو يومين فأنشد الغلام يقول:

لحى الله من يلحي على الحب أهله ... ومن يمنع النفس اللجوج هواها

قال فسمعت الجارية ففهمت فقالت:

إلا إنما بين التفرق ليلة ... وتعطى هوس العاشقين مناها

قال فسمعت الأم ففهمت فأنشأت تقول:

إلا إنما تعنون ناقة رحلكم ... فمن كان ذا نوق لديه رعاها

قال فسمع الأبد فأنشأ يقول:

فأنا سنرعاها ونوثق قيدها ... ونطرد عنها الوحش حين أتاها

فسمع الزوج ففهم فأنشأ يقول:

سمعت الذي قلتم فها أنا مطلق ... فتاتكم مهجورة لبلاها

قال فطلقها الزوج وخطبها ذلك الفتى وأرغبهم في المهر فتزوجها.

حدثنا العتبي قال اشتد الحر عندنا بالبصرة ليلة وركدت الريح فقيل لإعرابي كيف هواؤكم البارحة قال امسك كأنه يستمع. حدثنا الربيع قال سمعت الشافعي يقول وقف إعرابي على قوم فقال رحمكم الله أبي من أبناء سبيل وأفضاء سفر فرحم الله امرأ أعطى من سعة وواسى من كفاف فأعطاه رجل درهماً فقال له آجرك الله من غير أن يبتليك عن ابن الأعرابي قال، قال رجل من الأعراب لأخيه أتشرب الخازر من اللبن ولا تتنحنح فقال نعم فتجاعلا جعلاً فلما شربه أذاه فقال كبش أملح ونبت أقبح وأنا فيه أسجح فقال

أخوه قد تنحنحت فقال من تنحنح فلا أفلح.

حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال قدم إعرابي من أهل البادية على رجل من أهل البادية على رجل من أهل الحضر قال فأنزله وكان عنده دجاج كثير وله امرأة وابنان وابنتان منهما قال فقلت لامرأتي اشوي لي دجاجة وقدميها لنا نتغدى بها فلما حضر الغداء جلسنا جميعاً أنا وامرأتي وابناي وابنتاي والأعرابي قال فدفعنا إليه الدجاجة فقلنا اقسمها بيننا نريد بذلك أن نضحك منه قال لا أحسن القسمة فإن رضيتم بقسمتي قسمت بينكم قلنا فإنا نرضى قال فأخذ رأس الدجاجة فقطعه ثم ناولنيه وقال الرأس للرئيس ثم قطع الجناحين قال والجناحان للابنين ثم قطع الساقين فقال والساقان للابنتين ثم قطع الزمكي وقال العجز للعجوز ثم قال الزور للزائر فأخذ الدجاجة بأسرها فلما كان من الغد قلت لامرأتي أشوي لنا خمس دجاجات فلما حر الغداء قلنا اقسم بيننا قال أظنكم وجدتم من قسمتي أمس قلنا لا لم نجد فاقسم بيننا فقال شفعا أو وتراً قلنا وتراً قال نعم أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة ورمى بدجاجة ثم قال وابناك ودجاجة ثلاثة ورمى الثانية ثم قال وابنتاك ودجاجة ثلاثة ثم قال وأبناك ودجاجة ثلاثة ورمى الثانية ثم قال وابنتاك ودجاجة ثلاثة ثم قال وأنا ودجاجتان ثلاثة فأخذ الدجاجتين فرآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه قال ما تنظرون لعلكم كرهتم قسمتي الوتر ما تجيء إلا هكذا قلنا فاقسمها شفعا قال فقبضهن إليه ثم قال أنت وابناك ودجاجة أربعة ورمى إليه بدجاجة والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة ورمى إليهن بدجاجة ثم قال وأنا وثلاث دجاجات أربعة وضم إليه ثلاث دجاجات ثم رفع رأسه إلى السماء وقال الحمد لله أنت فهمتها لي.

قال قيل لأعرابي كيف أصبحت قال أصبحت وأرى كل شيء مني في إدبار وإدباري في إقبال.

حدثني مهدي بن سابق قال اقبل أعرابي يريد رجلاً وبين يدي الرجل طبق تين فلما أبصر الإعرابي غطى التين بكسائه والإعرابي يلاحظه فجلس بين يديه فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئاً قال نعم فاقرأ فقرأ والزيتون وطور سينين قال الرجل فأين التين قال التين تحت كسائك.

حدثنا عيسى بن عمر قال ولي إعرابي البحرين فجمع يهودها وقال ما تقولون في عيسى بن مريم قالوا نحن قتلناه وصلبناه قال فقال الإعرابي لا جرم فهل أديتم ديته فقالوا لا فقال والله لا تخرجون من عندي حتى تؤدوا إلي ديته فما خرجوا حتى دفعوها له.

حدثنا ابن قتيبة قال كان أبو العاج على حوالي البصرة فأتى برجل من النصارى فقال ما اسمك فقال بندار شهر بندار فقال أنتم ثلاثة وحزية واحدة لا والله العظيم فأخذ منه ثلاث حتى حزى قال وولى تبالة فصعد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال أن الأمير ولاني بلدكم وأني والله ما أعرف من الحق موضع

صوتي هذا ولن أوتي بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضرباً فكانوا يتعاطون الحق بينهم ولا يرتفعون إليه.
قال روى أن أعرابياً جاء إلى عمرو بن عبيد فقال له أن ناقتي سرقت فادع الله أن يردها علي فقال اللهم أن ناقة هذا الفقير سرقت و لم ترد سرقتها اللهم أرددها عليه فقال الأعرابي يا شيخ الآن ذهبت ناقتي ويئست منها قال وكيف قال لأنه إذا أراد أن لا تسرق فسرقت لم آمن أن يريد رجوعها فلا ترجع ونهض من عنده منصرفاً.
استأذن حاجب بن زرارة على كسرى فقال له الحاجب من أنت قال أنا رجل من العرب فإذن له فلما وقف بين يديه قال له من أنت قال سيد العرب قال أ لم تقل للحاجب أنا رجل منهم فلما وصلت إلى الملك سدهمم فقال كسرى زه احشوافاه درا، قال الجاحظ قال رجل لأعرابي أتهمز إسرائيل قال أني أذن لرجل سوء قال تجر فلسطين، قال أني إذن لقوي، قال كتب أبو صاعد الشاعر إلى الغنوى رقعة فيها:

رأيت في النوم إني مالك فرساً ... ولي نصيف وفي كفي دنانير
فقال قوم لهم علم ومعرفة ... رأيت خيراً وللأحلام تفسير
أقصص منامك في دار الأمير تجد ... تحقيق ذاك وللفال التباشير

فلما قرأها كتب في ظهرها أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين.
قال أنشد رجل أبا عثمان المازني شعراً له قال كيف تراه، قال أراك قد عملت عملاً بإخراج هذا من جوفك لأنك لو تركته لأورثك الشك.

قيل نزل إعرابي في سفينة فاحتاج إلى البراز فصاح الصلاة الصلاة فقربوا إلى الشط فخرج فقضى حاجته ثم رجع قال ادفعوا فعليكم بعد وقت. وقف أعرابي على قوم فسألهم عن أسمائهم فقال أحدهم اسمي وثيق وقال الآخر منيع وقال الآخر اسمي ثابت وقال الآخر أسمي شديد فقال الأعرابي ما أظن الأقفال عملت إلا من أسمائكم.
قال هشام بن عبد الملك يوماً لأصحابه من يسبني ولا يفحش وهذا المطرف له وكان فيهم أعرابي فقال القه يا أحول فقال خذه قاتلك الله، وقف أبو العيناء على باب صاعد فقيل له هو يصلي فانصرف وعاد فقيل له في الصلاة فقال لكل جديد لذة.
سئل الحسن لأي شيء استحب صوم أيام البيض فقال لا أدري فقال أعرابي في حلقته لكني أدري قال وما هو قال لأن القمر لا ينكسف إلا فيهن فأحب الله عز وجل أن لا يحدث في السماء أمر ألا حدثت له في الأرض عبادة.

حضر إعرابي مائدة سليمان بن عبد الملك فجعل يمد يديه فقال له الحاجب كل مما بين يديك فقال من أجدب انتجع فشق ذلك على سليمان وقال لا يعد إلينا. ودخل إعرابي آخر فمد يديه فقال له الحاجب كل مما يليك فقال من أخصب تخير فأعجب ذلك سليمان وقضى حوائجه.

حدث ابن المدبر قال انفرد الرشيد وعيسى بن جعفر بن المنصور والفضل بن الربيع في طريق الصيد فلقوا إعرابياً فصيحاً فولع به عيسى إلى أن قال له يا ابن الزانية فقال له بئسما قلت قد وجب عليك ردها أو العوض فارض بهذين المليحين بحكمان بيننا قال عيسى قد رضيت فقالا للأعرابي خذ منه دانقين عوضاً من شتمك فقال هذا الحكم قال نعم قال فهذا درهم خذوه وأمكم جميعاً زانية وقد أرجحت لكم بدل ما وجب لي عليكم فغلب عليهم الضحك وما كان لهم سرور في ذاك النهار إلا حديث الأعرابي وضمه الرشيد إلى خاصته. سمع إعرابي رجلاً يروي عن ابن عباس أنه قلا من نوى حجة وعاقه عنها عائق كتبت له فقال الأعرابي ما وقع العام كراء أرخص من هذا.

نظر إعرابي إلى البدر في رمضان فقال سمنت فأهزلتني أراني الله فيك السل. ودعا إعرابي على عامل فقال صب الله عليك الصادات يعني الصفع والصرف والصلب. وقال إعرابي اللهم من ظلمني مرة فاجزه ومن ظلمني مرتين فأحزني وأجزه ومن ظلمني ثلاث مرات فاجزني ولا تجزه وقال إعرابي لامرأته أين بلغت قدركم قالت قد قام خطيبها تعني الغليان. وقف المهدي على عجوز من العرب فقال لها ممن أنت فقالت من طيئ فقال ما منع طياً أن يكون فيهم آخر مثل حاتم فقالت مسرعة الذي منع الملوك أن يكون فيهم مثلك فعجب من سرعة جوابها وأمر لها بصلة. وقال الأصمعي سألت إعرابية عن ولدها كنت أعرفه مات والله قد آمنني الله بفقده المصائب ثم قالت:

وكنت أخاف الدهر ما كان باقياً فلما تولى مات خوفي من الدهر

سمع ابن الإعرابي رجلاً يقول أتوسل إليكم بعلي ومعاوية فقال له جمعت بين ساكنين.

حدثنا محمد بن سعد قال كان الهرمزان من أهل فارس فلما انقضى أمر جلولاً خرج يزد جرد من حلوان إلى أصبهان ثم أتى اصطخر ووجهه الهرمزان إلى بلدة تستر فضبطها وتحصن في القلعة وحاصرهم أبو موسى ثم أهل القلعة على حكم عمر فبعث أبو موسى بالهرمزان وعنه اثنا عشر أسيراً من العجم عليهم الديباج ومناطق الذهب وأسورة الذهب فقدم بهم المدينة في زيهم ذلك فجعل الناس يعجبون فأتوا بهم مترل عمر فلم يصادفوه فجعلوا يطلبونه فقال الهرمزان بالفارسية قد ضل ملككم فقيل لهم هو في المسجد فدخلوا فوجدوه نائماً متوسداً رداءه فقال الهرمزان إن هذا ملككم قالوا هذا الخليفة قال أماله حاجب ولا

حارس قالوا الله حارسه حتى يأتي عليه أجله فقال الهرمزان هذا الملك الهني فقال عمر الحمد لله الذي أذله هذا وشيعته بالإسلام فاستسقى الهرمزان فقال عمر لا يجمع عليك القتل والعطش فدعا له بماء فأمسك بيده فقال عمر اشرب لا بأس عليك أني غير قاتلك حتى تشربه فرمى بالإناء من يده فأمر عمر بقتله فقال أو لم تؤمني قال وكيف قال قلت لي لا بأس عليك فقال الزبير وأنس وأبو سعيد صدق فقال عمر قاتله الله أخذ أمانا ولا أشعر ثم أسلم بعد ذلك الهرمزان. عن عيد الملك بن عمير قال سمعت المغيرة بن شعبة يقول ما خدعني قط غير غلام من بني الحرث بن كعب فإني ذكرت امرأة منهم وعندي شاب من بني الحرث فقال أيها الأمير أنه لا خير لك فيها فقلت و لم قال رأيت رجلا يقبلها فأقمت أياماً ثم بلغني أن الفتى تزوج بها فأرسلت إليه فقلت ألم تعلمني انك رأيت رجلا يقبلها قال بلى رأيت أباها يقبلها فإذا ذكرت الفتى وما صنع غمني ذلك.

قال الهيثم وأخبرنا الفرات بن الأخنف بن مرح العبدي عن أبيه أن رجلا خكب إلى قوم فقالوا ما تعالج قال أبيع الدواب فزوجوه صم سألوا عنه فإذا هو يبيع السنانير فخاصموه إلى شريح فقال السنانير دواب وأنقذ تزويجه. أخبرنا الأصمعي أن محمد بن الحنيفة أراد أن يقدم الكوفة أيام المختار فقال المختار حين بلغه ذلك أن في المهدي علامة يضربه رجل في السوق بالسيف فلا يظهر فلما بلغ ذلك محمد أقام و لم يقدم الكوفة.

أخبرنا داود بن الرشيد قال قلت للهيثم بن عدي بأي شيء استحق سعيد بن عثمان أن ولاه المهدي القضاء وأنزله منه تلك المترلة الرفيعة قال أن خبره في اتصاله بالمهدي ظريف فإن أحببت شرحته لك قال قلت والله قد أحببت ذلك قال أعلم أنه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدي فقال استأذن على أمير المؤمنين فقال له الربيع من أنت وما حاجتك قال أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين رؤيا صالحة وقد أحببت أن تذكروني له فقال له الربيع يا هذا أن القوم لا يصدقون ما يرونه لأنفسهم فيكف ما يراه لهم غيرهم، فاحتل بحيلة هي أرد عليك من هذه فقال له إن لم تخبره بمكاني سألت من يوصلني إليه فأخبرته أني سألتك الأذن عليه فلم تفعل فدخل الربيع على المهدي فقال له يا أمير المؤمنين أنكم قد أطعمتم الناس في أنفسكم على المهدي فقال له يا أمير المؤمنين أنكم قد أطعمتم الناس في أنفسكم فقد احتالوا لكم بكل ضرب قال له هكذا صنع الملوك فما ذاك، قال رجل بالباب يزعم أنه قد رأى لأمير المؤمنين رؤيا حسنة وقد أحب أن يقصها عليه فقال له المهدي ويحك يا ربيع أني والله أرى الرؤيا لنفسي فلا تصح لي فيكف إذا ادعاها من لعلة قد افتعلها قال والله قلت له مثل هذا فلم يقبل قال هات الرجل فأدخل إليه سعيد بن عبد الرحمن وكان له رؤية وجمال ومروءة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان فقال له المهدي هات بارك الله

عليك ماذا رأيت قال رأيت يا أمير المؤمنين آتيا أتاني في منامي فقال لي أخبر أمير المؤمنين المهدي أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة وآية ذلك أنه يرى في ليلته هذه في منامه كأنه يقلب يواقيت ثم يعدها فيجدها ثلاثين ياقوتة كأنها قد وهبت له فقال المهدي ما أحسن ما رأيت ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما أخبرتنا به فإن كان الأمر على ما ذكرته أعطيناك ما تريد وإن كان الأمر بخلاف ذلك لعلمنا أن الرؤيا ربما صدقت وربما اختلفت قال له سعيد يا أمير المؤمنين فما أنا أصنع الساعة إذا صرت إلى مترلي وعيالي فأخبرهم إني كنت عند أمير المؤمنين ما أحب وأحلف له بالطلاق أني قد صدقت فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمر أن يؤخذ منه كفيل ليحضره من غد ذلك اليوم فقبض المال وقيل من يكفل بك فمد عينيه إلى خادم فرآه حسن الوجه والزي فقال هذا يكفل بي فقال له المهدي أتكفل به فاحمر وخجل وقال نعم وكفله وانصرف فلما كان في تلك الليلة رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفاً حرفاً وأصبح سعيد في الباب واستأذن فأذن له فلما وقعت عين المهدي عليه قال أين مصداق ما قلت لنا قال له سعيد وما رأى أمير المؤمنين شيئاً فضجع في جوابه فقال سعيد امرأتي طالق إن لم تكن رأيت شيئاً قال له المهدي ويحك ما أجرأك على الحلف بالطلاق قال لأنني أحلف على صدق قال له المهدي فقد والله رأيت مبيناً فقال له سعيد الله أكبر فأنجز يا أمير المؤمنين ما وعدتني قال له حبا وكرامة ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت ثياب من كل صنف وثلاثة مراكب من أنفس دوابه محلاة فأخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذيكان كفل به وقال له سألتك بالله هل كان لهذه الرؤيا التي ذكرتها من أصل قال له سعيد لا والله قال الخادم كيف وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته له قال هذه من المخاريق الكبار التي لا يأبه لها أمثالكم وذلك أني لما ألقيت إليه هذا الكلام خطر بباله وحدث به نفسه وأسر به قلبه وشغل به فكره فساعة نام خيل له ما حل في قلبه وما كان شغل به فكره في المنام قال له الخادم فقد حلفت بالطلاق قال طلقت واحدة وبقيت معي على اثنتين فأرد في مهر عشرة دراهم وأتخلص وأحصل على عشرة آلاف درهم وثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت من أصناف الثياب وثلاثة مراكب قال فبهت الخادم في وجهه وتعجب من ذلك فقال له سعيد قد صدقتك وجعلت صدقي لك مكافآتك على كفالتك بي فاستر على ذلك ففعل ذلك فطلبه المهدي لمنادمته فنادمه وحظي عنده وقلده القضاء على عسكر المهدي فلم يزل كذلك حتى مات المهدي قال مؤلف الكتاب هكذا رويت لنا هذه الحكاية.

عن عاصم الأحول قال حدثنا سمير أن رجلاً خطب امرأة وتحته أخرى فقالوا لا نزوجك حتى تطلق قال اشهدوا أني قد طلقت ثلاثاً فزوجوه وأقام على امرأته وادعى القوم الطلاق فقال لهم كيف قلت قالوا قلنا لا نزوجك حتى تطلق ثلاثاً فقلت اشهدوا أني قد طلقت ثلاثاً فقال أما تعلمونه أنه كان تحتي فلانة بنت

فلان فطلقتها قالوا بلى قال فقد طلقت ثلاثاً قالوا ما هذا أردنا فلما وفد شقيق بن ثور إلى عثمان وقدم علينا شقيق أخبر أنه سأل عثمان عن ذلك فجعلها نية.

عن عوف بن مسلم النحوي عن أبيه قال خرج عمر بن محمد صاحب السند وأصحابه يسيرون في بلاد الشرك فرأوا شيخاً ومعه غلام وقد كان العدو ندر بهم فهربوا فقال عمر يا شيخ دلنا على قومك وأنت آمن من قال أخاف أن دللتك أن يسعى بي هذا الغلام إلى الملك فيقتلني وكلن أقتل هذا الغلام حتى أدلك فضرب عنق الغلام فقال الشيخ إنما كرهت أن لم أخبرك أنا أن يخبرك الغلام فالآن قد أمنت والله لو كانوا تحت قدمي ما رفعتها فضرب عنقه.

حدثنا الحسن بن عمارة قال أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فقلت أما أن تحدثني وأما أن أحدثك فقال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عتبة عن يحيى بن الجزار قال سمعت علياً عليه السلام يقول ما أخذ الله عز وجل على أهل الجهل أني تنظموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا قال فحدثني أربعين حديثاً. حدثنا الحميدي قال كنا عن سفيان بن عيينة فحدثنا بحديث زمزم أنه لما شرب له فقام رجل من المجلس ثم عاد فقال له أبا محمد أليس الحديث بصحيح الذي حدثنا به في زمزم أنه لما شرب له فقال سفيان نعم فقال أني قد شربت الآن دلوا من زمزم على أن تحدثني بمائة حديث فقال سفيان أقعد فحدثه بمائة حديث.

حدثنا ابن أبي ذر قال كان الحاج إذا ورد جلس سفيان عيينة بباب بني هاشم على موضع عال ليرى الناس فجاء رجل من أصحاب الحديث فقعد بين يديه فقال يا أبا محمد حدثني فحدثه أحاديث فقال زدني فزاده فقال زدني فزاده فدفعه في صدره فوقع إلى الوادي فتفاشى ذلك فاجتمع الحاج وقال سفيان بن عيينة قتل رجلاً من الحاج فلما كثر ذلك أشفق سفيان فنزل إلى الرجل فترك رأسه في حجره وقال مالك أي شيء أصابك فلم يزل يركض رجليه ويزيد من فيه قال وكثر الضجيج سفيان بن عيينة قتل رجلاً فقال له قم ويلك أما ترى الناس يقولون فقال له وهو يخفي صوته لا والله أقوم حتى تحدثني مائة حديث عن الزهري وعمرو بن دينار ففعل فقال.

قال المحسن بن علي التنوخي عن أبيه قال حججت في موسم اثنين وأربعين فرأيت مالاً عظيماً وثياباً كثيرة تفرق في المسجد الحرام فقلت ما هذا فقالوا بخراسان رجل صالح عظيم النعمة والمال يقال له على الزراد انفذ عام أول مالاً وثياباً إلى ههنا مع ثقة له وأمره أن يعتبر قريشاً فمن وجده منها حافظاً للقرآن دفع إليه كذا وكذا ثومباً قال فحضر الرجل عام أول فلم يجد في قريش البتة أحداً يحفظ القرآن إلا رجلاً واحداً من بين هاشم فأعطاه قسطه وتحدث الناس بالحديث ورد باقي المال إلى صاحبه فلما كان في هذه السنة عاد بالمال والثياب فوجد خلقاً عظيماً من جميع بطون قريش قد حفظوا القرآن وتسابقوا إلى تلاوته بحضرته وأخذوا الثياب والدراهم فقد فنيت وبقي منهم من لم يأخذ وهم يطالبونه قال فقلت لقد توصل

هذا الرجل إلى رد فضائل قريش عليها بما يشكره الله سبحانه له.
حدثنا إبراهيم بن عبد الله قال كنت في بيت عمتي ولها بنون فسألت عنهم فقالوا قد مضوا إلى عبد الله بن داود فابطؤا ثم جاؤوا يذمونه وقالوا طلبناه في مترله فلم نجده وقالوا هو في بستينة له فقصدناه وسلمنا عليه وسألناه أن يحدثنا فقال متعت بكم أنا في شغل عن هذا هذه البستينة لي فيها معاش وتحتاج أن تسقى وليس لنا من يسقيها فقلنا نحن ندير الدولاب ونسقيها فقال إن حضرتكم نية فافعلوا فأدرنا الدولاب حتى سقينا البستان ثم قلنا له حدثنا الآن فقال متعت بكم ليس لي نية في أن أحدثكم وأنت كانت لكم نية تؤجرون عليها.
أخبرنا علي بن الحسن عن أبيه قال أخبرني جماعة من شيوخ بغداد أنه كان بها في طرف الجسر سائلان أعميان أحدهما يتوسل بأمير المؤمنين علي والآخر بمعاوية ويتعصب لهما الناس ويجمعان القطع فإذا انصرفا فيقتسمان القطع وكانا يحتالان بذلك على الناس.

حدثنا عبد الواحد بن محمد الموصلي قالا حدثنا بعض فتيان الموصلي قال لما قتل ناصر الدولة أبا بكر بن رايق الموصلي نهب الناس داره بالموصل فدخلت لأنهب فوجدت كيساً فيه أكثر من ألف دينار فأخذته وخفت أن أخرج وهو معي كذلك فيبصرني بعض الجند فيأخذه مني فطفت الدار فوقعت على لمطبخ فمدت إلى قدرة كبيرة فيها سكباج فطرحت الكيس فيها وحملتها على يدي فكل من استقبلني نظر أني ضعيف قد حملني الجوع على أخذ تلك القدرة التي سلمت إلى مترلي.
وحدثني أبو الحسن بن عباس القاضي قال رأيت صديقاً على بعض زوارق الجسر ببغداد جالساً في يوم شديد الريح وهو يكتب رقعة فقلت ويحك في هذا الموضع وهذا الوقت قال أريد أن أزور على رجل مرتعش ويدي لا تساعدني فتعمدت الجلوس ههنا لتحرك الزورق بالموج في هذه الريح فجيء خطى مرتعشاً فيشبه خطه.

قال المحسن وحدثني أبو الطيب بن عبد المؤمن قال خرج بعض حذاق المكيدين من بغداد إلى حمص ومعه امرأته فلما حصل بها قال أن هذا بلد حماقة وأريد أن أعمل حيلة فتساعديني فقالت شانك قال كوني بموضعك ولا تجتازي بي البتة فإذا كان كل يوم فخذي لي ثلثي رطل زبيب وثلثي رطل لوز أنيا فاجنيه واجعليه وقت الهاجرة على آجرة جديدة نظيفة لا عرفها في الميضاة الفلانية وكانت قريبة من الجامع ولا تزيدين على هذا شيئاً ولا تمري بناحيتي فقالت افعل وجاء هو فاخرج جبة صوف كانت معه فلبسها وسراويل صوف ومئزراً وجعله على رأسه ولزم اسطوانة يمر الناس عليها فصلى نهاره أجمع وليلته أجمع لا

يستريح إلا في الأوقات المحظور فيها الصلاة فإذا جلس فيها سبح و لم ينطق بلفظه فتنبه على مكانه وروعى مدة ووضعت العيون عليه فإذا هو لا يقطع الصلاة ولا يذوق الطعام فتحير أهل البلد في أمره وكان لا يخرج من الجامع إلا في وقت الهاجرة في كل يوم دفعة إلى تلك الميضا فيبول فيها ويعد إلى الآجرة وقد عرفها وعليها ذاك المعجبون وقد صار منحلاً وصرته صورة الغائط فمن يدخل ويخرج لا يشك أنه غائط فيأكله فيقيم أوده ويرجع فإذا كان وقت صلاة العتمة أو في الليل شرب من الماء قدر كفايته وأهل حمص يظنون أنه لا يطعم الطعام ولا يذوق الماء فعظم شأنه عندهم فقصدوه وكلموه فلم يجبهم وأحاطوا به فلم يلتفت واجتهدوا في خطابه فلزم الصمت فزاد مجلة عندهم حتى أنهم كانوا يتمسحون بمكانه ويأخذون التراب من موضعه ويحملون إليه المرضى والصبيان فيمسح بيده عليهم فلما رأى منزلته وقد بلغت إلى ذلك وكان قد مضى على هذا السمت سنة اجتمع مع امرأته في الميضاة قوال إذا كان يوم الجمعة حين يصلي الناس فتعالي فاعلق بي والطمي وجهي وقولي يا عدو الله يا فاسق قتلت ابني ببغداد وهربت إلى ههنا تتعبد وعبادتك مضروب بها وجهك ولا تفارقيني واظهري أنك تريدين قتلي بابنك فإن الناس سيجتمعون إليك وأمنهم أنا من أذيتك واعترف باني قتلته وتبت وجئت إلى ههنا للعبادة والتوبة والندم على ما كان مني فاطلبي قودي بإقراري وحملي إلى السلطان فيعرضون عليك الدية فلا تقبليها حتى يبذلوا لك عشر ديات أو ما استوى لك بحسب ما ترين من زيادتهم وحرصهم فإذا تناهت أعطيتهم في افتدائي إلى حد يقع لك أنهم لا يزيدون بعده شيئاً فاقبلي الفداء منهم واجمعي المال وخذيه واخرجي من يومك إلى بغداد ولا تقيمي بالبلد فإني سأهرب وأتبعك فلما كان من الغد جاءت المرأة فتعلقت به وفعلت به ما قال فقام أهل البلد ليقتلوها وقالوا يا عدوة الله هذا من الأبدال هذا قوم العالم هذا قطب الوقت فأومأ إليهم أن اصبروا ولا تناولوها بشر فصبروا وأوجز في صلاته ثم سلم وتمرغ في الأرض طويلاً ثم قال أيها الناس هل سمعتم لي كلمة منذ أقمت عندكم تائباً مما ذكرته وقد كنت رجلاً في دفع وخسارة فقتلت ابن هذه المرأة وتبت وجئت إلى ههنا للعبادة وكنت محدثاً نفسي بالرجوع لها لتقتلني خوفاً من أن تكون توبتي ما صحت وما زلت أدعو الله أن يقبل توبتي ويمكنها مني إلى أن أجيبت دعوتي باجتماعي بها وتمكينها من قودي فدعوها تقتلني واستودعكم الله قال فارتفعت الضجة والبكاء وهو مار إلى وإلى البلد ليقتله بابنها فقال الشيوخ يا قوم لقد ضللتم عن مداواة هذه المحنة وحراسة بلدكم بهذا العبد الصالح فارفقوا بالمرأة واسألوها قبول الدية نجمعها من أموالنا فطافوا بها وسألوها فقالت لا أفعل فقالوا خذي ديتين فقالت شرة من ابني بألف دية فما زالوا حتى بلغوا عشر ديات فقالت اجمعوا المال فإذا رأيته وطاب قلبي بقبوله فعلت وإلا قتلت القاتل فجمعوا مائة ألف درهم وقالوا خذيها فقالت لا أريد إلا قتل قاتل ابني في نفسي أثر فاقبل الناس يرمون ثيابهم وأرديتهم وخواتيمهم والنساء حليهن فأخذت ذلك

وأبرأته من الدم وانصرفت وأقام الرجل بعد ذلك في الجامع أياماً يسيرة حتى علم أنها قد بعدت ثم هرب في بعض الليالي وطلب فلم يوجد ولا عرف له خبر حتى انكشف لهم أنه كان حيلة بعد مدة طويلة.

قال كان بالكوفة امرأة قد ضاق بزوجها المعاش فقالت له لو خرجت فضربت في البلاد وطلبت من فضل الله تعالى فخرج إلى الشام فكسب ثلاثمائة درهم فاشترى بها ناقة فارهة وكانت زعرة فأضجرته واغتاظ منها ومن زوجته حيث أمرته بالخروج فحلف بالطلاق ليبيعها يوم يدخل الكوفة بدرهم ثم ندم وأخبر زوجته فعمدت إلى سنور فعلقتها في عنق الناقة وقالت أدخلها السوق وناد عليها من يشتري هذا السنور بثلاثمائة درهم والناقة بدرهم ولا فرق بينهما ففعل فجاء إعرابي يدور حول الناقة ويقول ما أحسنك ما أفرهك لولا هذا السنور الذي في عنقك. وبلغنا عن أبي دلامة أنه دخل على المهدي فأنشده قصيدة فقال له سلني حاجتك فقال يا أمير المؤمنين هب لي كلباً فغضب وقال أقول لك سلني حاجتك فتقول هب لي كلباً فقال يا أمير المؤمنين الحاجة لي أم لك قال لا بل لك قال فإني أسألك أن هب لي كلب صيد فأمر له بكلب فقال يا أمير المؤمنين هبني خرجت إلى الصيد أعدو على رجلي فأمر له بدابة فقال يا أمير المؤمنين فمن يقوم عليها فأمر له بغلام فقال يا أمير المؤمنين فهبني قصدت صيدا وأتيت به المترل فمن يطبخه فأمر له بجارية فقال يا أمير المؤمنين هؤلاء أين يبيتون فأمر لهم بدار فقال يا أمير المؤمنين قد صيرت في عنقي كفاً أي جمعاً من عيال فمن أين ما يتقوت به هؤلاء قال فإن أمير المؤمنين قد أقطعك ألف جريب عامر وألف جريب غامراً قال أما العامر فقد عرفته فما الغامر قال الخراب الذي لا شيء فيه قال من ألقي جريب واحداً عامراً قال من أين قال من بيت المال فقال المهدي حولوا المال وأعطوه جريباً فقال يا أمير المؤمنين إذا حولوا منه المال صار غامر فضحك منه وأرضاه.

كان نصراني يختلف إلى الضحاك بن مزاحم فقال له يوماً لم لا تسلم قال لأني أحب الخمر ولا اصبر عنها قال فأسلم واشربها فاسلم فقال له الضحاك إنك قد أسلمت الآن فإن شربت حد دناك وأن رجعت عن الإسلام قتلناك.

وروى ضمرة عن شودب قال كان لرجل جارية فوطئها سراً ثم قال لأهله أن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة فاغتسلوا فاغتسل هو واغتسل أهله قال الجاحظ كان رجل يرقى الضرس يسخر بالناس ليأخذ منهم شيئاً وكان يقول للذي يرقيه إياك أن يخطر على قلبك الليلة ذكر القرد فيبيت وجعاً فيبكر إليه فيقول لعلك ذكرت القرد فيقول نعم فيقول من ثم لم تنفع الرقية.

وبلغنا عن عقبة الأزدي أنه أتى بجارية قد جنت في الليلة التي أراد أهلها أن يدخلوها إلى زوجها فعزم عليها فإذا هي قد سقطت فقال لأهلها أخلو بي فقال لها اصدقيني عن نفسك وعلى خلاصك فقالت أنه

قد كان لي صديق وأنا في بيت أهلي وأهم أرادوا أن يدخلوا بي على زوجي ولست ببكر فخفت الفضيحة فهل عند حيلة في أمري فقال نعم ثم خرج إلى أهلها فقال إن الجني قد أجابني إلى الخروج منها فاختاروا من أي عضو تحبون أن أخرجه من أعضائها واعلموا أن العضو الذي يخرج منه الجني لا بد أن يهلك ويفسد فإن خرج من عينها عميت وإن خرج من رجلها عرجت وإن خرج من فرجها ذهبت عذرها فقال أهلها ما نجد شيئاً أهون من ذهاب عذرها فأخرج الشيطان من فرجها فأوهم أنه قد فعل ودخلت المرأة على زوجها.

لطم رجل الأحنف بن قيس فقال له لم لطمتني قال جعل لي جعل أن لطم سيد بني تميم قال ما صنعت شيئاً عليك بحارثة بن قدامة فإنه سيد بني تميم فانطلق فلطمه فقطع يده وذلك ما أراده الأحنف. قال الشيخ حكى لنا أبو محمد الخشاب النحوي قال حاز بعض الحاكة على طبيب فرآها يصف لهذا النقوع ولهذا التمر هندي فقال من لا يحسن مثل هذا فرجع إلى زوجته فقال اجعلي عمامتي كبيرة فقالت ويحك أي شيء قد طرأ لك قال أريد أن أكون طبيباً قالت لا تفعل فإنك تقتل الناس فيقتلوك قال لا بد فخرج أول يوم فقعد يصف للناس فحصل قراريط فجا فقال لزوجته أنا كنت أعمل كل يوم بحبة فانظري إيش يحصل فقالت لا تفعل قال لا بد كان في اليوم الثاني اجتازت جارية فرأته فقالت لسيدها وكانت شديدة المرض اشتهيت هذا الطبيب الجديد يداويك قالت ابعثي إليه فجاء وكانت المريضة قد انتهى مرضها ومعها ضعف فقال علي بدجاجة مطبوخة فجيء بها فأكلت فقويت ثم استقامت فبلغ هذا إلى السلطان فجاء به فشكا إليه مرضاً يشتكيه فاتفق أنه وصف له شيئاً أصلح به فاجتمع إلى السلطان هذا قد صلحت على يديه وصلحت الجارية على يديه وصلحت الجارية على يديه فلا أقبل قولكم قالوا فنجربه بمسائل قال افعلوا فوضعوا له مسائل وسألوه عنا فقال أن أجبتكم عن هذه المسائل لم تعلموا جوابها لأن الجواب لهذه المسائل لا يعرفه إلا طبيب ولكن أليس عندكم مارستان قالوا بلى قال أليس فيه مرضى لهم مدة قالوا بلى قال فأنا أداويهم حتى ينهض الكل قال أليس فيه مرضى لهم مدة قالوا بلى قال فأنا أداويهم حتى ينهض الكل في عافية في ساعة واحدة فهل يكون دليل على علمي أقوى من ذلك قالوا لا فجاء إلى باب المارستان وقال اقعدوا لا يدخل معي أحد ثم دخل وحده وليس معه إلى قيم المارستان فقال للقيم أنك والله إن تحدثت بما أعمل صلبتك وإن سكت أغنيتك قال ما انطق قال فأحلفه بالطلاق ثم قال عندك في هذا المارستان زيت قال نعم قال هاته فجاء منه بشيء كثير فصبه في قدر كبير ثم أوقد تحته فلما اشتد غليانه صاح بجماعة المرضى فقال لأحدهم أنه لا يصلح لمرضك إلا أن تنزل إلى هذا القدر فتقعد في هذا الزيت فقال المريض الله الله في أمري قال لا بد قال أنا قد شفيت وإنما كان بي قليل من صداع قال ايش

يقعدك في المارستان وأنت معافى قال لا شيء قال فاخرج وأخبرهم فخرج يعدو ويقول شفيت بإقبال هذا الحكيم ثم جاء إلى آخر فقال لا يصلح لمرضك إلا أن تقعد في هذا الزيت فقال الله الله أنا في عافية قال لا بد قال لا تفعل وأخبر الناس بأنك في عافية فخرج يعدو ويقول شفيت ببركة الحكيم وما زال على هذا الوصف حتى أخرج الكل شاكرين له والله الموفق.

بلغنا أن امرأة كان لها عشيق فحلف عليها أن لم تحتالي حتى أطأك بمحضر من زوجك لم أكلمك فوعدته أو تفعل ذلك فواعدها يوماً وكان في دارهم نخلة طويلة فقالت لزوجها أشتهي أصعد هذه النخلة فاجتني من رطبها بيدي فقال افعلي فلما صارت في رأس النخلة أشرفت على زوجها يا فاعل من هذه المرأة التي معك ويلك أما تستحي تجامعها بحضرتي وأخذت تشتمه وتصيح وهو يحلف أنه وحده وما معه أحد فنزلت فجعلت تخاصمه ويحلف بطلاقها أنه ما كان إلا وحده ثم قال لها اقعدي حتى أصعد أنا فلما صار في رأس النخلة استدعت صاحبها فوطئها فأطلع الزوج فرأى ذلك فقال لها جعلت فداك لا يكون في نفسك شيء مما رميتيني به فإن كل من يصعد هذه النخلة يرى مثل ما رأيت.

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن الفرزدق مر بامرأة وعليه ثوب وشي فتعرض لها فقالت جاريتها ما أحسن هذا البرد فقال هل لك أن أقبل مولاتك وأهب لها هذا البرد فقالت الجارية لمولاتها ماذا يضرك من هذا الإعرابي الذي لا يعرفه الناس فأذنت له فقبلها وأعطاها البرد ثم قال للجارية اسقيني ماء فجاءته الجارية بماء في قدح زجاج ولما وضعته في يده ألقاه من يده فانكسر فقعد الفرزدق مكانه إلى أن جاء صاحب الدار فقال يا أبا فراس ألك حاجة قال لا ولكني استسقيت من هذه الدار ماء فأتيت بقدح من زجاج فوقع الإناء من يدي فانكسر فأخذوا بردي رهناً فدخل الرجل فشتم أهله وقال ردوا على الفرزدق برده.

الباب السابع عشر

في ذكر من احتال فانعكس عليه مقصوده

حدثنا ابراهيم قال ما أسن معاوية اعتراه أرق وكان إذا هو نام أيقظته النواقيس فلما أصبح ذات يوم ودخل الناس عليه قال يا معشر العرب هل فيكم من يفعل ما أمره به وأعطيه ثلاث ديات أعجلها له وديتين إذا رجع فقام فتى من غسان فقال أنا يا أمير المؤمنين قال تذهب بكتابي إلى ملك الروم فإذا صرت على بساطه أذنت قال ثم ماذا قال فقط قال لقد كلفت صغيراً وأعطيت كثيراً فلما خرج وصار على بساط قيصر أذن فحارت البطارقة واخترطوا سيوفهم فسبق إليه ملك الروم فجثى عليه وجعل يسألهم بحق

عيسى وبحقه عليهم حتى كفوا ثم ذهب به إلى سريره حتى صعد به ثم جعله بين رجليه فقال يا معشر البطارقة إن معاوية قد أسن ومن أسن أرق وقد آذنته النواقيس فأراد أن يقتل هذا على الآذان فيقتل من ببلاده على ضرب النواقيس وبالله ليرجعن إليه على خلاف ما ظن فكساه وجمله فلما رجع إلى معاوية قال له أوقد جئتني سالماً قال أما من قبلك فلا. ويقال ما ولى المسلمين أحداً وملك الروم مثله أن حازماً وأن عاجزاً وكان الذي ملكه على عهد عمر بن الخطاب هو الذي دون لهم الدواوين ودوخ لهم العدو وكان الذي على عهد معاوية يشبه معاوية في حزمه وعمله.

حدثنا رجل من الجند قال خرجت من بعض بلدان الشام أريد قرية من قراها فلما صرت في الطريق وقد سرت عدة فراسخ تعبت وكنت على دابة وعليها خرجي ورحلي وقد قرب المساء فإذا بحصن عظيم وفيه راهب في صومعة فنزل إلي واستقبلني وسألني المبيت عنده وأن يضيفني ففعلت فلما دخلت الدير لم أجد فيه غيري فأخذ بدابتي وجعل رحلي في بيت وطرح للدابة الشعير وجاءني بماء حار وكان الزمان شديد البرد والثلج يسقط وأوقد بين يدي نار عظيمة وجاء بطعام طيب فأكلت ومضت قطعة من الليل فأردت النوم فسألته عن طريق النوم ثم سألته عن طريق المستراح فدلني على طريقه وكان في غرفة فمشيت فلما صرت على باب المستراح إذا بارية عظيمة فلما صارت رجلاي عليها نزلت فإذا أنا الليلة يسقط سقوطاً عظيماً فصحت فما كلمني فقمت وقد تجرح بدني إلا أني سالم فجئت فاستظللت بطاق عند باب الحصن من الثلج فإذا حجارة لو جاءتني وتمكنت من دماغي طحنته فخرجت أعدو وأصيح فشتمني فعلمت أن ذلك من جانبه وطمع في رحلي فلما خرجت وقع الثلج علي وبل ثيابي ونظرت فإذا أنا تالف بالبرد والثلج فولد لي الفكر أن طلبت حجراً فيه نحو ثلاثين رطلاً فوضعته على عاتقي وأقلت أعدو في الصحراء شوطاً طويلاً حتى أتعب فإذا تعبت وحميت وعرقت طرحت الحجر وجلست استريح فإذا سكنت وأخذني البرد تناولت الحجر وسعيت كذلك إلى الغداة فلما كان قبل طلوع الشمس وأنا خلف الحصن إذ سمعت صوت باب الدير قد فتح وإذا أنا بالراهب وأنا خلف الحصن إذ سمعت صوت باب الدير قد فتح وإذا أنا بالراهب قد خرج وجاء إلى الموضع الذي قد سقطت منه فلما لم يرني قال يا قوم ما فعل وأنا أسمعه وأظنه المشوم قد رأى بقربه قرية فقام يمشي إليها كيف أعمل قال وأقبل يمشي فخالفته أنا إلى الباب ودخلت الحصن وقد مشى هو من ذاك المكان يطلبني حوالي الحصن فحصلت أنا خلف الحصن وقد كان في وسطي سكين لم يعلم بها الراهب فوقفت خلف الباب فطاف الراهب فلما لم يقف لي على أثر عاد ودخل وأغلق الباب فحين خفت أن يراني ثرت إليه وجاءته بالسكين فصرعته وذبحته وأغلقت باب الحصن وصعدت إلى الغرفة واصطليت بنار كانت موقودة هناك وطرحت علي من تلك الثياب وفتحت

خرجي ولبست منه ثياباً وأخذت كساء الراهب فنمت فيه فما أفقت إلا قريب العصر ثم انتبهت فطفت الحصن حتى وقعت على طعام فأكلت وسكنت نفسي ووقعت بمفاتيح بيوت الحصن وأقبلت أفتح بيتاً بيتاً وإذا بأموال عظيمة من عين وورق وأمتعة وثياب وآلات ورحال قوم وإخراجهم وحمولاتهم وإذا الراهب من عادته تلك الحال مع كل من يجتازه وحيداً ويتمكن منه فلم ادر كيف أعمل في ثقل المال فلبست من ثياب الراهب شيئاً ووقفت في صومعته أياماً أترآى لمن يجتاز بي في الموضع من بعيد لئلا يشكوا في أني أنا هو فإذا قربوا لم أبرز لهم وجهي إلى أن خفي خبري ثم نزعت تلك الثياب وأخذت جوالقين مما كان في الدير من تلك الأمتعة وملاتهما مالاً وجعلتهما على الدابة وسقتها إلى أقرب قربة كانت واكتريت فيها متزلاً و لم أزل أنقل منه الصامت حتى حملته كله عدة أحمال وحمير ورجالة وجئت بهم دفعة واحدة وحملت كل ما قدرت عليه أحمال وحمير ورجالة وجئت بهم دفعة واحدة وحلمت كل ما قدرت عليه وسرت في قافلة عظيمة لنفسي بغنيمة هائلة حتى قدمت بلدي وقد حصل لي عشرة آلاف درهم ودنانير كثيرة مع فيمة لا متعة وغصت في الأرض فما عرف خبري.

عن علي بن الحسن عن أبيه حدثنا جماعة عن أهل جند نيسابور فيهم كتاب وتجار وغير ذلك أنه كان عندهم في سنة نيف وأربعين وثلاثمائة شاب من كتاب النصارى وهو ابن أبي الطيب القلانسي فخرج إلى بعض شأنه في الرستاق فأخذته الأكراد وعذبوه وطالبوه أن يشتري نفسه منهم فلم يفعل وكتب إلى أهله أنفذوا لي أربعة دراهم أفيون واعلموا أني أشربها فتحلقني سكتة فلا تشك إلى الأكراد أني قدمت فيحملوني إليكم وسوكوني بالأيارج فأني أفيق وكان الفتى متخلقاً وقد سمع أنه من شرب أفيوناً اسكت فإذا دخل الحمام وضرب وسوك بالايارج برئ فلم يعلم مقدار الشربة من ذلك فشرب أربعة دراهم فلم يشك الأكراد في موته فلفوه في شيء وأنفذوه إلى أهله فلما حصل عندهم أدخلوه الحمام وضربوه وسوكوه فما تحرك وأقام في الحمام أياً ورآه أهل الطب فقالوا قد تلف كم شرب أفيواً قالوا وزن أربعة دراهم فقالوا لهم هذا الوشوى في جهنم ما عاش إنما يجوز أن يفعل هذا بمن شرب أربعة دوانيق أفيونا أو وزن درهم أو حواليه فأما هذا فقد مات فلم يقبل أهله ذلك فتركوه في الحمام حتى أراح وتغير فدفنوه وانعكست الحيلة على نفسه.

قال المحسن وقد روى قديماً مثل هذا أن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان في حبس الحجاج وكان يعذبه وكان كل من مات من الحبس رفع خبره إلى الحجاج فيأمر بإخراجه وتسليمه إلى أهله فقال بلال للسجان خذ مني عشرة آلاف درهم واخرج اسمي إلى الحجاج في الموتى فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي هربت في الأرض فلم يعرف الحجاج خبري وإن شئت أن تهرب معي فافعل وعلى غناك أبداً فأخذ

السجان المال ورفع اسمه في الموتى فقال الحجاج مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى رآه هاته فعاد إلى بلال فقال اعهد قال وما الخبر قال أن الحجاج قال كيت وكيت فإن لم أحضرك إليه ميتاً قتلني وعلم أني أردت الحيلة عليه ولا بد أن أقتلك خنقاً فبكى بلال وسأله أن لا يفعل فلم يكن إلى ذلك طريق فأوصى وصلى فأخذه السجان وخنقه وأخرجه إلى الحجاج فلما رآه ميتاً وقال سلمه إلى أهله فأخذوه وقد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم ورجعت الحيلة عليه.

وذكر ابن حرير وغيره أن المنصور دفع عبد الله بن علي إلى عيسى بن موسى سراً بالليل قال يا عيسى أن هذا أراد أن يزيل نعمتي ونعمتك وأنت ولي عهدي بعد المهدي والخلافة صائرة إليك فخذه فاضرب عنقه وإياك أن تخور أو تضعف ثم كتب إليه ما فعلت فيما أمرتك به فكتب إليه قد أنفذت ما أمرتني به فلم يشك في أنه قتله وكان عيسى قد أخبر كاتبه بالحال فقال إنما أرد قتلك لأنه أرمك أن تقتله سراً ثم يدعيه عليك علانية فيقيدك به قال فما الرأي قال أن تستره في مترلك فإن طلبه منك علانية أظهرته علانية ثم إن المنصور دس على عمومته مني حركهم على مسألة عن عبد الله بن علي ويطمعهم في أنه سيفعل وكلموه ورافعوه فقال علي بعيسى بن موسى فأتاه فقال يا عيسى قد علمت أني دفعت إليك عبد الله بن علي وقد كلموني فيه فأتني به فقال يا أمير المؤمنين لم تأمرني بقتله ثم قال فادفعه إلينا تقيده قال شأنكم به فخرجوه إلى الراحبة واجتمع الناس فشهر أحدهم سيفه وتقدم إلى عيسى ليضربه فقال له عيسى أقاتلي أنت قال أي والله قال ردوني إلى أمير المؤمنين فردوه فقال إنما أردت بقتله أن تقتلني هذا عمك حي سوى فأتاه به.

حدثنا الحارثي قال اجتزت ببغداد في أيام المقتدر وأنا حدث مع جماعة من مجان أصحاب الحديث وإذا بخادم خصي جالس على دكه في الطريق وبين يديه أدوية ومكاحل ومباضع وعلى رأسه مظلة خرق كما يكون الطبيب فقلت لأصحابنا ما هذا فقالوا خادم طبيب يصف للناس ويعالج ويأخذ الدراهم وهذا من عجائب بغداد فقلت أنا أحب أن أخاطبه لأنظر كيف فهمه فقال واحد منهم فهمه لا أدري ولكن نحب أن تعبث به فتقدم إليه وتغاشى وتماوت وتمارض وقال يا أستاذ يا أستاذ دفعات فضجر الخادم وقال قولي لأشفاك الله ايش أصابك أي طاعون ضربك قال فقال له يا أستاذ أجد ظلمة في أحشائي ومغصاً في أطراف شعري وما آكله اليوم يخرج غداً مثل الجيفة فصف لي صفة لما أنا فيه قال وكان الخادم قد اعد الجواب فقال أما ما تجدين من مغص في أطراف شعرك فاحلقي رأسك ولحيتك حتى يذهب مغصك وأما ظلمة في أحشائك فعلقي على باب حجرك قنديلاً يضيء مثل الساباط وأما ما تأكليه اليوم يخرج غداء مثل الجيفة فكلي خراك واربحي النفقة قال فطعطع بنا العامة القيام وضحكوا بنا وانقلب الطتر الذي أردنا بالخادم وصار طترا بنا فصار أقصى أرادتنا الهرب فهربنا.

حدثنا الحسين بن عثمان وغيره أن عضد الدولة بعث القاضي أبا بكر الباقلاني في رسالة إلى ملك الروم فلما ورد مدينته عرف الملك خبره وبين له محله من العلم فأفكر الملك في أمره ولعم أنه لا يفكر له إذا دخل عليه كما جرى رسم الرعية أن يقبل الأرض بين يدي الملك فنتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يمكن أحد أن يدخل منه إلا راكعاً ليدخل القاضي منه على تلك الحال عوضاً من تفكيره بين يديه فلما وصل القاضي إلى نكان فطن بالقصة فأراد ظهره وحنى رأسه ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه وقد استقبل الملك بدبره حتى صار بين يديه رفع رأسه ونصب وجهه وأدار وجهه حينئذ إلى الملك فعلم الملك من فطنته وهابه.

وقد روينا أن مزينة أسرت ثابتاً أبا حسان الأنصاري وقالوا لا نأخذ فداءه إلا تيساً فغضب قومه وقالوا لا تفعل هذا فأرسل إليهم أعطوهم ما طلبوا فلما جاؤوا بالتيس قال أعطوهم أخاهم وخذوا أخاكم فسموا مزينة التيس فصار لهم لعباً وعبثاً، كان مهيار الشاعر الحي والمطرز الشاعر كوسجا فمر أبا بي الحسن الجهرمي فقال:

اضرط على الكوسج والألحى ... وزدهما أن غضبا سلحاً

وأراد أن يتهما فاق لله المطرز فيكف وقع لك أن تذكر علي بن أبي علي حاجب القادر بالله والحسن بن أحمد صاحب القادر بعد عي بن أبي علي وكان علي أحلى والحسن كوسجاً فانزعج الجهرمي وخاف أن يبلغه ذلك فيقابل عليه فكتب إلى مهيار الديلمي يستعطفه:

أبا السحن أصفح أن مثلي من جنى ... ومثلك من أعفى من العدو وعفا

أئن طوحت بي هفوة قلت جفوة ... وحملت سمعي من عتابك ما حفا

حدثني أبو بكر الخطاط قال كان رجل فقيه خطه في غاية الرداءة فكان الفكهاء من عيبهم إياه فمر يوماً بمجلد يباع فيه خط أردأ من خطه فبالغ في ثمنه فاشتراه بدينار وقيراط وجاء به ليحتج عليهم إذا قرؤوه فلما حضر معهم أخذوا يذكرون قبح خطه فقال لهم قد وجدت أقبح من خطي وبالغت في ثمنه حتى أتخلص من عيبكم فأخرجه فتصفحوه وإذا في آخره اسمه وأنه كتبه في شبابه فخجل من ذلك. قال كان بالبصرة مغنية حذرها خمس دنانير وكانت مفرط في حسن الصورة والغناء إلا أنها بدوية تقلب القاف كافاً فدعيت لبعض أمراء البصرة فغنت ومالي لا أبكي وأندب. فجاء في كلامه وأندب ناكتي فقال الأمير وزناً خمسة دنانير فإذا كنت تندبيننا فما نريد أن تقيمي عندنا فصرفها وقد خجلت والله أعلم.

الباب الثامن عشر

في ذكر من وقع في آفة فتخلص منها بالحيلة

ذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل رجلاً من قريش على عمل فبلغه أنه قال:

استتني شربة ألذ عليها ‏ ‏ ‏ ‏ واسق بالله مثلها ابن هشام

فأشخصه إليه وذكر أنه إنما أشخصه من أجل البيت فضم إليه آخر فلما قدم عليه قال الست القائل:

اسقني شربة ألذ عليها ‏ ‏ ‏ ‏ واسق بالله مثلها ابن هشام

قال نعم يا أمير المؤمنين

لعله عسلاً بارداً بماء سحاب ‏ ‏ ‏ ‏ أنني لا أحب شرب المدام

قال الله قال الله قال ارجع إلى عملك.

قال حدثني عبيد رواية الأعشى قال خرج النعمان إلى ظهر الحيرة وكان معشباً وكانت العرب تسميه خد العذراء فيه نبت الشيخ والقيصوم والخزامي والزعفران وشقائق النعمان والأقحوان فمر بالشقائق فأعجبته فقال من نزع من هذا شيئاً فانزعوا كفه قال فسميت شقائق النعمان قال فإنه ليسير فيها فانتهى إلى وهدة في طرف النجف وإذا شيخ يخصف نعلاً فوقف عليه وقد سبق أصحابه فقال ممن أنت يا شيخ قال من بكر بن وائل فقال يا شيخ مالك ههنا قال طرد النعمان الرعاة فأخذوا يميناً وشمالاً ووجدت وهدة خالية فنتجت الإبل وولدت الغنم وسالت السمن فقال أو ما تخاف النعمان قال وما أخاف منه والله لربما لمست بيدي هذه ما بين سرة أمه وعانتها كأنه أرنب جاءم قال أنت أيها الشيخ قال نعم قال فهاج وجهه غضباً وطلعت أوائل خيله فقالوا حييت أبيت اللعن قال وحسر عن رأسه فإذا خرزات ملكه فقال النعمان أيها الشيخ كيف قلت قال أبيت اللعن لا يهولنك ذاك والله لقد علمت العرب أنه ليس بين لأبتيها أكذب مني فضحك ثم مضى. قال طلب الحجاج الحكم بن أيوب بن جبر بن حبيب فخشي أن يجيء به فيعاقبه فقال تركته يتحرك رأسه يصب في حلقه الماء والله لئن حمل على سرير لتكونن عورة فقيل له انصرف.

حدثنا محمد بن قتيبة في حديث عبد الله بن مسعود أنه ذكر بني إسرائيل وتحريفهم وتغييرهم وذكر عالماً كان فيهم عرضوا عليه كتاباً اختلقوه على الله عز وجل فأخذوا ورقة فيها كتاب الله عز وجل ثم جعلها في قرن ثم علقه في عنقه ثم لبس عليه الثياب فقالوا أتؤمن بهذا قال فأومأ بيده إلى صدره وقال آمنت بهذا الكتاب يعنى الكتاب الذي في القرن فلما حضره الموت نبشوه فوجدوا القرن والكتاب فقالوا إنما عنى هذا. وعن الأصمعي عن أبيه قال أتى عبد الملك بن مروان برجل كان مع بعض من خرج عليه فقال

اضربوا عنقه فقال يا أمير المؤمنين ما كان هذا جزائي منك قال وما جزاؤك قال والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك وذلك أني رجل مشؤوم ما كنت مع رجل قط إلا غلب وهزم وقد بان لك صحة ما ادعيت وكنت لك خيراً من مائة ألف معك فضحك وخلى سبيله، قال اسحق بن إبراهيم الموصلي قال شبيب بن شبة دخل خالد بن صفوان التميمي على أبي العباس وليس عنده أحد فقال يا أمير المؤمنين إني والله ما زلت منذ قلدك الله خلافته اطلب أن أصير إلى مثل هذا الموقف في هذه الخلوة فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر إلى مثل هذا الموقف في هذه الخلوة فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمساك الباب حتى إفراغ فعل قال فأمر الحاجب بذلك قال يا أمير المؤمنين إني فكرت في أمرك وأجلت الفكر فيك فلم أر أحداً له مثل قدرك اتساعاً في الاستمتاع بالنساء منك ولا بأضيق فيهن عيشاً إنك ملكت نفسك امرأة من نساء العالمين واقتصرت عليها فإن مرضت وإن غابت غبت وإن عركت وحرمت يا أمير المؤمنين نفسك من التلذذ بأطراف الجواري ومعرفة اختلاف أحوالهم والتلذذ بما يشتهى منهن أن منهن يا أمير المؤمنين الطويلة التي تشتهي لجسمها والبيضاء التي تحب لروعتها والسمراء اللعساء والصفراء العجزاء ومولدات المدينة والطائفة واليمامة ذوات الألسن العذبة والجواب الحاضر وبنات سائر الملوك وما يشتهى من نظافتهن وتخلل خالد بلسانه فاطنب في صفات ضروب الجواري وشوقه إليهن فملا فرغ قال ويحك والله ما سلك مسامعي كلام أحسن من هذا فأعد على كلامك فقد وقع مني موقعاً فأعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأه ثم انصرف وبقي أبو العباس مفكراً فدخلت عليه أم سلمة وكان قد حلف أن لا يتخذ عليها ووفى فلما رأته مفكراً قالت أني لأذكرك يا أمير المؤمنين فهل حدث شيء نكرهه وأتاك خبر أرتعت له قال لا فلم نزل تستخبره حتى أخبرها بمقالة خالد قالت فما قلت لابن الفاعلة فقال لها ينصحني وتشتميه فخرجت إلى مواليها فأمرهم بضرب خالد فخرجت من الدار مسروراً بما ألقيت إلى أمير المؤمنين و لم اشك في الصلة فبينما أنا واقف أقبلوا يسألون عني فحققت الجائزة فقلت لهم ها أنا ذا فاستبق إلى أحدهم بخشبة فغمزت برذوني ولحقين فضرب كفه وركضت ففتهم واستخفيت في منزلي أياماً ووقع في قلبي أني أتيت من قبل أم سلمة فما أشعر إلا بقوم قد هجموا علي وقالوا أجب أمير المؤمنين فسبق إلى قلبي أنه الموت فقلت إنا لله وإن إليه راجعون لم أردم شيخ أضيع من دمي فركبت إلى دار المؤمنين فلقيته خالياً فنظرت في المجلس بينا عليه ستور رقاق وسمعت حساً خلف الستر فقال ويحك وصفت لأمير المؤمنين صفة فأعدها فقلت نعم يا أمير المؤمنين أعلمتك أن لنساء أكثر من واحدة الأضر وتنغص فقال له أبو العباس لم يكن هذا العرب إنما اشتقت اسم الضرتين من الضرر وإن أحد لم يكن عنده من في الحديث قال بلى يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الثلاث من النساء كأنهن في القدر يغلي عليهن قال برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت سمعت هذا منك ولأمر في حديثك قال وأخبرتك أن الأربع

من النساء شر مجموع لصاحبه بشيبه وبهر منه قال لا والله ما سمعت هذا منك قلت بلى والله قال أفتكذبني قلت أفتقتلني نعم والله يا أمير المؤمنين إن أبكار الإماء رجال إلا أنه ليست لهن خصي قال خالد فسمعت ضحكاً من خلف الستر ثم قلت نعم والله وأخبرتك أن عندك ريحانة قريش وأنت تطمح بعينك إلى النساء والجواري قال فقيل من وراء الستر صدقت والله يا عماه بهذا حدثته ولكنه غير حديثك ونطق من لسانك فقال أبو العباس مالك قاتلك الله قال وانسللت فبعثت إلى أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذون وتخت ثياب قال حدثني رجل من بني نوفل بن عبد مناف قال لما أصاب نصيب من المال ما أصاب وكان عنده أم محجن وكانت سوداء اشتاق إلى البياض فتزوج امرأة سرية بيضاء فغضبت أم محجن وغارت عليه فقال لها والله يا أم محجن ما مثلي يغار عليه أني شيخ كبير وما مثلك يغار أنك لعجوز كبيرة وما أحد أكرم علي منك ولا أوجب حقاً فجوزي هذا الأمر ولا تكدريه على فرضيت وقرت ثم قال لها بعد ذلك هل لك أن أجمع إليك زوجتي الجديدة فهو أصلح لذات البين وألم للأشعث وأبعد للشماتة فقالت نعم أفعل وأعطاها دينار وقال لها أني أكره أن ترى بك خصاصة أن تفضل عليك فاعملي لها إذا أصبحت عندك غداً بهذا الدينار ثم أتى زوجته الجديدة فقال لها إني أردت أن أجمعك إلى أم محجن غداً وهي مكرمتك وأكره أن تفضل عليك أم محجن فخذي هذا الدينار فاعدي لها به إذا أصبحت عندها غداً لئلا ترى بك خصاصة ولا تذكري لها الدينار ثم أتى صاحباً له يستنصحه فقال إني أريد أن أجمع زوجتي الجديدة إلى أم محجن غداً فأتني مسلماً فإني سأستجلسك للغداء فإذا تغذيت فسلني عن أحبهما إلي فإني سانفروا أعظم ذلك فإذا أبيت عليك أن لا أخبرك فاحلف علي فملا كان الغد زارت زوجته الجديدة لأم محجن ومر به صديقه فاستجلسه فلما تغذيا أقبل الرجل عليه فقال يا أبا محجن أحب أن تخبرني عن أحب زوجتيك إليك فقال سبحان الله أتسألني عن هذا وهما يسمعان ما سأل عن مثل هذا أحد قال فإني أقسم عليك لتخبرني فوالله لا عذرتك ولا أقيل إلا ذاك قال أما إذا فعلت فأحبهما إلى صاحبة الدينار والله لا أريد على هذا شيئاً فأعرضت كل واحدة منهما تضحك ونفسها مسرورة وهي تظن أنه عناها بذلك القول.

قال حدثني القاضي أبو الحسين بن عتبة قال كانت لي ابنة عم موسرة وتزوجتها فلم أوترها لشيء من الجمال ولكني كنت استعين بمالها وأتزوج سراً فإذا فطنت بذلك هجرتني وطرحتني وضيقت علي إلى أن أطلق من تزوجتها ثم تعود إلي فطال ذلك علي وتزوجت صبية حسناء موافقة لطباعي مساعدة على اختياري فمكثت معي مدة يسيرة وسعي بها إلى ابنة عمي فأخذت في المناكدة والتضييق علي فلم يسهل علي فراق تلك الصبية فقلت لها استعيري من كل جارة قطعة من أفخر ثيابها حتى يتكامل لك خلقة تامة

الجمال وتبخري بالعنبر واذهبي إلى ابنة عمي فابكي بين يديها واكثري من الدعاء لها والتضرع إليه إلى أن تضجريها فإذا سألتك عن حالك فقولي لها أن ابن عمي قد تزوجني وفي كل وقت يتزوج على واحدة ينفق مالي عليها وأريد أن تسألي القاضي معونتي وإنصافي منه فإني أقدمه إليه، فإنها سترفعك إلي ففعلت فلما دخلت عليها واتصل بكاؤها رحمتها وقالت لها فالقاضي شر من زوجك وهكذا يفعل بي وقامت فدخلت علي وأنا في مجلس لي وهي غضبى ويد الصبية في يدها فقالت هذه المؤمة حالها مثل حالي فاسمع مقالها واعتمد إنصافها فقلت ادخلا فدخلتا جميعاً فقلت لها ما شأنك قالت فذكرت ما وافقها عليه فقلت لها هل اعترف ابن عمك بأنه قد تزوج عليك فقالت لا والله وكيف يعترف بما يعلم أني لا أقاره عليه قلت فشاهدت أنت هذه المرأة وقفت على مكانها وصورتها فقالت لا والله فقلت يا هذه اتقي الله ولا تقبلي شيئاً سمعته فإن الحساد كثير والطلاب لإفساد النساء كثير والحيل والتكذيب فهذه زوجتي قد ذكر لها أن تزوجت عليها ولك زوجة لي وراء هذا الباب طالق ثلاثاً، فأما ابنة عمي فقبلت رأسي وقالت قد علمت أنه مكذوب عليك أيها القاضي و لم يلزمني حنث لاجتماعهما بحضرتي. حدثنا الأصمعي قال أتى المنصور برجل ليعاقبه على شيء بلغه عنه فقال له يا أمير المؤمنين الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين فعفا عنه.

حدثنا أبو الحسن المدايني أن أحمد بن سميط أسر خمسمائة فأتى بهم المختار فقتل مائتين وأربعين وحبس بعضاً ومن على بعض فكان ممن حبس من الأسرى سراقة بن مرداس البارقي ثم أمر بقتله فقال لا والله لا تقتلني حتى أنقض معك داري حجراً حجراً قال وما يدريك قال الأخبار الصادقة التي جاءت بها الكتب الناطقة فاقبل المختار على عبد الله بن كامل وعلى أبي عمرة فقال من يظهر أسرارنا فأمر بتخليته فقال سراقة أنا قد أسرنا قوم لا نراهم قال هم هؤلاء وهم شرط الله قال لا والله لقد أسرنا قوم عليهم عمائم حمر على خيل بلق تطير بين المساء والأرض قال هذه الملائكة فاعلم الناس ذلك يا سراقة قال فصعدت منارة وأعلمت الناس وحلفت لهم فحلى سبيلي.

حدثنا ابن عياض قال استؤمن لعباس بن سهل بن سعد الساعدي من مسلم بن عقبة يوم الحرة فأبى أن يؤمنه فأتوه به ودعا بالغداء فقال عباس أصلح الله الأمير والله لكأنهما جفنة أبيك كان يخرج عليه مطرف حرة حتى يجلس بفنائها ثم يضع حفنته بين يدي من حضر قال صدقت كان كذلك أن آمن فقيل للعباس كان أبوه كما قلت قال لا والله لقد رأيته في عناء بحرة ما نخاف على ركابنا ومتاعنا أن يسرقه غيره.

حدثنا دريد عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال بعث إلي الرشيد فدخلت فإذا صبية فقال من هذه الصبية فقلت لا أدري قال هذه مواسة بنت أمير المؤمنين فدعوت لها وله وقال نعم فقبل رأسها فوضعت كمي على رأسه وقبلت كمي فقال والله يا أصمعي لو أخطأتها لقتلتك أعطوه عشرة آلاف

درهم.

حدثنا ابن البهلول أن أبا حذيفة واصل بن عطاء خرج يريد سفراً في رهط فاعترضهم جيش من الخوارج فقال واصل لا ينطقن أحد ودعوني معهم فقصدهم واصل فلما قربوا بدأ الخوارج ليوقعوا فقال كيف تستحلون هذا ما تدرون من نحن ولا لأي شيء جئنا فقالوا نعم فما أنتم، قال قوم من المشركين جئناكم لنسمع كلام الله قال فكفوا عنهم وبدأ رجل منهم يقرأ عليهم القرآن فلما امسك قال واصل قد سمعنا كلام الله فأبلغنا مأمنا حتى ننظر فيه وكيف ندخل في الدين فقال هذا واجب سيروا فسرنا والخوارج والله معنا يحمونا فراسخ حتى قربنا إلى بلد لا سلطان لهم عليه فانصرفوا قال أبو اسحق الجمهي لما صرف الحجاج قال لغلام له تعال نتنكر وننظر ما لنا عند الناس فتنكروا وخرجا فمرا على المطلب غلام أبي لهب فقالا يا هذا أي شيء غير الحجاج قال على الحجاج لعنة الله قالا فمتى يخرج قال اخرج الله روحه من بين جنبيه ما يدريني قال اتعرفني قال لا قال أنا الحجاج بن يوسف قال المطلب أتعرفين أنت قالا قال أنا المطلب غلام أبي لهب معروف أصرع في كل شهر ثلاثة أيام أولها اليوم فتركه ومضى.

وحكى أبو الحسن بن هلال الصابي أن الحجاج انفرد يوماً من عسكره فمر ببستاني يسقي ضيعته فقال كيف حالكم مع الحجاج فقال لعنه الله المبيد البر الحقود عجل الله الانتقام منه فقال له أتعرفني قال لا قال أنا الحجاج فرأى أن دمه قد طاح فرفع عصا كانت معه فقال أتعرفني قال لا قال أنا أبو ثور المجنون وهذا يوم صرعي وأزبد وأرغى وهاج وأراد أن يضرب رأسه بالعصى فضحك منه وانصرف.

وبلغنا أن الحجاج انفرد يوماً عن عسكره فلقي أعرابياً فقال يا وجه العرب كيف الحجاج قال ظلم غاشم قال فهلا شكوته إلى عبد الملك فقال لعنه الله أظلم منه وأغشم فأحاط به العسكر فلقال اركبوا البدوي فاركبوه فسأل عنه فقالوا هو الحجاج فركض من الفرس خلف وقال يا حجاج قال مالك قال السر الذي بيني وبينك لا يطلع عليه أحد فضحك وخلاه ولقي الحجاج أعرابياً بفلاة فسأل عن نفسه وعن عماله وسعاته فأخبر بكل ما يكره فقال له أنا الحجاج قتلني الله إن لم أقتلك قال فأين حق الاسترسال قال أولى لك ما أحسن ما تخلصت وخلى سبيله قال كان أبو الحسين بن السماك يتكلم على الناس بجامع المدينة وكان لا يحسن من العلوم شيئاً غلا ما شاء الله وكان مطبوعاً يتكلم على مذهب الصوفية فكتبت إليه ما يقول السادة الفقهاء في رجل مات وخلف كذا وكذا ففتحها فتأملها فقرأ ما تقول السادة الفقهاء في رجل مات فلما رآها في الفرائض رماها من يده وقال أنا أتكلم على مذاهب قوم إذا ماتوا لم يخلفوا شيئاً فعجب الحاضرون من حدة خاطره.

ويحكى أن مزيداً كان يدخل على بعض ولاة المدينة فأبطأ عليه ذات يوم ثم جاء فقال ما أبطأك عني قال

جارة لي كنت أهواها منذ حين فظفرت بها ليلتي وتمكنت منها فغضب الوالي وقال والله لآخذنك بإقرار فلما رأى الجد منه قال فاسمع تمام حديثي قال وما هو قال فلما أصبحت خرجت أطلب مفسراً يفسر لي رؤياي فلم أقدر عليه إلى الساعة قال ذلك في المنام رأيت قال نعم فسكن غضبه وقد روينا عن أبي الفضل الربيع عن أبيه قال، قال المأمون يوماً وهو مغضب لأبي دلف أنت الذي يقول فيك الشاعر:

إنا الدنيا أبو دلف — بين بادية ومحتضره

فإذا ولى أبو دلف — ولت الدنيا على أثره

فقال يا أمير المؤمنين شهادة زور وقول عزور وملق معتاف وطلب عرف واصدق منه ابن أخت لي حيث يقول:

دعيني أجوب الأرض في طلب الغنى — فلا الكرخ الدنيا ولا الناس قاسم

فضحك المأمون وسكن غضبه وروى أن عزة وبثينة اجتمعتا فتحدثتا فاقبل كثير فقالت بثينة أتحبين أن أبين لك أن كثير غير صادق في محبتك قالت نعم قالت ادخلي الخباء فدخلت فدنا كثير فوقف على بثينة فسلم عليها فقالت له ما تركت عزة فيك مستمعاً لأحد فقال كثير والله لو أن عزة أمة لوهبتها لك فقالت إن كنت صادقاً فقل في هذا شعراً فأنشأ يقول.

رمتني على عمد بثينة بعدما — تولى شبابي وارجحن شبابها

بعينين نجلاوين لو رقرقتهما — لنؤ الثريا لاستهل سحابها

فبادرت عزة وكشفت الحجاب وقالت له يا فاسق قد سمعت البيتين فقال لها فاسمعي الثالث قالت وما هو قال

ولكنما ترمين نفساً سقيمة — لعزة منها صفوها ولبابها

فاستحسنت عذره.

وذكر أبو هلال العسكري أن رجلاً كانت له صديقة لها زوج غائب وكان يأتيها على طمأنينة فقدم زوجها فدخل فرأى الرجل نائماً فظنه المرأة فأخذ برجليه فوثب إلى السيف وكان في جيرانه معاوية بن ستار فنادى يا معاوية هل وفيت فتوهم الزوج أنه جعل له على ما فعل وعلم معاوية أنه مكروب فقال نعم وتعليت فخلاه الزوج وحكى أبو الحسن بن الصابي أن مغنية غنت بين يدي المهدي

ما نقموا من بني أمية إلا — أنهم يسفهون إذ غضبوا

فقيل لها غلطت فقالت غلطي يذكرني هذا البيت فأصلحته بما سمعتم.

الباب التاسع عشر

في ذكر من استعمل بذكائه المعاريض

أخبرنا سعيد بن المسيب أن عائشة رضي الله عنها سئلت هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح قالت نعم كان عندي عجوز فدخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ادع الله أن يجعلني من أهل الجنة قال إن الجنة لا تدخلها العجائز وسمع النداء فخرج ودخل وهي تبكي فقال مالها قالوا إنك حدثتها أن الجنة لا يدخلها العجائز قال إن الله يحولهن أبكاراً عرباً أتراباً. قال وحدثنا الحرث بن نوفل أن العباس بن عبد المطلب قال يا رسول الله ما ترجو لأبي طالب قال كل خير أرجو من ربي.

وحدثنا القرشي قال دخلت امرأة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من زوجك فسمته له فقال الذي في عينيه بياض فرجعت فجعلت تنظر إلى زوجها قال ما لك قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجك فلان قلت نعم قال الذي في عينيه بياض قال أوليس البياض في عيني أكثر من السواد.

حدثنا أنس بن مالك قال جاء رحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليستحمله قال أنا حاملك على ولد ناقة قال يا رسول الله وما أصنع بولد ناقة قال وهل تلد الإبل إلا النوق.

حدثنا محمد بن سلمى عن محمد بن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار إلى بدر نزل قريباً منها ثم ركب هو ورجل من أصحابه قال ابن إسحاق حدثني محمد بن يحيى بن حبان أنه وقف على شيخ فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخبرتنا أخبرناك قال وذاك بذاك ثم قال الشيخ أنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدقني الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا بالمكان الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغنا أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدقني الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا بالمكان الذي به قريش فلما فرغ من خبره قال فمن أنتم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء العراق قال أحمد بن علي أوهمه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه من العراق فكان العراق يسمى ماء وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم من العراق أنه خلق من نطفة ماء عن ابن أبي الزناد قال كان عند أسماء بنت أبي بكر قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قتل عبد الله بن الزبير ذهب القميص فيما ذهب وفيما انتهت فقالت أسماء للقميص أشد على من قتل عبد الله فوجد القميص عند رجل من أهل الشام فقال لا أرده أو تستغفر لي أسماء فقيل لها قالت كيف أستغفر لقاتل عبد الله قالوا أفليس يرد القميص قالت قولوا له فليجيء فجاء بالقميص ومعه عبد الله بن عروة فقالت ادفع القميص إلى عبد الله فدفعه قالت قبضت يا عبد الله قال نعم قالت غفر الله لك يا عبد الله وإنما عنت عبد

الله بن عروة عن حجر المدري قال، قال لي علي رضي الله عنه كيف بك إذا أمرت أن تلعنني قلت أو كائن ذلك قال نعم قلت كيف أصنع قال الغني ولا تتبرأ مني قال فقام محمد بن يوسف إلى جنب المنبر يوم الجمعة فقال له العن علياً فقال إن الأمير أمرني أن ألعن علياً محمد بن يوسف العنوه لعنه الله فلقد تفرق أهل المسجد وما فهمها إلا رجل واحد.

قال قامت الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة فقام صعصعة بن سرحان فتكلم فقال المغيرة أرجوه فأقيموه على المصطبة فليلعن علياً فقال لعن الله من لعن الله ولعن علي بن أبي طالب فأخبره بذلك فقال أقسم بالله لتقيدنه فخرج فقال إن هذا يا أبي إلا علي بن أبي طالب فالعنوه ولعنه الله فقال المغيرة أخرجوه أخرج الله نفسه. قال كلم رجل عيسى بن موسى في شيء وعنده عبد الله بن شبرمة القاضي فقال عيسى للرجل من يعرفك قال ابن شبرمة قال أتعرفه قال إني لا أعلم أن له شرفاً وبيتاً وقدماً فلما خرج ابن شبرمة سئل عن ذلك فقال اعلم أن له أذنين مشقوقتين وأن له بيتاً يأوي إليه وأن له قدماً يطأ بها.

قال ضرب الحجاج عبد الرحمن بن أبي ليلى وأقامه للناس ومعه رجل يحثه ويقول العن علياً فيقول اللهم العن الكذابين ثم يسكت ويقول آه علي بن أبي طالب ثم يسكت ثم يقول المختار بن الزبير.

حدثنا المبارك قال بينما الحجاج جالس إذ أقبل رجل مقارب الخلق أفجع ذو غدربين فلما رآه الحجاج قال مرحباً بأبي غادية فلم يرحب به حتى أجلسه على سريره ثم قال له أنت قاتل ابن سمنة قال نعم قال كيف قال صنعت كذا وفعلت كذا حتى قتلته قال الحجاج لأهل الشام من سره أن ينظر إلى رجل عظيم الباع يوم القيامة فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سمنة ثم ساره أبو غادية فسأله شيئاً فأبى عليه فقال أبو غادية نعطي لهم الدنيا ثم نسألهم منها شيئاً فلا يعطونا وتزعم أنه عظيم الباع يوم لقيمة قال أجل والله إن من كان ضرسه مثل أحد وفخذه مثل وقان وساقه البيضاء ومجلسه ما بين المدينة إلى الزبيد لعظيم الباع يوم القيامة والله لو أن عمار بن سمنة قتله أهل الأرض لدخلوا كلهم النار. قال القرشي قال كان مطرف بن عبد الله خرج مع ابن الأشعث فأتى به إلى الحجاج بعد ذلك فقال له الحجاج يا مطرف أكفرت قال لا ولكن كانت حيرة ولو نصرنا الحق وأهله كان خير لنا.

قال القرشي وحدثنا أبو جعفر المديني فال خرج فوم من الخوارج بالبصرة فلقوا شيخاً أبيض الرأس واللحية فقالوا له من أنت قال أعهد إليكم من اليهود بشيء أو بدا لكم في قتل أهل الدية قالوا اذهب عنا إلى النار.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن يعقوب قال كان يحيى بن أكثم يحسد حسداً شديداً وكان مفنناً فكان إذا نظر إلى رجل يحفظ الفقه سأله عن الحديث وإذا رآه يحفظ الحديث سأله عن النحو وإذا رآه يعلم النحو سأله

عن الكلام ليخجله ويقطعه فدخل إليه رجل من أهل خراسان ذكي حافظ فناظره فرآه مفنناً فقال له نظرت في الحديث قال نعم قال فما تحفظ من الأصول قال احفظ حديث شريك عن أبي إسحاق عن الحرث أن علياً رجم لوطياً فامسك فلم يكلمه. قال، قال رجل لهشام بن عمرو القوطي كم تعد قال من واحد إلى ألف ألف وأكثر قال لم أرد هذا قال فما أردت قال كم تعد من السن قال اثنين وثلاثين سنة عشر من أعلى وستة عشر من أسفل قال لم أرد هذا قال فما رأيت قال كم لك من السنين قال ما لي منها شيء كلها لله عزّ وجلّ قال فما سنك قال عظم قال فابن كم أنت قال ابن اثنين أب وأم قال فكم أتى عليك قال لو أتى علي شيء لقتلني قال فكيف أقول قال قل كم مضى من عمرك. وثب رجلان على بعض الملوك في ومن الإسكندر فقال الإسكندر أن من قتل هذا عظيم الفعال ولو ظهر لنا جازيناه بما يستحق ورفعناه على الناس فلما بلغهما ذلك ظهرا فقال الإسكندر أنا نجازيكما بما تستحقان فما يستحق من قتل سيده ورافع قدره فغدر به إلا القتل وأما رفعكما على الناس فإني سأصلبكما على أطول خشب يمكنني. روى أن رجلين من آل فرعون سعيا برجل مؤمن إلى فرعون فأحضره فرعون وأحضرهما وقال للساعيين من ربكما قالا أنت فقال للمؤمن من ربك قال ربي ربهما فقال فرعون سعيتما برجل على ديني لأقتله فقتلهما قالوا فذلك قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب.

حدثنا إسحاق بن هانئ قال كنا عند أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه في مترله ومعنا المروزي ومهنى بن يحيى الشامي فدق داق الباب وقال المروزي ههنا فكان المروزي كره أن يعلم موضعه فوضع مهني بن يحيى إصبعيه في راحته وقال ليس المروزي ههنا فضحك أحمد و لم ينكر عليه ذلك. بلغني عن أبي بكر الخلال قال أبو بكر المروزي جاء مهنى بن يحيى الشامي إلى أبي عبد الله ومعه أحاديث فقال يا أبا عبد الله معي هذه الأحاديث وأريد أن أخرج فحدثني بها فقال متى تريد أن تخرج قال الساعة اخرج فحدثه بها وخرج فلما كان من الغد أو بعد جاء إلى أبي عبد الله فقال له أبو عبد الله أليس قلت لي اخرج الساعة قال، قلت لك إني أخرج الساعة من بغداد إنما قلت اخرج من زقاقك عن مصعب الزبيري قال أتى العريان بشاب سكران فقال له من أنت فقال شعراً.

ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره فمنهم قيام حولها وقعود

فقال لبعض شرطه سل عن هذا فسأل عنه فقال هو ابن صاحب باقلا قلت وفي رواية أخرى زيادة.

ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره فمنهم قيام حولها وقعود

فظنه كبير القدر فخلى به فإذا هو ابن باقلاوى. أتى الحرث بن مسكين أيام المحنة وابن داود يمتحن الناس بخلق القرآن فقال للحارث أشهد أن القرآن مخلوق فقال أشهد أن هذه الأربعة مخلوقة وبسط أصابعه الأربع فقال التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فعرض وكنى وتخلص من القتل. قال شيخنا عبد الوهاب الأنماطي كان أحمد بن عبد المحسن الوكيل إذا حمل إليه محضر كتب فيه يحل صدره فيكتب فيه فقيل له كيف تكتب خلاف الأول فقال أنا أكتب ما ذكر صحيح ومقصودي نفي الصحة.

الباب العشرون

في ذكر من فلج على خصمه في المناظرة بالجواب المسكت

حدثنا خبيب عن عبد الرحمن بن خبيب عن أبيه عن جده خبيب بن يسار قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد غزواً أنا ورجل من قومي و لم نسلم فقلنا إنا لنستحي أن يشهد قومنا مشهداً لا نشهده معهم قال وأسلمتما قلنا لا قال فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين قال فأسلمنا وشهدنا معه فقتلت رجلاً وضربني ضربة فتزوجت ابنته لعد ذلك فكانت تقول لا عدمت رجلاً وشحك هذا الوشاح فأقول لها لا عدمت رجلاً عجل أباك إلى النار. عن إبراهيم بن جعفر بن محمود الأشهلي عن أبيه قال كان حويطب بن عبد العزى قد بلغ مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الإسلام فلما ولي مروان بن الحكم المدينة دخل عليه حويطب فقال له مروان ما نيتك فأخبره فقال له تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث فقال والله لقد هممت بالإسلام غير مرة وكل ذلك يعوقني عنه أبوك وينهاني ويقول تدع دين آبائك لدين محمد فأسكت مروان وندم على ما كان قال مروان لحبيش بن دلجة أظنك أحمق، فقال أحمق ما يكون الشيخ إذا عمل بظنه.

حدثنا محمد بن زكريا قال حضرت مجلساً فيه عبيد الله بن محمد بن عائشة التميمي وفيه جعفر بن القاسم الهاشمي فقال لابن عائشة ههنا آية نزلت في بني هاشم خصوصاً قال وما هي قال قوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك فقال ابن عائشة قومه قريش وهي لنا معكم قال بل هي لنا خصوصاً قال فخذ معها وكذب به قومك وهو الحق قال فسكت جعفر فلم يجد جواباً. قال المصنف غفر الله له وروينا أن معاوية قال لعبد الله ابن عامر أن لي عندك حاجة تقضيها قال نعم ولي إليك حاجة أتقضيها قال نعم قال سل حاجتك قال أريد أن تهب لي دورك وضياعك بالطائف قد فعلت فسل حاجتك قال أن تردها علي قال قد فعلت.

وافتخر قوم من اليمن عند هشام بن عبد الملك فقال لخالد بن صفوان أجبهم فقال هم بين حائك برد ودابغ جلد وسايس قرد وملكتهم امرأة ودلت عليهم هدهد وغرفتهم فارة. قال، قال غيلان لعبد الرحمن أنشدك الله أترى الله بحي أن يعصى ربيعة أنشدك الله أترى الله يعصى قسراً فكان ربيعة لقم غيلان حجراً. أنشدك الله أترى الله يعصى قسراً فكان ربيعة ألقم عيلان حجراً. قال وقف رجل بين يدي المأمون قد جنا جناية فقال له والله لأقتلنك فقال الرجل يا أمير المؤمنين تان علي فإن الرفق نصف العفو قال وكيف أن تلقاه قاتلاً قال فخلى سبيله. قال المنصور ولي يحيى بن أكثم قضاء البصرة وهو ابن إحدى وعشرين سنة قال فاستزرى بن الناس واستضعفوه فامتحنوه فقالوا كم سن القاضي قال سن عتاب بن أسيد حيث ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة. كان النظام لا يكتم سراً فأسر إليه يونس التمار سراً فأذاعه فلامه فقال النظام للناس سلوه هل أذعت سراً مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً فلمن الذنب الآن فلم يرضى أن يشاركه في الذنب حتى سار الذنب كله لصاحب السر.

قال كان أصحاب المبرد إذا اجتمعوا واستأذنوا يخرج الإذن فيقول إن كان فيكم أبو العباس الزجاج وإلا انصرفوا فحضروا مرة و لم يكن الزجاج فيهم فقال لهم ذلك فانصرفوا وثبت رجل منهم فقال عثمان للآذن قل لأبي العباس انصرف القوم كلهم إلا عثمان فإنه لا ينصرف فعاد الآذن إليه وأخبره فقال له إن عثمان إذا كان نكرة انصرف ونحن لا نعرفك فانصرف راشداً. قال قال رجل من أهل الحجاز لرجل من أهل العلم خرج من عندنا قال نعم إلا أنه لم يرجع إليكم قال تكلم شاب يوماً عند الشعبي فقال الشعبي ما سمعنا بهذا فقال الشاب كل العلم سمعت قال لا قال فشطره قال لا قال فاجعل هذا في الشطر الذي لم تسمعه فأقحم الشعبي وقال عبد الله بن سليمان بن الأشعث سمعت أبي يقول كان هارون الأعور يهودياً فأسلم وحسن إسلامه وحفظ القرآن وضبطه وحفظ النحو فناظره إنسان يوماً في مسألة فغلبه هارون فلم يدر المغلوب ما صنع فقال له أنت كنت يهودياً فأسلمت فقال له هارون أفبئس ما صنعت أيضاً والله الموفق.

قبال مالك بن سليمان كان لإبراهيم بن طهمان جراية من بيت المال فسئل عن مسألة في مجلس الخليفة فقال لا أدري فقالوا له تأخذ في كل شهر كذا وكذا ولا تحسن مسألة فقال إنما آخذ على ما أحسن ولو أخذت على ما لا أحسن لفني بيت المال ولا يفنى ما لا أحسن فأعجب الخليفة جوابه وأمر له بجائزة فاخرة وزاد في جرايته قال أبو العباس المبرد ضاف رجل قوماً فكرهوه فقال الرجل لامرأته كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه فقالت ألقِ بيننا شراً حتى نتحاكم إليه ففعلا فقالت للضيف بالذي يبارك لك في غدوك غداً أينا أظلم فقال الضيف والذي يبارك لي في مقامي عندكم شهراً ما أعلم.

قال ابن خلف حدثني بعض أصحابنا قال بلغني أن الرشيد خرج يوماً متنزهاً وانفرد عن عسكره والفضل بن الربيع خلفه فإذا هو بشيخ قد ركب حماراً له وفي يده لجام كأنه مبعر محشو فنظر إليه فإذا هو رطب العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل أين تريد قال حائطاً لي قال هل لك أن أدلك على شيء تداوي به عينيك فتذهب هذه الرطوبة قال ما أحوجني إلى ذلك قال له خذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكماة فصيره في قشر جوزة واكتحل به فإنه يذهب عنك ما تجد قال فاتكأ على قربوسة فضرط ضرطة طويلة ثم قال تأخذ هذه أجرة لوصفتك فإن نفعتنا زدناك قال فاستضحك الرشيد حتى كاد أن يسقط عن ظهر دابته قال الجاحظ قال المهدي لشريك القاضي وعيسى بن موسى عنده لو شهد عندك عيسى كنت تقبله وأراد لن يضرب بينهما فقال شريك من سألت عنه لا يسأل عن عيسى غير أمير المؤمنين فإن زكيته قبلته فقلبها عليه. قال أبو بكر بن محمد كان لي أخ يجيد الشعر فقال له رجل منهم وقد حسدوه على شعره ما أدري ما معنى أعجمي يقول الشعر فقال له رجل دب إلى أمه عربي فقال له وكذلك يلزم في قياس قولك إذا لم يقل العربي شعراً فقد دب إلى أمه أعجمي غضب رجل على رجل فقال له ما أغضبك قال شيء تنقله إلى الثقة عنك فقال له لو كان ثقة ما تم. قال أبو الحسن بن المأمون قال، قال المأمون ليحيى بن أكثم من الذي يقول وهو يعرض به:

قاضٍ يرى الحد في الزناء ولا   يرى على من يلوط من باس

قال أو ما يعرف أمير المؤمنين من قاله، قال لا، قال. يقوله الفاجر أحمد بن أبي نسيم الذي يقول:

حاكمنا يرتشي وقاضينا   يلوط والرأس شر ما رأس

لا أحسب الجور ينقضي وعلى   السلامة وآل من آل عباس

قال فأقحم المأمون وسكت خجلاً وقال ينبغي أن بنفي أحمد بن أبي نعيم إلى السند. قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن شهاب العطار قال روى يعقوب الشحام قال، قال لي أبو الهذيل بلغني أن رجلاً يهودياً قدم البصرة وقد قطع وغلب عامة متكليميهم فقلت لعني امضي إلى هذا اليهودي كلمه فقال يا بني قد غلب جماعة متكلمي البصرة فقلت لا بد فأخذ بيدي فدخلنا على اليهودي فوجدته يقرر الناس الذين يكلمونه نبوة موسى عليه السلام ثم يجحد نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فيقول نحن على ما اتفقنا عليه من نبوة موسى إلى أن نتفق على غيره فنقربه فدخلت إليه فقلت له أسألك أو تسألني فقال يا بني أو ما ترى ما أفعله بمشايخك فقلت دع عنك هذا واختر قال بل أسألك أخبرني أليس موسى نبياً من أنبياء الله قد صحت نبوته وثبت دليله تقر بهذا أو تجحده فتخالف صاحبك فقلت له أن الذي سألتني عنه من أمر موسى عندي على أمرين أحدهما أني أقر بنبوة موسى الذي أخبر بصحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه

وسلم وأمرنا باتباعه وبشر نبوته فإن كان عن هذا تسألني فأنا مقر بنبوته وإن كان الذي سألتني عنه لا يقر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم و لم يأمر باتباعه ولا بشر به فلست أعرفه ولا أقر بنبوته وهو عندي شيطان مخزي فتحير مما قلت له فقال لي فما تقول في التوراة فقلت أمر التوراة أيضاً عندي على وجهين إن كانت التوراة التي أنزلت على موسى الذي أقر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهي التوراة الحق وإن كانت الذي تدعيه فباطل وأنا غير مصدق بها فقال احتاج أن أقول لك شيئاً بيني وبينك فظننت أنه يقول شيئاً من الخير فتقدمت إليه فسارني وقال أمك كذا وكذا وأم الذي علمك لا يكني وقد رأى أني أثب به فيقول وثبوا علي فأقبلت على من كان في المجلس فقلت أعزكم الله أليس قد أجبته قالوا نعم فقلت أليس عليه أن يرد جوابي فقالوا نعم فقلبت إنه لما سارني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد وشتم من علمني وأنه ظن أني أثب به فيدعي أنا أثبناه وقد عرفتكم شأنه فأخذته الأيدي بالنعال فخرج هارباً من البصرة وقد كان له بها دين كثير فتركه وخرج هارباً لما لحقه من الانقطاع.

قال لما دخل الجماز على المتوكل قال له إني أريد أن أستبريك فقال الجماز بحيضة أو بحيضتين فضحك الجماعة منه فقال له الفتح قد كلمت أمير المؤمنين فيك حتى ولاك جزيرة القرود فقال له الجماز أفلست في السمع والطاعة أصلحك الله فحصر الفتح وأسكت فأمر له المتوكل بعشرة آلاف درهم فأخذها وانحدر فمات فرحاً بها. قال العتبي دخل الوليد بن زيد على هشام بن عبد الملك وعلى الوليد عمامة وشيء فقال له الوليد بكم أخذت عمامتك قال بألف درهم فقال هشام عمامة بألف يستكثر ذلك فقال الوليد إنها لأكرم أطرافي يا أمير المؤمنين وقد اشتريت جارية بعشرة آلاف درهم لأخس أطرافك.

كان معن بن زائدة يذكر عنه قلة دين فبعث إلى ابن عياش بألف دينار وكتب إليه بعثت إليك بألف دينار بها دينك فاقبض الثمن واكتب بالتسليم فكتب إليه قد قبضت وبعتك ديني ما خلا التوحيد لعلمي بزهدك فيه.

حدثنا يمون بن المزرع قال كان أبي والجماز يمشيان وأنا خلفهما بالعشى فممرنا بإمام وهو ينتظر من يمر عليه فيصلي معه فلما رآنا أقام الصلاة مبادراً فقال له الجماز دع عنك هذا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى أن يتلقى الجلب. أخبرنا ابن الأعرابي عن الأصمعي قال اجتزت في بعض سكك الكوفة فإذا برجل قد خرج من حبس على كتفه جرة وهو ينشد ويقول:

وأكرم نفسي أنني أن أهنتها ... وحقك لم تكرم على أحد بعدي

فقلت له تكرمت بمثل هذا فقال نعم واستغني عن سفلة مثلك إذا سالمته يقول صنع الله لك فقلت تراه عرفني فأسرعت فصاح بي يا أصمعي فالتفت إليه فقال:

لنقل الصخر من قلل الجبال أحب إلي من منن الرجال

يقول الناس كسب فيه عار وكل العار في ذل السؤال

حدثنا أبو الطيب بن هرثمة قال كنت مجتازاً ببغداد ومخنث يمشي فرأته امرأة وكان حسن البدن فقالت ليت علي شحم هذا المخنث فقال لها المخنث مع بغاي فشتمته فقال لها كيف صار تأخذين الجيد وتدعين الرديء. ودخل رجل إلى الحمام فرأى مخنثاً بين يدي حطمي فقال الرجل أعطني منه قليلاً فأبى فقال الرجل كل قفيز بدرهم فقال المخنث كل أربعة أقفزة بدرهم احسب حسابك كم يصيبك بلا شيء.

قال طراد بن محمد أن يهودياً ناظر مسلماً أظنه قال في مجلس المرتضي فقال اليهودي إيش أقول أقول في قوم سماهم الله مدبرين يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم حنين فقال المسلم فإذا كان موسى أدبر منهم قال له كيف قال لأن الله تعالى قال ولى مدبراً و لم يعقب وهؤلاء ما قال فيهم و لم يعقبوا فسكت. قال نصر بن سيار قلت لأعرابي هل أتخمت قط فقال أما من طعامك وطعام أبيك فلا فيقال أن نصر أحم من هذا الجواب أياماً.

قال رجل من اليهود لعلي بن أبي طالب ما دفنتم نبيكم حتى قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير فقال له علي عليه السلام أنتم ما جفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة.

حبلت امرأة يزيد فقالت له وكان قبيح الصورة الويل لك أن كان يشبهك فقال لها والويل لك إن لم يشبهني. رأى رجل من الأعاجم رجلاً أعور فقال قد حان خروج الدجال فقال إنه يخرج من بلاد الأعاجم لا العرب. جاز أبو بكر بن قانع بالكرخ في زمن الرفض فقالت له امرأة يا سيدي أبا بكر فقال لها لبيك يا عائشة فقالت كان اسمي عائشة قال فيقتلوني وحدي أريد أن يضربون رقابنا جميعاً.

ظفر رجل بخصمه في حرب فقال له ما تراني اصنع بك فقال مهلاً فما أمكنك الله مني إلا لشأن حلمك.

قيل لأبي الأسود اشهد معاوية بدراً فقال نعم من ذاك الجانب كان أبو الحسن المتيم الصوفي يسكن الرصافة وكان مطبوعاً مضاحكاً وكان يتولع برجل شاهد فيه غفلة يعرف بأبي عبد الله اليكا قال ابن المتيم فلقيته يوماً فسلمت عليه وصحت به اشهد علي فاجتمع الناس علينا فقال بم أشهد فقلت بأن الله إله واحد لا إله إلا هو وأن محمد عبده ورسوله وأن الجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فقال ابشر يا أبا الحسن سقط عنك الجزية وصرت أخاً من إخواننا فضحك الناس وانقلب الولع بي.

قال الشيخ سمعت بعض أصدقائي يحكي أن رجلاً كان يشرب ليلة الجمعة فنهاه بعض العوام وقال له هذه ليلة عظيمة فقال له الرجل في مثل هذه الليلة يرفع القلم فقال العامي ولكن يكتب بصوفة قال فاتعظ الرجل و لم يرجع بعد إلى شرب الخمر. وقفت امرأة قبيحة على عطار ماجن فلما نظر إليها قال وإذا الوحوش حشرت فقالت وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه. استأجر رجل غلاماً ليخدمه فقال له كم أجرتك قال شبع بطني فقال له سامحني فقال أصوم الاثنين والخميس.

شكا جماعة من الصالحين ضرر الأتراك إلى أمير المؤمنين فقال لهم أنتم تعتقدون أن هذا بقضاء الله فكيف أدفع قضاء الله فقال له أحدهم صاحب القضاء قال ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض فأفحم أمير المؤمنين.

الباب الحادي والعشرون

في ذكر من غلب من العوام بذكائه كبار الرؤساء

حدثني رجل من أهل الرقة عن عبد الملك بن عمير قال أخذ زياد رجلاً من الخوارج فأفلت منه فأخذ خاله فقال إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك قال أرأيت إن جئت بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فأنا آتيك بكتاب من العزيز الرحيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى عليهما السلام أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى أن لا تزر وازرة وزر أخرى قال زياد خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته. قال يموت بن المزرع قال لنا الجاحظ ما غلبني أحد قط إلا رجل وامرأة فأما الرجل فإني كنت مجتازاً في بعض الطرق فإذا أنا برجل قصير بطين كبير الهامة طويل اللحية متزر بمئزر وبيده مشط يسقي به شقه ويمشطها به فقلت في نفسي رجل قصير بطين الحي فاستزريته فقلت أيها الشيخ قد قلت فيك شعراً فترك المشط من يده وقال: قل، فقلت:

كأنك صعوة في أصل حش ... أصاب الحش طش بعد رش

فقال لي اسمع جواب ما قلت فقلت هات فقال:

كأنك كندر في ذنب كبش ... يدلدل هكذا والكبش يمشي

وأما المرأة فكنت مجتازاً ببعض الطرقات فإذا أنا بامرأتين وكنت راكباً على حمارة فضرطت الحمارة فقالت إحداهما للأخرى وهي حمارة الشيخ تضرط فغاظني قولها فاحندت ثم قلت لها إنه ما حملتني أنثى قط إلا وضرطت فضربت بيدها على كتف الأخرى وقالت كانت أم هذا منه تسعة أشهر على جهد

جهيد.
لقي بعض الأكاسرة في موكبه رجلاً أعور فحبسه فلما نزل خلاه وقال تطيرت منك قال أنت أشام مني لأنك خرجت من مترلك ولقيتني فما رأيت إلا خيراً وخرجت من مترلي فلقيتك فحبستني فلم يعد بعدها يتطير. عن الأصمعي قال، قال الوليد بن عبد الملك لبديح خذ بنا في المنى فوالله لأغلبنك قال لا تغلبني قال بلى لأفعلن وقال فستعلم قال الوليد فإني أريد أتمنى ضعف ما تتمنى أنت فهات قال فإني أتمنى سبعين كفلاً من العذاب ويلعنني الله لعناً كثيراً فقال غلبتني قبحك الله قال مرض مولى لسعيد بن العاص و لم يكن له من يخدمه ويقوم بأمره فبعث إلى سعيد بن العاص فلما أتاه قال له ليس لي وارث غيرك وههنا ثلاثون ألف درهم مدفونة فإذا أنا مت فخذها فقال سعيد حين خرج من عنده ما أرانا إلا قد أسأنا إلى مولانا وقصرنا في تعاهده فتعاهده كل التعاهد ووكل به من يخدمه فلما مات اشترى له كفناً بثلاثمائة درهم وشهد جنازته فلما رجع إلى البيت حفر البيت كله فلم يجد شيئاً وجاء صاحب الكفن يطالب بثمن الكفن فقال لقد هممت أن أنبش عليه وأسلبه كفنه. أتى الحجاج برجل ليقتله وبيده لقمة فقال والله لا أكلتها حتى أقتلك قال أو خير من ذلك تطعمينها ولا تقتلني فتكون قد بررت في يمينك ومننت علي فقال ادن مني فأطعمه إياها وخلاه. وأتى الحجاج برجل من الخوارج فأمر بضرب عنقه فاستنظره يوماً قال ما تريد بذلك قال أؤمل عفو الأمير مع ما تجري به المقادير فاستحسن قوله وخلاه.
وبلغنا عن عمرو بن العاص أنه منع أصحابه ما كان يصل إليهم فقام إليه رجل فقال أيها الأمير اتخذ جنداً من حجارة لا تأكل ولا تشرب فقال له عمرو أخسا أيها الكلب فقال له الرجل أنا من جندك فإذا كنت كلباً فأنت أمير الكلاب وقائدها.

قال المتوكل يوماً لجلسائه أتدرون ما الذي نقم المسلمون من عثمان قالوا لا قال أشاء منها أنه قام أبو بكر دون مقام الرسول بمرقاة ثم ومقام عمر دون مقام أبي بكر بمرقاة فصعد عثمان ذروة المنبر فقال عباد ما أحد أعظم منه عليك يا أمير المؤمنين من عثمان قال وكيف ويلك قال لأنه صعد ذروة المنبر فلو أنه كلما قام خليفة نزل عمن تقدمه منت أنت تخطبنا من بئر جلولاً فضحك المتوكل ومن حوله قال رجل لغلامه يا فاجر فقال الغلام أتولى القوم منهم قال الربيع كنت قائماً على رأس المنصور إذ أتى بخارجي قد هزم له جيوشاً فأقامه ليضرب عنقه ثم قال له يا ابن الفاعلة مثلك يهزم الجيوش فقال له الخارجي ويلك وسوءة لك بيني وبينك أمس القتل والسيف، واليوم القذف والسب وما كان يؤمنك أن أرد عليك وقد يئست من الحياة فلا تستقبلها أبداً فاستحى المنصور وأطلقه.
وقال الصاحب بن عباد ما أخجلني غير ثلاثة منهم أبو الحسين البهديني فإنه كان في نفر من جلسائي

فقلت له وقد أكثر من أكل المشمش لا تأكله فإنه يلطخ المعدة فقال ما يعجبني ما يطب الناس على مائدته وأخر قال لي وقد جئت من دار السلطان وأنا ضجر من أمر عرض لي من أين أقبلت فقلت من لعنة الله فقال رد الله غربتك فأحسن علي إساءة الأدب وصبي مستحسن داعبته فقلت لبيك تحتي فقال مع ثلاثة أخر يعني في رفع جنازتي فأخجلني قال رجل شربت البارحة فاحتجت إلى القيام لإراقة الماء كأنني جدي فقال له عامي لم تصغر نفسك يا سيدنا.

الباب الثاني والعشرون

في ذكر أقوال وأفعال صدرت من أواسط الناس وعوامهم تدل على قوة الذكاء

حدثنا يحى المرزوي قال كنت آكل مع الرشيد يوماً فرفع رأسه إلى خادم فكلمه بالفارسية فقلت له يا أمير المؤمنين إن كنت تريد أن تسر إليه شيئاً فإني أفهم بالفارسية فاستحسن الرشيد ذلك مني وقال ليس نطوي سراً. قال عاد أبو عمر الضرير رجلاً من أصحابه فأخذت أمة بيده فصعدت به فلما أراد أن يترل جاءت فأخذت بيده فقال رديني إلى مولاك فردنه فقال إن جاريتك أخذت بيدي حين صعدت وهي بكر ثم أخذت بيدي الساعة وهي ثيب فسأل عن ذلك فأخبر أن ابناً للرجل افترشها. قال مصعب بن عبد الله قال مالك بن أنس صلى بعض الشطار خلف رجل فلما قرأ ارتج عليه فلم يدر ما يقول فجعل يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وجعل يردد ذلك مراراً فقال الشاطر من خلفه ما للشيطان ذنب إلا أنك ما تحسن تقرأ.

قال محمد بن عبد الرحمن دعا مغن مرة أخاً له فأقعده إلى العصر فلم يطعمه شيئاً فاشتد جوعه فأخذه مثل الجنون فأخذه صاحب البيت العود وقال له بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك قال صوت المقلي أخبرنا الجماز قال سمعت واحد يقول لا آخر قد رمد بأي شيء تداوي عينيك قال بالقرآن ودعاء الوالدة فقال اجعل معهما شيئاً من أنزروت قال أبو الحسن علي بن هشام بن عبيد الله الكعب المعروف أبوه بأبي قيراط قال سمعت حامد بن العباس يقول ربما انتفع الإنسان في نكبته بالرجل الصغير أكثر من منفعته بالرجل الكبير فمن ذلك أن إسماعيل بن بلبل لما حبسني جعلني في يد بواب كان يخدمه فكان رجلاً حراً فأحسنت إليه وبررته وكان ذلك البواب يدخل لي مجلس الخاصة ولا ينكر عليه لسابق خدمته فجاءني في بعض الليالي وقال قد حرر الوزير علي ابن الفرات وقال ما يكسر المال على حامد غيرك ولا بد من الجد في مطالبته بباق مصادرته وسيدعو بك الوزير غداً إلى حضرته ويهددك فشغل ذلك قلبي فقلت له هل

عندك من رأي فقال اكتب رقعة إلى رجل من معامليك تعرف شحه والتمس منه لعاليك ألف درهم يقرضك إياها واسأله أن يجيبك على ظهر الرقعة لترجع إليك لتخرجها فإنه لشحه يردك بعذر احتفظ بالرقعة فإذا طالبك أخرجتها إليه وقلت له قد أفضت حالي إلى هذا فأخرجتها على غير مواطئة فلعل ذلك ينفعك ففعلت ما قال وجاءني الجواب بالرد كما حسبنا فلما كان من الغد أخرجني الوزير وطالبني فأخرجت الرقعة فقرأها فلان واستحى وكان ذلك سبب خفة أمري وزوال محنتي.

قال عيسى بن محمد الطوماري سمعت أبا عمرو محمد بن يوسف القاضي يقول اعتل أبي علة شهوراً فانتبه ذات ليلة فدعا بي وبأخوتي وقال لنا رأيت في النوم كأن قائلاً يقول كل لا واشرب لا فإنك تبرأ فلم ندر تفسيره. وكان بباب الشام رجل يعرف بأبي علي الخياط حسن المعرفة بعبارة الرؤية فجئنا به فقص عليه المنام فقال ما أعرف تفسيره ولكني أقرأ كل ليلة نصف القرآن فأخلوني الليلة حتى أقرأ رسمي وأتفكر فلما كان من الغد جاءنا فقال مررت على هذه الآية لا شرقية ولا غربية فنظرت إلى لا. وهي تردد فيها اسقوه زيتاً وأطعموه زيتاً، ففعلنا وكانت سبب عافيته.

قال حدثنا الأصمعي قال رأيت رجلاً قاعداً على قصر أوس في الطاعون، يعد الموتى في كوز، فعد أول يوم عشرين ومائة ألف، فلما كان في اليوم الثاني عد خمسين ومائة ألف، فمر قوم بميتهم وهو يعد فلما رجعوا، إذا عند الكوز غيره فسألوه عنه فقالوا لهم هو في الكوز. حكى جعفر البرني قال مررت بسائل على الجسر وهو يقول مسكيناً ضريراً فدفعت إليه قطعة وقلت يا هذا لم نصبت قال فديتك بإضمار ارحموا. حدثنا أبو عثمان الخالدي قال علمت قصيدة أمدح سيف الدولة أبا الحسن أبن حمدان وعرضتها على جماعة أتعرف ما عندهم فيها، إذ حضر مخنث وأنا أقرؤها فلما انتهيت إلى قولي:

وأنكرت شيبة في الرأس واحدة   فعاد يسخطها ما كان يرضيها

قال هذا غلط، قلت ما هو، قال تقول للأمير في الرأس واحدة ألا قلت في الرأس طالعة أو لائحة فعجبت من فطنته وجودة خاطره. روى سعيد بن يحيى الأموي عن أبيه قال كان فتيان من قريش يرمون فرمى منهم من ولد أبي بكر وطلحة فقرطس فقال أنا بن القرنين فرمى آخر من ولد عثمان فقرطس فقال أنا ابن الشهيد ورمى رجل من الموالي فقرطس فقال أنا ابن من سجدت له الملائكة فقالوا له من هو فقال آدم. قال المبرد قدم بعض البصريين من أصحاب أبي هذيل بغداد قال فلقيت مخنثين لهما أيد مترلا وكان هذا الرجل في نهاية القبح فقال أحدهما بالله من أين أنت قلت من البصرة فأقبل على الآخر وقال لا إله إلا الله يا أختي كل شيء من الدنيا حتى هذا كانت القرود تجيء من اليمن صارت تجيء من البصرة.

بلغنا عن أبي الحرث أنه كان يهوى جارية يتعرس بطيفها، فشكا حاله إلى محمد بن منصور فاشتراها له وأنفذها إليه فلم يساعده ما معه عليها فبكر إليه فقال كيف كانت ليلتك قال شر ليلة صار ما عندي قرشياً من بني أمية قال كيف ذاك قال صار كما قال الأخطل:

شمس العداوة حتى تستفاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذ قدروا

فضحك محمد بن منصور مضى إلى الفضل وجعفر فأخبرهما وكان خبره حديثهم عامة يومهم. شكا أصحاب هشام إلى أسلم بن الأحنف احتباس أرزاقهم فدخل على هشام فقال يا أمير المؤمنين لو أن منادياً نادى يا مفلس ما بقي أحد من أصحابك إلا التفت فضحك وأمر بصلة أرزاقهم. عربد هاشمي على قوم فشكوه إلى عمه فأراد عمه أن يتناوله بالأدب فقال إني أسأت وليس معي عقلي فلا نسيء إلي ومعك عقلك فصفح عنه. قال قدم وفد من العراق على سليمان بن عبد الملك فقام رجل منهم فقال يا أمير المؤمنين ما أتيناك رغبة ولا رهبة قال فلم جئتم قال نحن وفد الشكر، أما الرغبة فقد وصلت إلينا في رحالنا وأما الرهبة فقد أمناها بعدلك ولقد حببت إلينا الحياة وهونت علينا الموت فأما تحبيبك إلينا الحياة فلما انتشر من عدلك وأما تهوينك علينا الموت فلما نثق منك فيمن تخلف من أعقابنا عليك، فوصله وأحسن جائزته وجوائز أصحابه.

حدثنا أبو الحسن المدايني قال بعض العلماء كان لنا صديق من أهل البصرة وكان ظريفاً أديباً فوعدنا أن يدعونا إلى منزله فكان يمر بنا فكلما رأيناه قلنا متى هذا الوعد إن كنتم صادقين فيسكت إلى أن اجتمع ما يريده فمر بنا فأعدنا عليه القول فقال انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون. ذكر هلال بن المحسن أن رجلاً كان يقال له أبو العجب لم ير مثله فيما كان يعمل من الشعبذة دخل يوماً إلى دار المقتدر بالله فرأى خادماً من خواصه يبكي على بلبل مات له فقال له ما عليك أيها الأستاذ إن أحييته فقال ما تريد فأخذ البلبل الميت فأدخله كمه وأدخل رأسه وأخرج بعد ساعة بلبلاً حياً فماجت الدار وعجب الحاضرون فاستدعاه علي بن عيسى وقال والله إن لم تصدقني عن حقيقة الأمر لأضربن عنقك، فقال إني شاهدت الخادم يبكي على بلبله فطمعت بما آخذه منه فمضيت في الحال إلى السوق وابتعت بلبلاً وخبأته في كمي وعدت إلى الخادم فقلت ما قلته وأخذت البلبل الميت وأدخلت رأسه في كمي وأكلته وأخرجت الحي فلم يشك أنه بلبله وهذا رأس الميت.

أحضر رجل بين يدي المأمون قد أذنب فقال له أنت الذي فعلت كذا وكذا قال نعم أنا ذاك يا أمير المؤمنين الذي أسرف على نفسه واتكل على عفوك فعفا عنه. قال بعض الأدباء لصديق له أنت والله

بستان الدنيا فقال الآخر أنت النهر الذي يشرب منه ذلك البستان.

تظلم أهل الكوفة من عاملها إلى المأمون فقال ما علمت في عمالي أعدل منه فقال رجل من القوم يا أمير المؤمنين فقد لزمك أن تجعل لسائر البلدان نصيباً من عدله حتى تكون قد ساويت بين رعاياك في حسن النظر، فأما نحن فلا تخصنا منه بأكثر من ثلاث سنين فضحك المأمون وأمر بصرفه. دعا بعض الظرفاء قوماً فجاؤوا ومعهم طفيلي ففطن الرجل به وأراد أن يعلمهم أنه قد فطن فقال ما أدري لمن أشكر لكم أن دعوتكم فجئتم أو لهذا الذي تجشم من غير أن دعوته.

قال يموت بن المزرع قال لي سهل بن صدقة يوماً وكانت بيننا مداعبة ضربك الله باسمك فقلت له مسرعاً أحوجك الله إلى اسم أبيك.

مر رجل من الأذكياء برجل قائم في الطريق قال ما وقوفك قال انتظر إنساناً فقال يطول قيامك إذن.

تقدم رجل سيئ الأدب إلى حجام فقال له تقدم يا ابن الفاعلة وأصلح شاربي فقال له إن كان خطابك للناس كذا فعن قليل تسترح منه. حضر خياط عند بعض الأتراك ليفصل له قباء فأخذ يفصل والتركي ينظر إليه فلم يتهيأ له أن يسرق منه شيا فضرط فضحك التركي حتى استلقى فأخرج الخياط من الثوب ما أراد فجلس التركي وقال يا خياط ضرطة أخرى فقال لا يجوز يضيق القباء. قال رجل لرجل بكم ابتعت هذه الشاة فقال أخذتها بستة وهي خير من سبعة وقد أعطيت بها ثمانية فإن كانت من حاجتك بتسعة فزن عشرة. تزوج أعمى امرأة فقالت له لو رأيت حسني وبياضي لعجبت فقال لو كنت كما تقولين ما تركك لي البصراء.

قال رجل لبعض المياسير وعدتني وعداً فأنجزه لي فقال ما أذكر هذا الوعد فقال صدقت أنت لا تذكره لأن من تعد مثلي كثير وأنا لا أنسى لأن من أسأله بمثلك قليل فقال أحسنت وقضى حاجته. كان رجل في دار بأجرة وكان خشب السقف يتفرقع كثيراً فلما جاء رب الدار يطالبه بالأجرة قال له اصلح هذا السقف فإنه يتفرقع قال لا بأس عليك فإنه يسبح الله قال أخشى أن تدركه الرأفة فيسجد.

وقف قوم على مزيد وهو يطبخ قدراً فأخذ أحدهم قطعة لحم فأكلها وقال يا مزيد تحتاج القدر إلى الخل وأخذ آخر قطعة لحم فأكلها وقال تحتاج القدر إلى إبزار وأخذ آخر قطعة لحم وقال يحتاج القدر إلى ملح فأخذ الطباخ قطعة لحم وقال تحتاج القدر إلى لحم فتضاحكوا منه وانصرفوا. قال رجل لأعرابي ما اسمك فقال فرأت بن البحرين الفياض قال فما كنيتك قال أبو الغيث قال بأبي أنت ينبغي أن نلقي فيك زورقاً وإلا غرقنا. قال سعيد بن مسلم لبعض جلسائه في بستانه ما أحسن هذا البستان قال أنت أحسن منه لأنه يؤتى أكله كل عام مرة وأنت تؤتي أكلك كل يوم.

قام رجل على رأس ملك فقال له لم قمت قال لا قعد فولاه دخل مخنث على العريان بن الهيثم وهو أمير المؤمنين بالكوفة فقال يا عدو الله أتتخنث وأنت شيخ فقال مكذوب علي كما كذب على الأمير أعزه الله فاستوى جالساً وقال وما قيل في، قال يسمونك العريان وأنت صاحب عشرين جبة فضحك وخلى سبيله رمى رجل عصفوراً فأخطأه فقال له رجل أحسنت فغضب وقال أتهزأ بي قال لا ولكن أحسنت إلى العصفور.

قال جعفر بن يحيى البرمكي لبعض ندمائه اشتهي والله أن أرى إنساناً تليق به النعمة فقال له الرجل أنا أريك ذاك عياناً فقال هات فأخذ المرآة فقربها من وجهه قص قاص فقال إذا مات العبد وهو سكران دفن وهو سكران وحشر وهو سكران فقال رجل في طرف الحلقة هذا والله نبيذ جيد يساوي الكوز منه عشرين درهماً نظر الأصبهاني إلى أبي هفان يسار رجلاً فقال فيم تكذبان قال في مدحك كان رجل من الظرف مع الرشيد في سفره إلى خراسان فلما علا عقبة ماسدان قال الرشيد الحمد لله الذي أخرجنا من الدنيا سالمين اجتاز بالناشيء البغدادي قصاب يبيع لحم بقر هزيل وهو يقول أين من حلف لا يغبن فقال له الناشيء حتى تحنثه قال تاب مخنث فلقيه مخنث آخر فقال من أين تأكل قال من بقية ذاك الكسب فقال لحم الخنزير طرياً أطيب منه قديداً وقال رأى عبادة المخنث ثغر دابة فمط ذنبها وقال هذه تمشي على استحياء أطعم رجل من جدي أربعة أيام فقال له هذا الجدي موته أطول عمراً منه في حياته اجتمع قوم في دعوة وفيهم رجل له محبوب في الجماعة فلما ناموا قام المحب فأطفأ السراج وأخذ بيده حتى أن رآه أحد وضع المخدة تحت رأسه وقام فلما بلغ إلى المكان خرجت جارية بشمعة فالصق المخدة بالحائط واتكأ عليها يغط، فقالت الجارية ويحك تنام وتغط قائماً فقال لها إيش عليك مني كيفما أردت أن أنام نمت.

دخل رجل ذكي إلى المسجد يصلي فسرقوا نعله فتركوها في كنيسة بجوار المسجد فجعل يفتش عليها فرآها في الكنيسة فقال ويحك لما أسلمت أنا تهودت أنت، قال بعض الأذكياء إذا رأيت رجلاً من صلاة الغداة على باب داره وهو يقول وما عند الله خير وأبقى فاعلم أن في جواره وليمة لم يدع إليها وإذا رأيت قوماً يخرجون من مجلس القاضي وهو يقولون وما شهدنا إلا بما علمنا فاعلم أن شهادتهم لم تقبل وإذا تزوج الرجل فسئل عن حاله فإن قال ما رغبنا إلا في الصلاح فاعلم أن زوجته قبيحة، قال الشيخ حكي لنا أن بعض الناس ضاف رجلاً فانتبه صاحب الدار بالليل فسمع ضحك الرجل من الغرفة فصاح به فلان قال لبيك قال أنت كنت في الدار فما الذي رقاك إلى الغرفة قال تدحرجت قال الناس يتدحرجون من فوق إلى أسفل فكيف تدحرجت أنت قال فمن هذا أضحك.

قال رجل لرجل إن لطمتك لطمة لأبلغن بك المدينة فقال له فأحب إن تردفها بأخرى لعل الله تعالى أن

يرزقني الحج على يديك، قال صبي ليهودي يا عم قف حتى أصفعك قال أنا مستعجل اصفع أخي قال رجل لبعض المغنين ما تعرف الثقيل الأول ولا الثقيل الثاني فقال وكيف لا أعرفهما وأنا أعرفك وأعرف أباك، نظر أبو الفضل الهمداني إلى رجل طويل بارد فقال قد أقبل ليل الشتاء، رؤي فقير في قرية فقيل له ما تصنع فقال ما صنع موسى والخضر عليهما السلام يعني استطعما أهلها وسئل بعض السوقة عن سوقهم فقال مثل سوق الجنة يعني أنه لا بيع فيه ولا شراء. قال شتم رجلاً من العوام فقال له إيش قلت لك فأوهمه أنه يسأل أي شيء قلته لك حتى تشتمني وإنما أراد أي شيء قلته فهو لك وهذا من عجيب الفطنة، جاءت جارية رجل إليه وهو في الموت بشيء يشربه فكرهه فقالت له يا سيدي غمض عينيك وخذه فقال كذا افعل بشرى لي أني أموت.

قال رجل لرجل بأي وجه تلقاني وقد فعلت كذا وكذا قال بالوجه الذي ألقى به ربي عز وجل وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك، تكلم بعض القصائص قال في السماء ملك يقول كل يوم لدوا للموت وابنو للخراب فقال بعض الأذكياء اسم ذلك الملك أبو العتاهية، قال استدعي رجل مغنيين فلما هما بالغناء قال أحدهما للآخر اتبعني قال لا بل أنت اتبعني قال لا بل أنت اتبعني فلما طال هذا بينهما قال صاحب البيت اتبعاني جميعاً. قال قدم طباخ إلى بعض الأذكياء طبقاً وعليه رغيفان ثم قال له إيش تشتهي أجيئك به فقال خبزاً، وحكى أيضاً إن بعض المحتسبين جاز يوماً على رجل ينادي على الخبيص رطلين بحبة فقال له ويحك الدبس يباع رطل بحبة والشيرج رطل بقيراط فكيف تبيع أنت الخبيص رطلين بحبة فقال يا سيدنا ما في الخبيص شيء من اللذين ذكرت قال فبع الآن كيف شئت والله الموفق.

الباب الثالث والعشرون

في احترازات الأذكياء

قال الشيخ رضي الله عنه روينا عن العباس بن عبد المطلب أنه سئل أيما أكبر أنت أو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر وأنا ولدت قبله، وروينا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال لبعض أهل المدينة أنا أسن أن أنت فقال له لا أذكر ليلة زفت أمك المباركة على أبيك الطيب وهذا الاحتراز مليح لأنه لم يقل أمك الطيبة. قال ابن عرابة المؤدب حكي لي محمد بن عمر الصبي أنه حفظ ابن المعتز وهو يؤدبه والنازعات وقال له إذا سألك أمير المؤمنين أبوك في أي شيء أنت فقل له في السورة التي تلي عبس ولا تقل أنا في النازعات قال فسأله أبوه في أي شيء أنت قال في السورة التي

تلي عبس فقال من علمك هذا قال مؤدبي قال فأمر له بعشرة آلف درهم. قال عبد الواحد بن نصر المخزومي قال أخبرني من أثق به أنه خرج في طريق الشام مسافراً يمشي وعليه مرقعة وهو في جماعة نحو الثلاثين رجلاً كلهم على هذه الصفة فصحبنا في بعض الطريق رجل شيخ حسن الهيئة معه حمار فأره يركبه ومعه بغلان عليهما رجل وقماش ومتاع فاخر فقلنا له يا هذا إنك لا تفكر في خروج الأعراب علينا فإنه لا شيء معنا يؤخذ وأنت لا تصلح لك صحبتنا مع ما معك فقال يكفينا الله ثم سار و لم يقبل منا وكان إذا نزل يأكل استدعي أكثرنا فأطعمه وسقاه وإذا عيي الواحد منا أركبه على أحد بغليه وكانت جماعة تخدمه وتكرمه وتتدبر برأيه إلى أن بلغنا موضعاً فخرج علينا نحو ثلاثين فارساً من الأعراب فتفرقنا عليهم وما نعناهم فقال الشيخ لا تفعلوا فتركناهم ونزل فجلس وبين يديه سفرته ففرشها وجلس يأكل وأظلتنا الخيل فلما رأوا الطعام دعاهم إليه فجلسوا يأكلون ثم حل رحله وأخرج منه حلوى كثيرة وتركها بين يدي الأعراب فلما أكلوا وشبعوا جمدت أيديهم وخدرت أرجلهم و لم يتحركوا فقال لنا أن الحلو مبنج أعددته لمثل هذا وقد تمكن منهم وتمت الحيلة ولكن لا يفك البنج إلا أن تصفعوهم فافعلوا فإنهم لا يقدرون لكم على ضرر وسير ففعلوا فما قدروا على الامتناع فعلمنا صدق قوله وأخذنا أسلحتهم وركبنا دوابهم وسرنا حواليه في موكب ورماحهم على أكتافنا وسلاحهم علينا فما نجتاز بقوم ألا يظنونا من أهل البادية فيطلبون النجاة منا حتى بلغنا ما مننا.

حدثنا أبو محمد عبد الله ابن علي المقري قال دفن رجل مالاً في مكان وترك عليه طابقاً وتراباً كثيراً ثم ترك فوق ذلك خرقة فيها عشرون ديناراً وترك عليها أتراباً كثيراً ومضى فلما احتاج إلى الذهب كشف عن العشرين فلم يجدها فكشف عن الباقي فوجده فحمد الله على سلامة ماله وإنما فعل ذلك خوفاً أن يكون قد رآه أحد وكذلك كان فأنه لما جاءه الذي رآه وجد العشرين فأخذها و لم يعتقد أن شيئاً آخر، حدثني بعض المشايخ أن رجلاً يهودياً كان معه مال فاحتاج إلى دخول الحمام وخاف أن ينكسر سبته إن حمله معه فدخل إلى خزانة الحمام فحفر ودفنه ثم دخل إلى الحمام وخرج فبحث عنه فلم يجده فسكت و لم يخبر أحداً لا زوجته ولا ولداً ولا صديقاً فجاءه بعد أيام رجل فقال كيف أنت من شغل قلبك فلزمه وقال رد مالي لي فقالوا له من أين علمت قال رآني لما دفنته مخلوق ولا حدثت به مخلوقاً قال إن هذا أخذه ما قال كيف أنت من شغل قلبك.

وقال بعضهم خرجت في الليل لحاجة فإذا أعمى على عاتقه جرة وفي يده سراج فلم يزل يمشي حتى أتى النهر وملأ جرته وانصرف راجعاً فقلت يا هذا أنت أعمى والليل والنهار عندك سواء فقال يا فضولي حملتها معي لأعمى القلب مثلك يستضيء بها فلا يعثر بي في الظلمة فيقع علي فيكسر جرتي. روى أبو

الحسن الأصفهاني أن إبراهيم الموصلي دخل على الرشيد وبين يديه جارية كأنها خوط بان فقال لها الرشيد غني فغنت:

توهمه قلبي فأصبح خده   وفيه مكان الوهم من نظري أثر

ومر بوهمي خاطراً فجرحته   ولم أر جسماً قط يجرحه الفكر

قال إبراهيم فذهبت والله بعقلي حتى كدت أفتضح فقلت من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه التي يقول فيها الشاعر:

لها قلبي الغداة وقلبها لي   فنحن كذاك في جسدين وروح

ثم قال غني يا إبراهيم فغنيت:

تشرب قلبي حبها ومشى بها   تمشي حميا الكأس في جسم شارب

ودب هواها في عظامي فشفها   كما دب في الملسوع سم العقارب

قال ففطن بتعريضي وكانت غلطة مني فأمرني بالانصراف ولم يدعني شهراً ثم دس إلي خادماً ومعه رقعة فيها مكتوب:

قد تخوفت أن أموت من الوجد   ولم يدر من هويت بحالي

يا كتابي اقرأ السلام على من   لا أسمى وقل له يا كتابي

إن كفا إليك قد كتبتني   في شقاء مواصل وعذاب

فأتاني الخادم بالرقعة فقلت له ما هذا قال رقعة من فلانة الجارية التي غنتك بين يدي أمير المؤمنين فأحسست بالقصة فشمت الخادم وقمت إليه فضربته ضرباً شفيت منه نفسي وركبت إلى الرشيد من فوري فأخبرته بالقصة وأعطيته الرقعة فضحك حتى كاد أن يستلقي وقال علي عمد فعلت ذاك لامتحنك وأعرف مذهبك وطريقتك ثم دعا لي الخادم فخرج فلما رآني قال قطع الله يديك ورجليك ويلك قتلتني فقلت القتل بعض حفك لما وردت به علي ولكني أبقيت عليك وأخبرت أمير المؤمنين ليأتي في عقوبتك ما تستحقه فأمر لي الرشيد بصلة سنية والله يعلم أني ما فعلت ما فعلته عفافاً بل خوفاً. وقعت على ابن المهلب حية فلم يدفعها عن نفسه فقال له أبوه يا بني ضيعت العقل من حيث حفظت الشجاعة.

الباب الرابع والعشرون

في ذكر طرف من أحوال الشعراء والمداحين

قال يموت بن المزرع جلس الجماز يأكل على مائدة بين يدي جعفر بن القاسم وجعفر يأكل على مائدة أخرى وكانت الصفحة ترفع من بين يدي جعفر فتوضع بين يدي الجماز فربما كان عليها قليل وربما لم يكن شيء فقال الجماز أصلح الله الأمير ما نحن اليوم إلا عصبة فربما فضل لنا بعض المال وربما أخذه أهل السهام ولا يبقى لنا شيء. قال أبو الحسن السلامي الشاعر مدح الخالديان سيف الدولة بن حمدان بقصيدة أولها:

تصدو دارها صدد ... وتوعده ولا تعد

وقد قتلته ظالمة ... فلا عقل ولا أقود

وقالا فيها في مدحه

فوجه كله قمر ... وسائر جسمه أسد

فلما أنشده إياها عجب بها سيف الدولة واستحسن هذا البيت منها وجعل يردد إنشاده فدخل عليه الشيميطي الشاعر فقال له اسمع هذا البيت وأنشده إياه فقال له الشيميطي أحمد ربك فقد جعلك من عجائب البحر. قال المصنف الخالديان رجلان وهما أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم كانا أخوين واتفقا في حسين الطبع ورقة الشعر وكثرة الأدب وكانا يشتركان في الشعر وينفردان فقال فيهما أبو اسحق الصابي:

أرى الشاعرين الخالدين سيرا ... قصائد يفنى الدهر وهي تخلد

تنازع قوم فيهما وتناقضوا ... ومر جدال بينهم يتردد

فطائفة قالت سعيد مقدم ... وطائفة قالت لهم بل محمد

وصاروا إلى حكمي فأصلحت بينهم ... وما قلت إلا بأنني هي أرشد

هما في اجتماع الفضل روح مؤلف ... ومعناها من حيث ثنيت مفرد

خرج طاهر بن الحسن لقتال عيسى بن هامان فخرج وفي كمه دراهم يفرقها على الفقراء ثم سها وأسبل كمه فتبددت فتطير فقال له شاعر في ذلك:

هذا تفرق جمعهم لا غيره ... وذهابه منا ذهاب الهم

شيء يكون الهم نصف حروفه ... لا خير في إمساكه في الكم

أحضر عبد الملك رجلاً يرى رأى الخوارج فأمر بقتله فقال الست القائل:

ومنا سويد والبطين وقعنب ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال إنما قلت ومنا أمير المؤمنين أردت يا أمير المؤمنين فحقن دمه ودرأ عن نفسه إذ صرف الأعراب عن الخبر إلى الخطاب. هجا بعض الشعراء أبا عثمان المازني فقال:

وفتى من مازن ساد أهل البصرة أمه معرفة وأبوه نكرة

ودخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد فلقيه إسماعيل بن صبيح الحاجب فقال اعلم أنه ولد لأمير المؤمنين ابنان فعاش أحدهما ومات الآخر فيجب أن تخاطبه بحسب ما عرفتك فلما صار بين يديه قال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدة بواحدة تستوجب من الله زيادة الشاكرين وجزاء الصابرين. قال دخل جعفر الضبي على الفضل بن سهل فقال أيها الأمير أسكتني عن أوصافك تساوى أفعالك في السؤدد وحيرني فيها كثرة عددها فليس إلى ذكر جميعها سبيل فإن أردت وصف واحدة اعترضت أختها فلم تكن الأولى أحق بالذكر فلست أصفها إلا بإظهار العجز عن وصفها.

قال دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده قصيدة فقال يا أبا دلامة إن أمير المؤمنين قد أمر لك بكذا وكذا من صله وكساك وحملك وأقطعك أربعمائة جريب مائتان عامر ومائتان غامر فقال أما ما ذكر أمير المؤمنين من الصلة فقد عرفته وعرفت العامر فما العامر قال الذي لا نبات فيه ولا شجر فقد أقطعت أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامر قال ويحك أين قال ليما بين الحيرة والكوفة فضحك منه وسوغها إياه عامرة.

قال المدايني دخل نصيب على عبد الملك بن مروان فتغدي معه ثم قال له هل لك فيما يتنادم عليه فقال لوني حائل وشعري مفلفل وخلقي مشوه و لم أبلغ ما بلغت من إكرامك إياي بشرف أب ولا أم وإنما بلغته بعقلي ولساني فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تحول بيني وبين ما بلغت به هذه المترلة فأعفاه. قال المدايني جلس نساء ظراف إلى بشار بن برد فتحدث وتحدثن ثم قلنا له لوددنا أنك أبونا قال على أني على دين كسرى. قال خالد الكاتب ارتج علي وعلى دعبل وواحد من الشعراء قد سماه و لم أحفظ اسمه نصف بيت قلنا جميعاً يا بديع الحسن ثم قلنا ليس لنا إلا جعيفران الموسوس فجئناه فقال ما تبغوني فقال خالد جئناك في حاجة فقال لا تؤذوني فإني جائع فبعثنا فاشترينا له طعاماً فلما شبع قال حاجتكم قلنا اختلفنا في نصف بيت فقال ما هو يا بديع الحسن فما تلعثم والله إن قال:

يا بديع الحسن حاشا لك من هجر بديع

فقال له دعبل زدني بيتاً فقال:

وبحسن الوجه عوذ تك من سوء الصنيع

فقال له الذي معنا ولي بيت فقال نعم وعزازة وكرامة.

ومن النخوة يستعفيك لي ذل الخضوع

فقلت استودعك الله فقال انتظروا أزدكم بيتاً آخر فقال:

لا يعب بعضك بعضاً كن جميلاً في الجميع

ومن الفطنة الكلام الموجه الذي يحتمل المدح والذم ومنه قول المتنبي:

عدوك مذموم بكل لسان فإنه يحتمل المدح ويحتمل الذم ووجه الذم

أن يكون المذكور دنيا ولا يعادي الدني إلا مثله وكذلك قوله.

والله سر في علاك يحتمل المدح أي سر لا يطلع عليه في تقديم مثلك قال شاعر فأراد أن يكثر عليه فقال لأهل البلد:

وتشابهت سور القرآن عليكمو فقرنتم الأنعام بالشعراء

ومدح رجل رجلاً يقال له:

يسير فقال في مدحه وفضل يسير في البلاد يسير

فقيل له أنك قد مدحته وأنه لا يعطيك شيئاً فقال إن لم يعطني شيئاً قلت بيدي هكذا وضم أصابعه يعني أنه قليل. وبلغني من هذا الجنس قول رجل في رجل:

تحلى بأسماء الشهور فكفه جمادى وما ضمت عليه المحرم

وقال شاعر آخر

وقائل لي ما الذي تشتهي من التي قد ضمها خدرها

أوجهها حين بدا مقبلا أم شعرها الأسود أم ثغرها

أم طرفها الأدعج أم كشحها أم منبت الرمان أم صدرها

قلت له أعشق ذا كله ونصف حران وثلثي زها

سئل جحظة عن دعوة حضرها فقال كل شيء كان منها بارد إلا الماء. وقدمت إلى أبي يعقوب الخزيمي سكباجه كبيرة العظام فقال هذه شطرنجية واتبعت بفالوذجة قليلة الحلاوة فقيل قد علمت هذه قبل أن يوحي ربك إلى النحل. قال شاعر لشاعر أنا أقول البيت وخاه وأنت تقول البيت وابن عمه. قال دخل بعض شعراء الهند على أمير فمدحه فقال له الأمير تقدم يا زوج القحبة فقال ما زوج القحبة فقال هذه

بلغة العرب كناية عمن له قدر جليل ومحل كبير ومال ودواب وغلمان ومنزلة قال فأنت والله أيها الأمير أكبر زوجة قحبة في الدنيا فخجل وعلم أن مزاجه جر عليه شتمه. دخل بعض الأدباء على المأمون يسأله حاجة فلم يقضها فقال يا أمير المؤمنين إن لي شكر قال ومن يحتاج إلى شكرك فأنشأ يقول:

فلو كان يستغني عن الشكر مالك — لكثرة مال أو علو مكان

لما ندب الله العباد لشكره — وقال اشكروني أيها الثقلان

فقال أحسنت وقضى حاجته.

قال ابن الهبارية:

قد قلت للشيخ الرئيس — أخي السماح أبي المظفر

ذكر معين الملك بي — قال المؤنث لا يذكر

روى أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي قال دخلت على أبي نصر بن أبي زيد وعنده علوي مبرم فتأذى بطول جلوسه وكثرة كلامه فلما نهض قال لي أبو نصر بن عمك هذا خفيف على القلب فقلت نعم فقال ما أظنك فهمت ففكرت فعلمت أنه أراد خفيفاً مقلوباً وهو الثقيل وهذا المعنى الذي أراده أبو سعيد بن دوست:

وأثقل مني زائري وكأنما — يقلب في أجفان عيني وفي قلبي

فقلت له لما برمت بقربه — أراك على قلبي خفيفاً على القلب

وصف لشاعر طيب خراسان فلما سافر إليها لم تعجبه فقال:

تمينا خراسانا زمانا — فلن نعط المنى والصبر عنها

فلما أن أتيناها سراعاً — وجدناها بحذف النصف منها

حدثنا زياد بن جبير رضي الله عنه قال أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجل من المشركين يقال له الهرمزان فأسلم فقال فإني مستشيرك في مغازي هذه فأشر علي فقال نعم يا أمير المؤمنين الأرض مثلها ومثل من فيها من الناس من عدو المسلمين مثل طائر له رأس وجناحان وله رجلان فإن انكسر أحد الجناحين نهضت الرجلان بجناح وبالرأس وإن انكسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس فإن انشدح الرأس ذهبت الرجلان والجناحان فالرأس كسرى والجناح قيصر والجناح الآخر فارس فمر المسلمين فلينفروا إلى كسرى.

وقد روينا أن الإسكندر رأى في عسكره سمياً له لا يزال ينهزم فقال له أما أن تغير اسمك أو فعلك.

وخرج يوماً في الحرب من صف أصحابه وأمر منادياً فنادى يا معشر الفرس قد علمتم ما كتبنا لكم من

الأمانات فمن كان على الوفاء فليعتزل عن العسكر وله منا الوفاء بما ضمناه فاقمت الفرس بعضها بعضاً وكان أول اضطراب حدث فيهم.

وفي رواية أنه لما صاف 3 دارا أمر منادياً في عسكر دارا أيها الناس أما نحن فقد فعلنا ما اتفقنا عليه فكونوا من وراء ما ضمنتم فاستشعر دارا أن عسكره قد عزموا على تسليمه إلى الإسكندر وكان ذلك بسبب هزيمته. والما شخص عن فارس إلى الهند تلقاه ملكها في جمع عظيم ومعه ألف فيل عليها السلاح والرجال وفي خراطيمها السيوف والأغمدة فلم تقف لها دواب الإسكندر فهزم وعاد إلى مأمنه فأمر باتخاذ فيلة من نحاس مجوفة وربط خيله بين تلك التماثيل حتى ألفتها ثم أمر فملئت نفطاً وكبريتاً وألبسها الدروع وجرت على العجل إلى المعركة وبين تمثالين منها جماعة من أصحابه فلما نشبت الحرب أمر بإشعال النار في جوف التماثيل فلما حميت انكشف أصحابه عنها وغشيتها الفيلة فضربتها بخراطيمها فتشيطت وولت مدبرة راجعة على أصحابها وصارت الدائرة على ملك الهند. قال ونزل مرة على مدينة حصينة فتحصن أهلها منه فأخبر أن عندهم من الميرة قدر كفايتهم فدس تجاراً متنكرين وأمرهم بدخول المدينة ورحل عنها وأمدهم بمال ومتاع فباعوا ما معهم وابتاعوا الميرة فلما اكتروا كتب أن أحرقوا ما عندكم من الميرة واهربوا ففعلوا، فزحف إلى المدينة فحاصرها أياماً يسيرة فأخذها وكان إذا أراد محاصرة بلد شرد من حولها من القرى فهربوا إليها فيسرعون في أكل الميرة فتقل فيحاصرهم فيفتحها.

وحكى عن كسرى بن هرمز أنه كان بعث الأصهد إلى الروم في جيش عظيم فأعطى من الظفر ما لم يعطه أحد قبله وأخذ الأصهد خزائن الروم ووجهها على هيئتها إلى كسرى ففطن كسرى أن مال الأصهد من الظفر وأن هذا يغيره عليه ويوجب له كبرا فبعث إليه رجلاً ليقتله وكان المبعوث عاقلاً فلما رأى الأصهد وتدبيره وعقله قال له ما يصلح قتل هذا بغير جرم ثم أخبره بالذي جاء له فأرسل الأصهد إلى قيصر أني أريد أن ألقاك قال إذ شئت فتلتقيا فقال لهم إن هذا الخبيث قد هم بقتلي ووجه إلي رجلاً بذلك وإني أريد هلاكه كالذي أراد مني والبادي أظلم فاجعل لي من نفسك ما اطمئن إليه وأعطيك من بيوت أمواله مثل الذي أصبت منك ومثل الذي أنت منفقه في مسيرك هذا فأعطاه من المواثيق ما اطمأن إليه وسار قيصر في أربعين ألفاً فنزل بكسرى فعلم كسرى كيف جرى الأمر فاحتال لفض جنود قيصر فدعا متنصر في دينه فقال إني كاتب معك كتاباً لطيفاً في حريرة لتبلغه الأصهد فلا تطلعن على ذلك أحداً وأعطاه ألف دينار وقد علم كسرى أن القس يوصل كتابه إلى قيصر لأنه تحته هلاك الروم وكان في الكتاب إلى الأصهد أني كتبت إليك وقد دنا مني قيصر فقد أحسن الله إلينا وأمكن منهم بتدبيرك لا عدمت صواب الرأي وقد فرقت عليهم وأنا ممهله حتى يقرب من المدائن ثم أغافله في يوم كذا فعره على

من قتلك إياي فإني استأصلهم فخرج القس بالكتاب فأوصله إلى قيصر فقال قيصر هذا الحق وما أراد إلا هلاكنا فتولى منصرفاً واتبعه كسرى إياس بن قبيصة الطائي فقتل أصحابه ونجا قيصر في شرذمة قليلة.
قال هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال كان جذيمة بن مالك ملكاً على الحيرة وما حولها من السواد ملك ستين سنة وكان به وضح وكان شديد السلطان يخافه القريب ويهابه البعيد فنهيت العرب أن يقولوا الأبرص فقالوا الأبرش فغزا مليح بن البرء وكان ملكاً على الحضر وهو الحاجز بين الروم والفرس وهو الذي ذكره عدي بن زيد في قصيدة منها هذا البيت:

وأخو الحضر إذ بناه وإذ   دجلة تجبى إليه والخابور

فقتله جذيمة وطرد الزباء إلى الشام فلحقت بالروم وكانت عربية اللسان حسنة البيان شديدة السلطان كبيرة الهمة قال ابن الكلبي لم يكن في نساء عصرها أجمل منها وكان اسمها فارغة وكان لها شعر إذا مشت سحبته وراءها وإذا نشرته جللها فسميت الزباء قال الكلبي وبعث عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتل أبيها فبلغت بها همتها أن جمعت الرجال وبذلت الأموال وعادت إلى ديار أبيها وملكتها فأزالت جذيمة الأبرش عنها وابتنت على الفرات مدينتين متقابلتين من شرقي الفرات ومن غربيه وجعلت بينهما نفقاً تحت الفرات وكان إذا راهقها الأعداء آوت إليه وتحصنت به وكانت قد اعتزلت الرجال فهي عذراء وكان بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة فحدث جذيمة نفسه بخطبتها فجمع خاصته فشاورهم في ذلك وكان له عبد يقال له قصير بن سعد وكان عاقلاً لبيباً وكان خازنه وصاحب أمره وعميد دولته فسكت القوم وتكلم قصير فقال أبيت اللعن أيها الملك أن الزباء امرأة قد حرمت الرجال فهي عذراء لا ترغب في مال ولا جمال ولها عندك ثار والدم لا ينام وإنما هي تاركتك رهبة وحذار دولة، الحقد دفين في سويداء القلب له كمون ككمون النار في الحجران اقتدحته أورى وإن تركته توارى وللملك في بنات الملوك الأكفاء متسع ولهن فيه منتفع وقد رفع الله قدرك عن الطمع فيمن دونك وعظم شأنك فما أحد فوقك فقال جذيمة يا قصير الرأي ما رأيت والحزم فيما قلته ولكن النفس تواقة إلى ما تحب وتهوى ولكا امرئ قدر لا مر له منه ولا وزر فوجه إليها خاطباً وقال ائت الزباء فاذكر لها ما يرغبها فيه وتصبو إليه فجاءها خطبته فلما سمعت كلامه وعرفت مراده قالت له انعم بك عيناً وبما جئت به وله وأظهرت له السرور به والرغبة فيه وأكرمت مقدمة ورفعت موضعه، وقالت قد كنت أضربت عن هذا الأمر خوفاً أن لا أجد كفؤاً والملك فوق قدري وأنا دون قدره وقد أجبت إلى ما سأل ورغبت فيما قال، ولولا أن السعي في مثل هذا الأمر بالرجال أجمل لسرت إليه ونزلت عليه وأهدت إليه هدية سنية ساقت العبيد والإماء

والكراع والسلاح والأموال والإبل والغنم وحملت من الثياب والعين والورق فلما رجع إليه خطيبه أعجبه ما سمع من الجواب وأبهجه ما رأى من اللطف وظن أن ذلك لحصول رغبة فأعجبته نفسه وسار من فوره فيمن يثق به من خاصته وأهل مملكته وفيهم قصير خازنه واستحلف على مملكته ابن أخته عمرو بن عدي اللخمي وهو أول ملوك الحيرة من لخم وكان ملكه عشرين ومائة سنة وهو الذي اختطفته الجن وهو صبي وردته وقد شب ونبر فقالت أمه ألبسوه الطوق فقال خاله جذيمة شب عمرو عن الطوق فصارت مثلاً فاستخلفه وسار إلى الزباء فلما صار ببقة نزل وتصيد وأكل وشرب واستعاد المشورة والرأي من أصحابه فسكت القوم وافتتح الكلام قصير بن سعد قال أيها الملك كل عزم لا يؤيد بحزم قال لي أف ما يكون كونه فلا تثق بزخرف قول لا حصول له. ولا تعتقد الرأي بالهوى فيفسد ولا الحزم بالمنى فيبعد والرأي عندي للملك أن يعتقب أمره بالتثبت ويأخذ حذره بالتيقظ ولولا أن الأمور تجري بالمقدور لعزمت على الملك عزماً بتا أن لا يفعل فأقبل جذيمة على الجماعة فقال ما عندكم أنتم في هذا الأمر، فتكلموا بحسب ما عرفوا من رغبته في ذلك وصوبوا رأيه وقووا عزمه. فقال جذيمة الرأي للجماعة والصواب ما رأيتم. فقال قصير أرى القدر يسابق الحذر ولا يطاع لقصير أمر فأرسلها مثلاً. وسار جذيمة فلما قرب من ديار الزباء نزل وأرسل إليها يعلمها بمجيئه فرحبت وقربت وأظهرت السرور به والرغبة فيه وأمرت أن يحمل إليه الإنزال والعلوفات وقالت لجندها وخاصة أهل مملكتها وعامة أهل دولتها ورعيتها تلقوا سيدكم وملك دولتكم. وعاد الرسول إليه بالجواب بما رأى وسمع فلما أراد جذيمة أن يسير دعا قصيراً فقال أنت على رأيك قال نعم قد زادت بصيرتي فيه أفأنت على عزمك، قال نعم وقد زادت رغبتي فيه. فال قصير ليس للأمور بصاحب، من لم ينظر في العواقب وقد يستدرك الأمر قبل فواته وفي يد الملك بغية هو بها مسلط على استدراك الصواب فإن وثقت بأنك ذو ملك وعشيرة ومكان فإنك قد نزعت يدك من سلطانك وفارقت عشيرتك ومكانك وألقيتها في يدي من لست آمن عليك مكره وغدره فإن كنت ولا بد فاعلاً لهواك تابعاً فإن القوم أن تلقوك غداً فرقاً وساروا أمامك وجاء قوم وذهب قوم فالأمر بعده في يدك والرأي فيه إليك وأن

تلقوك رزدقاً واحداً وأقاموا لك صفين حتى إذا توسطتهم انقضوا عليك من كل جانب فأحدقوا بك فقد ملكوك وصرت في قبضتهم وهذه العصا لا يشق غبارها، وكانت لجذيمة فرس تسبق الطير وتجاري الرايح يقال لها العصا فإذا كان كذلك فتملك ظهرها فهي ناحية بك أن ملكت ناصيتها، فسمع جذيمة و لم يرد جواباً وسار وكانت الزباء لما رجع رسول جذيمة من عندها قالت لجندها إذا أقبل جذيمة غداً فتلقوه بأجمعكم وقوموا له صفين عن يمينه وشماله فإذا توسط جمعكم فتعرضوا عليه من كل جانب حتى تحدقوا به وإياكم أن يفوتكم وسار جذيمة وقصير عن يمينه فلما لقيه القوم رزدقاً واحداً أقاموا له صفين فلما

توسطهم انقضوا عليه من كل جانب انقضاض الأحدل على فريسته فأحدقوا به وعلم أنهم قد ملكوه.
وكان قصير يسايره فأقبل عليه وقال صدقت يا قصير فقال قصير أيها الملك أبطأت بالجواب حتى فات الصواب. فأرسله مثلاً فقال كيف الرأي الآن قال هذه العصا فدونكنها لعلك تنجو بها فأنف جذيمة من ذلك وسارت به الجيوش. فلما رأى قصير أن جذيمة قد استسلم للأسر وأيقن بالقتل جمع نفسه فصار على ظهر العصا وأعطاها عنانها وزجرها فذهبت تهوي به هوى الريح فنظر إليه جذيمة وهي تطاول به
وأشرفت الزباء من قصرها فقالت ما أحسنك من عروس تجلي عليّ وتزف إليّ حتى دخلوا به إلى الزباء ولم يكن معها في قصرها إلا جوار أبكار أتراب. وكانت جالسة على سريرها وحولها ألف وصيفة كل واحدة لا تشبه صاحبتها في خلق ولا زي وهي بينهن كأنها قمر قد حفت به النجوم تزهو فأمرت بالإنطاع فبسطت، وقالت لوصائفها خذوا بيد سيدكن وبعل مولاتكن فأخذن بيده فأجلسته على الالطلاع بحيث يراها وتراه وتسمع كلامه ويسمع كلامها، ثم أمرت الجواري فقطعن رواهشه ووضعت الطشت تحت يده فجعلت تشخب في الطشت فقطرت قطرة على النطع فقالت لجواريها ألا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة لا يحزنك دم أراقه أهله، فلما مات قالت والله ما وهى دمك ولا شفى قتلك ولكنه غيض من فيض ثم أمرت به فدفن وكان جذيمة قد استخلف على مملكته ابن أخته عمرو بن عدي وكان يخرج كل يوم إلى ظهر الحيرة يطلب الخبر ويقتفي الأثر عن خاله فخرج ذات يوم فنظر إلى فارس قد أقبل يهوي به فرسه هوى الريح فقال أما الفرس ففرس جذيمة وأما الراكب فكالهيمة لأمر ما جاءت العصا فأشرف عليهم قصير فقالوا ما وراءك قال سعى المقدر بالملك إلى حتفه على الرغم من انفي وأنفه فاطلب بثأرك من الزباء فقال عمرو وأي ثأر يطلب من الزباء وهي أمنع من عقاب الجو فقال قصير قد علمت نصحي كان لخالك وكان الأجل رائده والله لا أنا عن الطلب بدمه ما لاح نجم وطلعت شمس أو أدرك يه ثأراً أو تخترم نفسي فاعذر، ثم إنه عمد إلى أنفه فجدعه ثم لحق بالزباء على صورة كأنه هارب من عمرو بن عدي فيل لها هذا قصير بن سعد عم جذيمة وخازنه وصاحب أمره قد جاءك فأذنت له فقالت ما الذي جاءك إلينا يا قصير وبيننا وبينك دم عظيم الخطر فقال يا ابنة الملوك العظام لقد أتيت فيما يؤتي مثلك في مثله ولقد كان دم الملك يطلبه حتى أدركه وقد جئتك مستجيراً بك من عمرو بن عدي فإنه اتهمني بخاله وبمشورتي عليه بالمسير إليك فجدع أنفي وأخذ مالي وحال بيني وبين عيالي وتهددني بالقتل وإني خشيت على نفسي فهربت منه إليك، أنا مستجير بك ومستند إلى كهف عزك فقالت أهلاً وسهلاً، لك حق الجوار وذمة المستجير وأمرت به فأنزل وأجرت له الإنزال ووصلته وكسته وأخدمته وزادت في إكرامه وأقام مدة لا يكلمها ولا تكلمه وهو يطلب الحيلة عليها وموضع الفرصة منها وكانت ممتنعة بقصر مشيد على باب النفق تعتصم به فلا يقدر أحد عليها فقال لها قصير يوماً إن لي بالعراق مالاً كثيراً وذخائر نفيسة

مما يصلح للملوك وإن أذنت لي في الخروج إلى العراق وأعطيتني شيئاً أتعلل به في التجارة وأجعله سبباً للوصول إلى مالي أتيتك بما قدرت عليه من ذلك، فأذنت له وأعطته مالاً فقدم العراق وبلاد كسرى فأطرفها من طرائفه وزادها مالاً إلى مالها كثيراً وقدم عليها فأعجبها ذلك وسرها وترتب له عندها مترلة وعاد إلى العراق ثانية فقدم بأكثر من ذلك طرفاً من الجواهر والبز والخز والديباج فازداد مكانه منها وازدادت مترلته عندها ورغبتها فيه، و لم يزل قصير يتلطف حتى عرف موضع النفق الذي تحت الفرات والطريق إليه ثم خرج ثالثة فقدم بأكثر من الأولتين ظرائف

ولطائف فبلغ مكانه منها وموضعه عندها إلى أن كانت تستعين به في مهماتها وملماتها واسترسلت إليه وعولت في أمورها عليه وكان قصير رجلاً حسن العقل والوجه حصيناً لبيباً أديباً فقالت له يوماً أريد أغزو البلد الفلاني من أرض الشام فاخرج إلى العراق فاتني بكذا وكذا من السلاح والكراع والعبيد والثياب، فقال قصير ولي في بلاد عمرو بن عدي ألف بعير وخزانة من السلاح والكراع والعبيد والثياب وفيها كذا وكذا وما يعلم عمرو بها ولو علمها لأخذها واستعان بها على حربك وكنت أتربص به المنون وأنا أخرج متنكراً من حيث لا يعلم فآتيك بها مع الذي سألت فأعطته من المال ما أراد وقالت يا قصير الملك يحسن لمثلك وعلى يد مثلك يصلح أمره.

ولقد بلغني أن أمر جذيمة كان إيراده وإصداره إليكم وما تقصر يدك عن شيء تناله ولا يقعد بك حال ينهض بي وسمع بها رجل من خاصة قومها فقال أسد خادر وليث ثائر قد تحفز للوثبة ولما رأى قصير مكانه منها وتمكنه من قلبها قال الآن طاب المصاع وخرج من عندها فأتى عمر بن عدي فقال قد أصبت الفرصة من الزباء فانهض فعجل الوثبة، فقال له عمر وقل أسمع ومر أفعل فأنت طبيب هذه القرحة فقال الرجال والأموال قال حكمك فيما عندنا مسلط فعمد إلى ألفي رجل من فتيان قومه وصناديد أهل مملكته فحملهم على ألف بعير في الغرائز السود وألبسهم السلاح والسيوف والحجف وأنزلهم في الغرائز وجعل رؤوس المسوح من أسفالها مربوطة من داخل وكان عمرو فيهم وساق الخيل والعبيد والكراع والسلاح والإبل محملة فجاءها البشير فقال قد جاء قصير ولما قرب من المدينة حمل الرجال في الغرائز متسلحين بالسيوف والحجف وقال إذا توسطت الإبل مدينة فالإمارة بيننا كذا وكذا فاخترطوا الربط. فلما قربت العير من مدينة الزباء في قصرها فرأت الإبل تتهادى بأحمالها فارتابت بها وقد كان شيء بقصير إليها وحذرت منه فقالت للواشي به إليه أن قصيراً اليوم منا وهو ربيب هذه النعمة وصنيعة هذه الدولة وإنما يبعثكم على ذلك الحسد ليس فيكم مثله فقدح ما رأت من كثرة الإبل وعظم أحمالها في نفسها مع ما عندها من قول الواشي به إليها فقالت:

ما للجمال مشيها وئيداً أجند لا يحملن أو حديدا

أم صرفاناً بارداً شديداً أم الرجال في المسوح سودا

ثم أقبلت على جواريها فقالت أرى الموت الأحمر في الغرائز السود فذهبت مثلاً حتى إذا توسطت الإبل المدينة وتكاملت ألقوا إليهم الإمارة فاخترطوا رؤوس الغرائز فسقط إلى الأرض ألفا ذراع بألفي باتر طالب ثأر القتيل غدراً وخرجت الزباء تمصع تريد النفق فسبقها إليه قصير فحال بينهما وبينه فلما رأت أن فد أحيط بها وملكت التقمت خاتماً في يدها تحت فصه سم ساعة وقالت بيدي لا بيدك يا عمرو فأدركها عمرو وقصير فضرباها بالسيف حتى هلكت وملكا مملكتها واحتويا على نعمتها وخط قصير على جذيمة قبراً وكتب على قبره هذه الأبيات يقول:

ملك تمتع بالعساكر والقنا والمشرفية عزه ما يوصف

فسعت منيته إلى أعدائه وهو المتوج والحسام المرهف

وقد روينا أن ملكاً كان يقال له شمر ذو الجناح سار إلى سمر قند فحاصرها فلم يظفر منها بشيء فطاف حولها بالحرس فأخذ رجلاً من أهلها فاستمال قلبه وسأله عن المدينة فقال أما ملكها فأحمق الناس ليس له هم إلا الشراب والأكل والجماع ولكن له بنت هي التي تقضي أمر الناس فبعث منه هدية وقال أخبرها أني لم أجيء لالتماس المال فإن معي من المال أربعة آلاف تابوت ذهباً وفضة دافعها إليها وأمضى إلى الصين فإن كانت لي الأرض كانت امرأتي وإن هلكت كان المال لها فلما بلغتها رسالته قالت قد أجبته فليبعث بالمال فأرسل إليها أربعة آلاف تابوت في كل تابوت وجعل شمر العلامة بينه وبينهم أن يضرب بالجلجل فلما صاروا في المدينة ضرب بالجلجل فخرجوا فأخذوا الأبواب ونهض شمر في الناس فدخل المدينة فقتل أهلها وحوى ما فيها ثم سار إلى الصين. وقد كان كسرى من الذكاء على غاية فروينا عنه أنه تم غليه رجل بصديق له فكتب كسرى للنام قد اخترنا نصحك وذممنا صاحبك لسوء اختباره الإخوان.

قال منجمو كسرى إنك تقتل فقال لأقتلن من يقتلني فأمر بسم فخلط في أدوية ثم كتب عليه دواء الجماع مجرب من أخذ منه وزن كذا جامع كذا وكذا مرة فلما قتله ابنه شيرويه وفتش خزائنه مربه فقال في نفسه هذا الدواء الذي كان يقوي به على السراري فأخذ منه فقتله وهو ميت. روتاية أن شيرويه لما أراد قتل أبيه بعث إليه من يقتله فلما دخل عليه قال إني أدلك على شيء لوجوب حقك يكون فيه غناك قال وما هو قال الصندوق والفلاني فذهب الرجل إلى شيرويه فأخبره الخبر فأخرج الصندوق وفيه حق فيه

حب وثم مكتوب من اخذ منه واحدة افتض عشرة أبكار فطمع شيرويه في صحة ذلك فأخذه وعوض الرجل منه ثم أخذ منه حبة فكان هلاكه وكان كسرى أول ميت أخذ بثأره من حي.
هزم بعض الملوك فنثر طالبيه زجاجاً ملوناً شبيهاً بالجوهر الأحمر والأخضر ودنانير صفراً مطلية بالذهب فتشاغل طالبوه بلقطها فنجا علم بعض الملوك بسكر يطلبه فأخذ شعيراً فطبخه بالماء مع قضبان الدفلى ثم جففه ثم جربه في دابة قلما أكلته نفقت من يومها فخرج هو وعسكره ناحية ونثر الشعير والميرة فلما سار القوم إليه ترك ما في معسكره وتنحى فجاؤوا فأطلقوا دوابهم في الشعير فهلكت كلها.
حارب قوم ومعهم فيلة فقهروا عدوهم فأشار على العدو رجل أن يحملوا خنزيراً وأن يضربوه فلما سمعت الفيلة صوته هربت. جاء رجل معه هر تحت حضنه ومشى بسيفه إلى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه فأدبر الفيل هارباً وتساقط من كان فوقه فكبر المسلمون وكان سبب الهزيمة. قيل لأسلم بن زراعة أن انهزمت من أصحاب مرداس بن أدية يغضب عليك الأمير عبيد الله بن زياد قال يغضب علي وأنا حي أحب من أن يرضى عني وأنا ميت. خرج أمير ومعه رجل فيه ذكاء فبينما هم على الغداء قال للأمير اركب فقد لحقنا القدو قال كيف وما يرى أحد قال اركب عاجلاً فإن الأمر أسرع مما تحسب فركب وركب الناس فلاحت الغبرة وطلع عليهم سرعان الخيل فعجب الأمير وقال كيف علمت قال أما رأيت الوحش مقبلة علينا ومن شأن الوحوش الهرب منا فعلمت أنها لم تدع عاداتها إلا لأمر قد دهمها والله الموفق.

الباب السادس والعشرون

في ذكر طرف من فطن المتطببين

قال محمد بن علي الأمين حدثنا بعض الأطباء الثقات أن غلاماً من بغداد قدم الري فلحقه في طريقه أنه كان ينفث الدم فاستدعى أبا بكر الرازي الطبيب المشهور بالحذق فأراه ما ينفث ووصف له ما يجد فنظر إلى نبضه وقارورته واستوصف حاله فلم يقم له دليل على سل ولا قرحة ولم يعرف العلة فاستنظر العليل لينظر في حاله فاشتد الأمر على المريض وقال هذا بأي لي من الحياة لحذق المتطبب وجهله بالعلة فزاد ألمه ففكر الرازي ثم عاد إليه فسأله عن المياه التي شرب فقال من صهاريج ومسقفات فثبت في نفس الرازي بحدة خاطره وجودة ذكائه أن علقة كانت في الماء وقد حصلت في معدته وذلك الدم من فعلها فقال إذا كان في غد عالجتك ولكن بشرط أن تأمر غلمانك أن يطيعوني فيك بما آمرهم قال نعم فانصرف الرازي

فجمع مركنين كبيرين من طحلب فأحضرهما في غد معه فأراه إياهما قال ابلع جميع ما في هذين المركنين فبلع شيئاً يسيراً ثم وقف قال ابلع قال لا أستطيع فقال للغلمان خذوه فأقيموه ففعلوا به ذلك وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه فأقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبساً شديداً يطالبه ببلعه ويتهدده بأن يضرب إلى أن بلعه كارهاً أحد المركنين بأسرع والرجل يستغيث ويقول الساعة قذف فزاد الرازي فيما يكسبه في حلقه فذرعه القيء فتأمل الرازي ما قذف فإذا كانت فيه علقة وإذا هي لما وصل إليها الطحلب قربت إليه بالطبع وتركت موضعها فالتفت على الطحلب ونهض العليل معافى.

حدثنا علي بن الحسن الصيدلاني قال كان عندنا غلام حدث من أولاد النبا فلحقه وجع في معدته شديد بلا سبب يعرفه فكانت تضرب عليه أكثر الأوقات ضرباً عظيماً حتى يكاد يتلف وقل أكله ونحل جسمه فحمل إلى الأهواز فعولج بكل شيء فلم ينجع فيه ورد إلى بيته وقد يئس منه فجاز بعض الأطباء فعرف حاله فقال للعليل اشرح لي حالك من زمن الصحة فشرح إلى أن قال دخلت بستاناً فكان في بيت البقر رمان كثير للبيع فأكلت منه كثيراً قال كيف كنت تأكله قال كنت أعض رأس الرمانة بفمي وأرمي به وأكسرها قطعاً وآكل فقال الطبيب غداً أعالجك بإذن الله تعالى فلما كان الغد جاء بقدر اسفيداج قد طبخها من لحم جرو سمين فقال للعليل كل هذا قال العليل ما هو قال إذا أكلت عرفتك فأكل العليل فقال له امتلئ منه فامتلأ ثم قال له أتدري أي شيء أكلت قال لا قال لحم كلب فاندفع يقذف فتأمل القذف إلى أن طرح العلي شيئاً أسود كالنواة فأخذه الطبيب وقال ارفع رأسك فقد برأت فرفع رأسه فسقاه شيئاً يقطع الغثيان وصب على وجهه ماء ورد ثم أراه الذي وقع فإذا هو قرداً فقال أن الموضع الذي كان فيه الرمان كان فيه قردان من البقر وأنه حصلت منهم واحدة في رأس إحدى الرمانات التي اقتلعت رؤوسها بفيك فنزل القرد إلى حلقك وعلق بمعدتك يمتصها وعلمت أن القراد تهش إلى لحم الكلب فإن لم يصح الظن لم يضرك ما أكلت فصح فلا تدخل فمك شيئاً لا تدري ما فيه والله الموفق.

حدثنا أبو إدريس الخولاني قال سمعت محمد بن إدريس الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن وقيل له قال لا تغدو العاقل إحدى خصلتين إما أن يهتم لآخرته ومعاده أو الدنيا ومعاشه والشحم مع الهم لا ينعقد فإذا خلا من المعنيين صار في حد البهائم فانعقد الشحم ثم قال كان ملك في الزمان الأول وكان مثقلاً كثيراً الشحم لا ينتفع بنفسه فجمع المتطببين وقال احتالوا إليّ بحيلة يخفّ عني لحمي هذا قليلاً قال فما قدروا له على شيء قال فبعث له رجل عاقل أديب متطبب فأراه فبعث إليه وأشخصه فقال له عالجني ولك الغنى قال أصلح الله الملك أنا متطبب منجم دعني حتى أنظر الليلة في طالعك أي دواء يوافق طالعك فأسقيك قال فغدا عليه فقال أيها الملك الأمان قال لك الأمان قال

رأيت طالعك يدل على أن الباقي من عمرك شهر فإن أحببت عالجتك وإن أدرت بيان ذلك فاحسبني عندك فإن كان لقولي حقيقة فخل عني وإلا فاستقص مني قال فحبسه قال ثم رفع الملك الملاهي واحتجب عن الناس وخلا وحده مهتماً كلما انسلخ يوم ازداد غماً حتى هزل وخف لحمه ومضى لذلك ثمان وعشرون يوماً فبعث إليه وأخرجه فقال ما ترى قال أعز الله الملك أنا أهون على عزّ وجلّ من أن أعلم الغيب والله ما أعرف عمري فكيف أعرف عمرك إنه لم يكن عندي دواء إلا الغم فلم أقدر أن أجلب إليك الغم إلا بهذه العلة فأذاب شحم الكلي فأجازه وأحسن إليه. حدثنا أبو الحسن بن الحسن بن محمد الصالحي الكاتب قال رأيت بمصر طبيباً كان بها مشهوراً يعرف بالقطيعي وقال أنه يكسب في كل شهر ألف دينار من جرايات يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر ومن السلطان ومما يأخذه من العامة قال وكان له دار قد جعله شبه المرستان من جملة داره يأوي إليها الضعفاء والمرضى فيداويهم ويقوم بأغذيتهم وأدويتهم وخدمتهم وينفق أكثر كسبه في ذلك فاتفق أن بعض فتيان الرؤساء بمصر أسكت قال فجعل إليه أهل الطب وفيهم القطيعي فاجمعوا على موته إلا القطيعي وعمل أهله على غسله ودفنه فقال القطيعي أعالجه وليس يلحقه أكثر من الموت الذي قد أجمع هؤلاء عليه فخلاه أهله معه فقال هات غلاماً جلداً ومقارع فأتى بذلك فأمر به فمد وضربه عشر مقارع أشد الضرب قم مس جسده ثم ضربه عشراً أخر ثم جسّ كجسه ثم ضربه عشر آخر ثم جس كجسه وقال أيكون للميت نبض قالوا لا قال فجسوا نبض هذا فجسوه فأجمعوا أنه نبض متحرك فضربه عشر مقارع أخر ثم جسوه فجسوه فقالوا قد زاد نبضه فضربه عشراً أخر فتقلب فضربه عشراً فتأوه فضربه عشراً فصاح فقطع عنه الضرب فجلس العليل يتأوه فقال له ما تجد قال أنا جائع فقال أطعموه فجاؤوا بما أكله فرجعت قوته وقمنا وقد برأ فقال له الأطباء من أين لك هذا كنت مسافراً في قافلة فيها أعراب يخفرونا فسقط منهم فارس عن فرسه فأسكت فقالوا قد مات فعمد شيخ منهم فضربه ضرباً شديداً عظيماً وما رفع الضرب عنه حتى أفاق فعلمت أن الضرب جلب إليه الحرارة أزالت سكتته فقست عليه أمر هذا العليل.

قال أبو منصور بن مارية وكان من رؤساء البصرة قال أخبرني شيوخنا قال كان بعض أهلنا قد استقى وأيسوا من حياته فحمل إلى بغداد وشاوروا الأطباء فيه فوصفوا له أدوية كبار فعفوا أنه قد تناولها فلم تنفع فأيسوا من حياته وقالوا لا حيلة لنا في برئه فسمع العليل فقال دعوني الآن أتزود من الدنيا وآكل ما أشتهي ولا تقتلوني بالحمية فقالوا كل ما تريد فكان يجلس بباب الدار فمهما اجتاز به اشتراه وأكله فمر به رجل يبيع جراداً مطبوخاً فاشترى منه عشرة أرطال فأكلها بأسرها فانحل طبعه فقام في ثلاثة أيام أكثر من ثلاثمائة مجلس وكاد يتلف ثن انقطع القيام وقد زال كل ما كان في جوفه وثابت قوته فبرأ خرج

يتصرف في حوائجه فرآه بعض الأطباء فعجب من أمره وسأله عن الخبر فعرفه فقال ليس من شأن الجراد أن يفعل هذا الفعل ولا بد أن يكون في الجراد الذي فعل هذا خاصية فأحب أن تدلني على صاحب هذا الجراد الذي باعه لك فما زالا في طلبه حتى علما به، فرآه الطبيب فقال له ممن اشتريت هذا الجراد فقال ما اشتريته أنا أصيده وأجمع منه شيئاً كثيراً وأطبخه وأبيعه قال فمن أين تصطاده فذكر له مكاناً على فراسخ يسيرة من بغداد فقال له الطبيب أعطيك ديناراً أو تجيء معي إلى الموضع الذي اصطدت منه الجراد قال نعم فخرجا وعاد الطبيب من الغد ومعه من الجراد سيئ ومعه حشيشه فقالوا له ما هذا قال صادفت الجراد الذي يصيده هذا الرجل يرعى في صحراء جميع نباتها حشيشة يقال لها مازريون وهي من دواء الاستسقاء فإذا دفع إلى العليل منها وزن درهم أسهله إسهالاً عظيماً لا يؤمن أن ينضبط والعلاج بها خطر ولذلك ما يكاد يصفها الأطباء فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة ونضجت في معدته ثم طبخ الجراد ضعف فعلها بطبختين فاعتدلت بمقدار ما أبرأت هذا.

قال أبو بكر الجفاني دخلت يوماً على القاضي حسين بن أبي عمر وهو مهموم حزين فقلت لا يغم الله قاضي القضاة أبداً ومن يزيد المائي حتى إذا مات يغتم عليه قاضي القضاة هذا الغم كله فقال ويحك مثلك يقول هذا في رجل أوحد في صناعته قد مات ولا خلف له يقاربه في حدقه وهل فخر البلد إلا أن يكون رؤساء الصاع وحذاق أهل العلوم فيه فإذا مضى رجل لا مثل له في صناعة لا بد للناس منها فهلا يدل هذا الأمر على نقصان العلم وانحطاط البلدان ثم أخذ يعدد فضائله والأشياء الظريفة التي عالج بها والعلل الصعبة التي زالت بتدبيره فذكر من ذلك أشياء كثيرة ومنها أنه قال لقد أخبرني من مدة طويلة رجل من جلة هذا البلد أنه كان حدث بابنة له علة ظريفة فكتمتها عنه، أطلع عليها فكتماه هو مدة ثم انتهى أمرها إلى الموت قال فقلت لا يسعني كتم هذا أكثر من هذا قال وكانت العلة أن فرج الصبية كان يضرب عليها ضرباناً عظيماً لا تكاد تنام منه الليل ولا تهدأ بالنهار وتصرخ من ذلك أعظم صراخ ويجري في خلال ذلك منه دم يسير كماء اللحم وليس هناك جرح يظهر ولا ورم كثير فلما خفت المأتم ثم أحضرت يزيد فشاورته فقال تأذن لي في الكلام وتبسط عذري فيه فقلت نعم فقال أنه لا يمكنني أن أصف شيئاً دون أن أشاهد الموضع وأفشه بيدي واسأل المرأة عن أسباب لعلها كانت الجالبة للعلة قال فلعظم الصورة وبلوغها حد التلف أمكنه من ذلك فأطال مساءلتها وحديثها بما ليس من جنس العلة بعد أن حبس الموضع حتى عرف بقمة الألم حتى كدت أن أثب به ثم تصبرت ورجعت إلى ما أعرفه من ستراه فصبرت على مضض إلى أن قال تأمر من يمسكها ففعلت ثن أدخل يده في الموضع دخولاً شديداً فصاحت الصبية وأغمي عليها وانبعث الدم فأخرج في يده حيواناً أقل من الخنفساء فرمى به فجلست الابنة في الحال

واستترت وقالت يا أبت استرني فقد عوفيت قال فأخذ الحيوان في يده وخرج من الموضع فلحقته وأجلسته وقلت أخبرني ما هذا قال أن تلك المسألة التي لم أشك أنك أنكرتها إنما كانت لأطلب شيئاً أستدل به على العلة إلى أن قالت لي أن يوماً من الأيام جلست في بيت دولاب البقر من بستان لكم ثم حدثت العلة بها من غير سبب تعرفه من بعد ذلك اليوم فتخايلت أنه قد دب إلى فرجها من القردان وكلما امتص من موضعه ولد الضربان وأنه إذا شبع نقط من الفرج الذي يمتص منه إلى خارج الفرج هذه النقطة اليسيرة من الدم فقلت أدخل يدي وأفتش فأدخلت يدي فوجدت القراد فأخرجته وهو هذا الحيوان وقد كبر وتغيرت صورته لكثرة ما يمص من الدم على طول الأيام قال فتأملت الحيوان فإذا هو قراد قال برئت الصبية قال فقال لي أبو الحسن القاضي هل ببغداد اليوم من له صناعة مثل هذا لا أغتم بمن هذا بعض حذقه.

قال جبريل بن بختيشوع كنت مع الرشيد بالرقة ومعه محمد والمأمون وكان رجلاً كثير الأكل والشرب فأكل يوماً أشياء خلط فيها ودخل المستراح فغشي عليه فأخرج وقوى الأمر حتى لم يشكوا في موته فأحضرت وجسيت عرقه فوجدت نبضاً خفياً وقد كان قبل ذلك بأيام يشكو امتلاء وحركة الدم فقلت الصواب أن يحتجم الساعة فقال كوثر الخادم لما لم تقدر من أمر الخليفة يا ابن الفاعلة تقول أحجموا رجلاً ميتاً لا نقبل قولك ولا كرامة فقال المأمون الأمر قد وقع وليس يضر أن تحجمه فأحضر الحجام وتقدمت إلى جماعة من الغلمان بإمساكه ومص الحجام المحاجم فاحمر المكان ففرحت ثم قلت اشرطه فشرطه فخرج الدم فسجدت شكراً فكلما خرج الدم أسفر لونه إلى أن تكلم وقال أين أنا أنا جائع فغديناه وعوفي فسأل صاحب الحرس عن علته فعرفه أنها ألف درهم في كل سنة وسأل صاحبه فعرفه أنها خمسمائة ألف فقال يا جبريل كم عليك قلت خمسون ألفاً قال ما أنصفناك إذ غلات هؤلاء وهم يحرسوني كذلك وعلتك كما ذكرت فأمر بإقطاعه ألف ألف درهم.

حدثنا أبو الحسن المهدي القزويني قال كان عندنا طبيب يقال له ابن نوح فلحقتني سكتة فلم يشك أهلي في موتي وغسلوني وكفنوني وحملوني على الجنازة عليه ونساء خلفي يصرخن فقال لهم إن صاحبكم حي فدعوني أعالجه فصاحوا عليه فقال لهم الناس دعوه يعالجه فإن عاش وإلا فلا ضرر عليكم فقالوا نخاف أن تصير فضيحة فقال علي أن لا تصير فضيحة فإن صرنا قال حكم السلطان في أمري وإن برأ فأي شيء لي قالوا ما شئت قال ديته قالوا لا نملك ذلك فرضي منهم بمال أجابه الورثة إليه وحملني فأدخلني الحمام وعالجني وافقت في الساعة الرابعة والعشرين من ذلك الوقت ووقعت البشائر ودفع إليه المال فقلت للطبيب بعد ذلك من أين عرفت هذا فقال رأيت رجليك في الكفن منتصبة وأرجل الموتى منبسطة ولا

يجوز انتصابها فعلمت انك حي وخمنت أنك أسكت وجربت عليك فصحت تجربتي.

قال أبو أحمد الحارثي كان طبيب نصراني يقال له موسى بن سنان قد أتى برجل منتفخ الذكر لا يقدر أن يبول وهو يستغيث ويصيح فسأله عن علته فذكر أنه لم يبل منذ أيام ورأى ذكره منتفخاً فنظر في حاله فلم يجد شيئاً يوجب عسر البول ولا حصاة فتركه عنده يوماً يسأله فقال له حدثني أدخلت ذكرك في شيء لم تجر عادة الناس به فلحقك هذا فسكت الرجل واستحى فلم يزل الطبيب يبسطه ويشرط له الكتمان إلى أن قال نكحت حماراً ذكراً فقال الطبيب هاتوا مطرقة وغلماناً فجاؤوه فأمسكوا الرجل وجعل ذكره على سندان حداد وطرقه بالمطرقة مرة واحدة وجيعة فبرزت شعيرة وذاك أنه خمن أن شعيرة من جاعرة الحمار قد دخلت في ثقب الذكر فلما طرقها خرجت.

حدثنا أبو القاسم الجهني أن خطية لبعض الخلفاء أظنه الرشيد قامت لتتمطى فلما تمطت جاءت لترد يدها فلم تقدر وبقيتا حافتين فصاحت وآلمها ذلك وبلغ الخليفة فدخل وشاهد من أمرها ما أقلته وشاور الأطباء فكل قال شيئاً واستعلمه فلم ينجح وبقيت الجارية على تلك الصورة أياماً والخليفة قلق بها فجاءه أحد الأطباء فقال يا أمير المؤمنين لا دواء لها إلا أن يدخل إلا أن يدخل إليها رجل غريب فيخلو بها ويمرخها مروخاً يعرفه فأجابه الخليفة إلى ذلك طلباً لعافيتها فأحضر الطبيب رجلاً وأخرج من كمه دهناً وقال أريد أن تأمر يا أمير المؤمنين بتعريتها حتى أمرح جميع أعضائها بهذا الدهن فشق ذلك عليه ثم أمر أن يفعل ذلك ووضع في نفسه قتل الرجل وقال للخادم خذه فأدخله عليها بعد أن تعريها فعريت الجارية وأقيمت فلما دخل الرجل وقرب منها سعى إليها وأومأ إلى فرجها ليمسه فغطت الجارية فرجها بيدها ولشدة ما داخلها من الحياء والجزع حمى بدنها بانتشار الحرارة الغريزية فعاونتها على ما أرادت من تغطية فرجها واستعمال بدنها في ذلك فلما غطت فرجها قال لها الرجل قد برأت فلا تحركي يديك فأخذه الخادم وجاء به إلى الرشيد وأخبره الخبر فقال له الرشيد كيف تعمل بمن شاهد فرج حرمتنا فجذب الطبيب بيده لحية الرجل فإذا هي ملصقة فانفعلت فإذا الشخص جارية وقال يا أمير المؤمنين ما كنت لأبدي حرمتك للرجال ولكن خشيت أني أكشف لك الخبر فيتصل بالجارية فتبطل الحيلة لأني أردت أن أدخل إلى قلبها فزعاً شديداً بحمى طبعها ويقودها إلى الحمل على يديها وتحريكها وإعانة الحرارة الغريزية على ذلك فلم يقع لي غير هذا فأخبرتك به فأجزل الخليفة جائزته وأصرفه. قال أبو القاسم ولهذا استعملت الأطباء في علاج اللقوة الضعيفة الصفعة الشديدة على غفلة من ضد الجانب الملقوا ليدخل قلب المصفوع ما حميه فيحول وجهه ضرورة بالطبع إلى حيث صفع فترجع لقوته.

روى الصلت بن محمد الجحدري قال حدثنا بشر بن الفضل قال خرجنا حجاجاً فمررنا بمياه من مياه العرب فوصف لنا فيه ثلاثة أخوات بالجمال وقيل لنا إنهن يتطببن ويعالجن فأحببنا أن نراهن فعمدنا إلى

صاحب لنا فحككنا ساقه بعود حتى أدميناه ثم رفعناه على أيدينا وقلنا هذا سليم فهل من راق فخرجت أصغرهن فإذا جارية كالشمس الطالعة فجاءت حتى وقفت عليه فقالت ليس سليم قلنا وكيف قالت لأنه خدشه عود بالت عليه حية ذكر والدليل أنه إذا طلعت عليه الشمس مات فلما طلعت الشمس مات فعجبنا من ذلك. شكا رجل إلى طبيب وجع بطنه فقال ما الذي أكلت قال أكلت رغيفاً محترقاً فدعا الطبيب ليكحله بذور فقال الرجل إنما اشتكى وجع بطني لا عيني قال قد عرفت ولكن أكحلك لتبصر المحترق فلا تأكله.

الباب السابع والعشرون

في ذكر طرف من فطن المتطفلين

قال الأصمعي الطفيلي الداخل على القوم من غير أن يدعى مأخوذ من الطفل وهو إقبال الليل على النهار بظلمته وأرادوا أن أمره يظلم على القوم فلا يدرون من دعاه ولا كيف دخل عليهم. قال وقولهم طفيلي منسوب إلى طفيل رجل بالكوفة من بني غطفان وكان يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها وكان يقال له طفيل الأعراس والعرائس. فيه نظر لأن العرب تسمي الطفيلي الوارش والرائش والذي يدخل على القوم في شرابهم و لم يدع إليه الواغل. قال أبو عبيده كان رجل من بني هلال يقال له طفل ابن زلال إذا سمع بقوم عندهم دعوة أتاهم فأكل طعامهم فسمى كل من فعل ذلك به. روى ابن مسعود قال كان فينا رجل يقال له أبو شعيب وكان له غلام لحام فقال لغلامه اجعل لي طعاماً لعلي أدعو النبي صلى الله عليه وسلم فدعا النبي صلى الله عليه وسلم خامس خمسة فتبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل أنك دعوتني خامس خمسة وأن هذا أتبعنا فإن أذنت وإلا رجع قال بل ائذن له.

حدثنا أحمد بن الحسن المقري قال مر بنان بعروس فأراد الدخول فلم يقدر فذهب إلى بقال فوضع خاتمه عنده على عشرة أقداح عسلاً وجاء إلى باب العرس فقال يا بواب افتح لي فقال له البواب من أنت قال أراك ليس تعرفني أنا الذي بعثوني أشتري لهم الأقداح ففتح له الباب فدخل فأكل وشرب مع القوم فلما فرغ أخذ الأقداح فقال يا بواب افتح لي يريدون ناصحيه حتى أرد هذه فخرج فردها على البقال وأخذ خاتمه. قال وجاء بنان إلى وليمة فأغلق الباب دونه فاكترى سلماً ووضعه على حائط للرجل فأشرف على عيال الرجل وبناته فقال له الرجل يا هذا أما تخاف الله رأيت أهلي وبناتي فقال يا شيخ لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد فضحك الرجل وقال له انزل فكل.

قال محمد بن علي الجلاب جاء طفيلي إلى عرس فمنع من الدخول وكان يعلم أن أخاً للعروس غائب فذهب فأخذ ورقة كاغد فطواها وختمها وليس في بطنها شيء وجعل في ظاهرها من الأخ إلى العروس وجاء فقلب معي كتاب من أخي العروس فأذن له فدخل ودفع إليهم الكتاب فقالوا ما رأينا مثل هذا العنوان ليس عليه اسم أحد فقال واعجب من هذا إنه ليس في بطن الكتاب ولا حرف واحد لأنه كان مستعجلاً فضحكوا منه وعرفوا أنه احتال لدخوله فقبلوه.

قال منصور بن علي الجهضمي كان لي جار طفيلي وكان من أحسن الناس منظراً وأعذبهم منطقاً وأطيبهم رائحة وأجملهم ملبوساً وكان من شأنه أني إذا دعيت إلى دعوة تبعني فيكرمه الناس من أجلي ويظنون أنه صاحب لي فاتفق يوماً أن جعفر بن القاسم الهاشمي أمير البصرة وأراد أن يختن بعض أولاده فقلت في نفسي كأني برسوله وقد جاء وكأني بهذا الرجل قد تبعني والله لئن تبعني لأفضحنه فأنا على ذلك إذ جاء الرسول يدعوني فما زدت على أن ليست ثيابي وخرجت فإذا أنا بالطفيلي واقف على باب داره قد سبقني بالتأهب فتقدمت وتبعني فلما دخلنا دار الأمير جلسنا ساعة ودعي بالطعام وحضرت الموائد وكان كل جماعة على مائدة والطفيلي معي فلما مد يده ليتناول الطعام قلت: حدثنا درست ابن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل دار قوم بغير إذنهم فأكل طعامهم سارقاً وخرج مغيراً فلما سمع قال أثبت لك عثراً والله من هذا الكلاء فإنه ما من أحد من الجماعة إلا وهو يظن أنك تعرض به دون صاحبه أولا تستحي أن تحدث بهذا الكلام على مائدة سيد من أطعم الطعام وتبخل بطعام غيرك على من سواك ثم لا تستحي أن تحدث عن درست بن زياد وهو ضعيف عن أبان بن طارق وهو متروك لحديث يحكم برفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على خلافه لأن حكم السارق القطع وحكم المغير أن يعزر على ما يراه الإمام وأين أنت عن حديث. حدثنا أبو عاصم النبيل عن ابن جريح عن أبي الزبير عن جابر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية وهو إسناد صحيح قال منصور بن علي فأفحمني فلم يحضرني له جواب فلما خرجنا من الموضع للانصراف فارقني من جانب الطريق إلى الجانب الآخر بعد أن كان يمشي ورائي وسمعته يقول:

ومن ظن ممن يلاقي الحروب ... بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

عم عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال كان طفيلي العرائس الذي ينسب إليه الطفيليون يوصي ابنه عبد الحميد بن طفيل في علته التي مات فيها فيقول له إذا دخلت عرساً فلا تلتفت تلفت المريب وتخير

المجالس فإن كان العرس كثير الزحام فأمر وانهِ ولا تنظر في عيون أهل المرأة ولا في عيون أهل الرجل ليظن هؤلاء أنك من هؤلاء فإن كان البواب غليظاً وقاحاً فابدأ به ومره وانه من غير أن تعنف به وعليك بكلام بين النصيحة والأدلال ثم انشد وقال:

لا تجزعن من الغريب ولا من الرجل البعيد
وادخل كأنك طابخ بيديك مغرفة الحدي
متدلياً فوق الطعام تدلي الباز الصيود
لتلف ما فوق الموائد كلها لف الفهود
واطرح حياءك إنما وجه الطفيلي من حديد
لا تلتفت نحو البقول ولا إلى غرف الثريد
حتى إذا جاءك الطعام ضربت فيه كالشديد
وعليك بالفالوذجات فإنها عين القصيد
هذا إذا حررتهم ودعوتهم هل من مزيد
والعرس لا يخلو من اللوزينج الرطب الفنيد
فإذا أتيت به محوت محاسن الجام الجديد

قال ثم أغنى عليه ذكر اللوزينج ساعة فلما أفاق رفع رأسه وقال:

وتنقلن على الموا ئد فعل شيطان مريد
وإذا انتقلت عبثت بالكعك المجفف والقديد
يا رب أنت رزقتني هذا على رغم الحسود
واعلم أنك قب لت نعمت يا عبد الحميد

قال علي بن المحسن بن علي القاضي عن أبيه قال صحب طفيلي رجلاً في سفر له الرجل امضِ فاشتر لنا لحماً قال لا والله ما أقدر فمضى هو اشترى ثم قال له قم فاطبخ قال لا أحسن فطبخ الرجل ثم قال له قم فاترد قال أنا والله كسلان فثرد الرجل ثم قال له قم واغرف قال أخشى أن ينقلب على ثيابي فغرف الرجل ثم قال له قم الآن فكل قال الطفيلي قد ولله استحييت من كثرة خلافي لك وتقدم فأكل.

قال الجاحظ قلت لأبي سعد الطفيلي كم أربعة في أربعة قال رغيفين وقطعة لحم. وقال المبرد قيل لطفيلي كم اثنين في اثنين فقال أربعة أرغفة وقال مرة أخرى انتظرته مقدار ما يأكل الإنسان رغيفاً. وقال أبو

هفان قيل لطفيلي كم أربعة في أربعة قال ستة عشر رغيفاً. قال وتطفل رجل مرة على رجل فقال له صاحب المترل من أنت قال أنا الذي لم أحوجك إلى رسول. اجتمع جماعة على عصيدة فأخذ بعضهم لقمة وألقاها في السمن وقال فكبكبوا فيها هم والغاوون وجر السمن إليه وقال الآخر إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور وجر السمن إليه وقال الآخر وبئر معطلة وقصر مشيد وجر السمن إليه فقال الآخر أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً أمراً وجر السمن إليه فقال الآخر إنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز وجر السمن إليه فقال الآخر فيهما عينان تجريان وجر السمن إليه فقال الآخر فيهما عينان نضاجتان وجر السمن إليه فقال الآخر فالتقى الماء على أمر قدر وجر السمن إليه فقال الآخر فسقناه إلى بلد ميت وجر السمن إليه فقال آخر وقيل يا أرض ابلعي ماءك وسماء أقلعي وخلط السمن بما بقي من العصيدة فأخذه كله.

جاء طفيلي إلى بيت رجل مع جماعة فقال له من أنت فقال إذا كنت لا تدعونا ونحن لا نأتي صار في هذا نوع جفاء. عرس طفيلي فأتاه طفيليان في أول الناس فأدخلهما وجاء إلى غرفة له يرتقي إليها بسلم فوضع السلم وقال اصعدا لتبعدا من الأذى وأخصكما بفائق الطعام فصعدا فلما حصلا في الغرفة نحى السلم ووضع المائدة وأطعم أصدقاءه وجيرانه وهما مطلعان عليه فلما فرغ وضع السلم وقال انزلا فدفع في إقفائهما وقال انصرفا راشدين لا أصفر الله ممشاً كما قد قضيتما حق أخيكما. دخل طفيلي على قوم فبينما هو يأكل سمع صوت السدنة فأمسك يده عن الطعام فقيل له لم تأكل قال حتى تسكن هذه الأراجيف التي أسمعها. وقيل لطفيلي مرة ما بالك أصفر اللون فقال من الفترة التي بين العصارتين أخاف أن يكون الطعام قد فني. وقال طفيلي إياك والكلام على الطعام إلا أن تقول نعم فإنها مضغة أوصى طفيلي غلامه فقال إذا ضاق بك الموضع فقل للذي إلى جانبك لعلى ضيقت عليك فإنه سيوسع لك المكان كموضع رجل آخر. وقال بنان حفظت القرآن كله ثم أنسيته إلا حرفين اتنا غداءنا. وقال بنان التمكن على المائدة خير لك من زيادة أربعة ألوان. وعطش رجل إلى جنب بنان في دعوة فقال بنان ارفع نفسك إلى فوق وتنفس ثلاثاً فإنه يترل ما أكلته من الطعام.

الباب الثامن والعشرون

في ذكر طرف من فطن المتلصلصين

أخبرنا محمد بن ناصر قال أخبرنا عبد الله الحميدي قال أخبرنا أبو غالب محمد بن أحمد بن سهل بن بشران قال أخبرنا أبو الحسين بن دينار قال أنبأنا أبو طالب عبيد الله ابن أحمد الأنباري قال حدثنا يموت بن المزرع عن المبرد قال حدثني أحمد بن المعدل البصري قال كنت جالساً عند عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون فجاءه بعض جلسائه فقال أعجوبة قال ما هي قال خرجت إلى حائطي بالغابة فلما أن أصحرت وبعدت عن البيوت بيوت المدينة تعرض لي رجل فقال اخلع ثيابك فقلت وما يدعوني إلى خلع ثيابي قال أنا أولى بها منك قلت ومن أين قال لأني أخوك وأنا عريان وأنت مكس قلت فالمواساة قال كلا قد لبستها برهة وأنا أريد أن ألبسها كما لبستها قلت فتعريني وتبدي عورتي قال لا بأس بذلك قد روينا عن مالك أنه قال لا بأس للرجل أن يغتسل عرياناً قلت فيلقاني الناس فيرون عورتي قال لو كان الناس يرونك في هذه الطريق ما عرضت لك فيها فقلت أراك ظريفاً فدعني حتى أمض إلى حائطي وانزع هذه الثياب فأوجه بها إليك قال كلا أردت أن توجه إلى أربعة من عبيدك فيحملوني إلى السلطان فيحسبني ويمزق جلدي ويطرح في رجلي القيد قلت كلا أحلف لك إيماناً أني أوفي لك بما وعدتك ولا أسوءك قال كلا إنا روينا عن مالك أنه قال لا تلتزم الأيمان التي يحلف بها اللصوص قلت فأحلف أني لا أحتال في أيماني هذه قال هذه يمين مركبة على اللصوص قلت فدع المناظرة بيننا فوالله لأوجهن إليك هذه الثياب طيبة بها نفسي فأطرق ثم رفع رأسه وقال تدري فيم فكرت قلت لا، قال تصفحت أمر اللصوص من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا فلم أجد لصاً أخذ تسئمة وأكره أن أبتدع في الإسلام بدعة يكون على وزرها ووزر من عمل بها بعدي إلى يوم القيامة اخلع ثيابك قال فخلعتها فدفعتها إليه فأخذها وانصرف.

أنبأنا محمد بن أبي طاهر قال أنبأنا علي بن الحسن التنوخي عن أبيه أن أبا القاسم عبيد الله بن محمد الخفاف حدثه أنه شاهد لصاً قد أخذ وأشهد عليه أنه كان يفتش الأقفال في الدور اللطاف التي لجيراننا فإذا دخل حفر في الدار لطيفة كأنها بئر النرد وطرح فيها جوزات كان إنساناً يلاعبه واخرج منديلاً فيه نحو مائتي جوزة فتركه إلى جانبها ثم حار فكور كل ما في الدار مما يطيق حمله فإن لم يفطن به أحد خرج من الدار وحمل ذلك كله وإن كان جاء صاحب الدار ترك عليه قماشه وطلب المفالتة والخروج وغن كان صاحب الدار جلداً فواثبه ومانعه وهم بأخذه وصاح اللصوص واجتمع الجيران أقبل عليه وقال ما أبردك أنا أقامرك بالجوز منك شهور قد أفقرتني وأخذت مني كل ما أملكه وأهلكتني لأفضحك بين جيرانك لما قامرتك الآن تصيح فما يشك أحد في قوله وأنت تدعي علي باللصوصية بلعب بارد بيني وبينك دار القمار التي تعارفنا فيها قد صنعت هذا حتى أخرج وأدع عليك قماشك وكلما قال الرجل

هذا لص قال الجيران إنما يريد أن لا يفضح نفسه بالقمار فقد ادعى عليه اللصوصية ولا يشكون في أنه صادق وان صاحب الدار مقامر فيلعنوه ويحولون بينه وبين اللص حتى ينصرف ويأخذ الجوز ويفتح الباب وينصرف ويفتضح الرجل بين جيرانه.

أنبأنا محمد قال أنبأنا علي بن المحسن قال حدثني محمد بن عمر المتكلم ويلقب جنيد قال حدثني رجل من الدقاقين قال أورد علي رجل غريب سفتجة 3 باجل فكان يتردد عليّ أن حلت السفتجة ثم قتال لي ادعها عندك آخذها متفرقة فكان يجيء كل يوم فيأخذ بقدر نفقته إلى أن نفذت فصارت بيننا معرفة وألف الجلوس عندي وكان يراني أخرج من صندوق لي فأعطيته منه فقال لي يوماً أن قفل الرجل صاحبه في سفره وأمينه في حضره وخليفته على حفظ ماله والذي ينفي الظنة عن أهله وعياله وغن لم يكن وثيقاً تطرقت الحيل إليه وارى قفلك هذا وثيقاً فقل لي ممن ابتعته مثله لنفسي فقلت من فلان الإقفالي قال فما شعرت يوماً وقد جئت إلى دكاني فطلبت صندوقي لأخرج منه شيئاً من الدراهم فحمل إليّ ففتحه وإذا ليس فيه شيء من الدراهم وقلت لغلامي وكان غير متهم عندي هل انكسر من الدراب شيء قال لا قلت ففتش هل ترى في الدكان نقباً ففتش فقال لا فقلت فمن السقف حيلة قال لا قلت فاعلم أن دراهمي قد ذهبت فقلق الغلام فسكته وأقمت من نومي لا أدري أي شيء أعمل وتأخر الرجل عني فاتهمته وتذكرت مسألته لي عن القفل فقلت للغلام أخبرني كيف تفتح دكاني وتقفله قال احمل الدراب من المسجد دفعتين ثلاثة فأقفلها ثم هكذا أفتحها قلت فعلى من تخلي الدكان إذا حملت الدراب قال خالياً قلت ههنا دهيت فذهبت إلى الصانع الذي ابتعت منه القفل فقلت له جاءك إنسان منذ أيام اشترى منك مثل هذا القفل قال نعم ورجل من صفته كيت وكيت فأعطاني صفة صاحبي فعلمت أنه احتال على الغلام وقت المساء لما انصرفت أنا وبقي الغلام يحمل الدراب فدخل هو إلى الدكان فاختبأ فيه ومعه مفتاح القفل الذي اشتراه يقع على قفلي وأنه أخذ الدراهم وجلس طول الليل خلف الدراب فلما جاء الغلام ففتح داربين وحملها ليرفعها خرج وإنه ما فعل ذلك إلا وقد خرج من بغداد، قال فخرجت ومعي قفلي ومفتاحه فقلت ابتدئ بطلب الرجل بواسط فلما صعدت من السميرية طلبت خانا أنزله فصعدت فإذا يقفل مثل قفلي سواء على بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من يتزله قال رجل قدم من البصرة أمس قلت ما صفته فوصف صفة صاحبه فلم أشك أنه هو وان الدراهم في بيته فاكتريت بيتاً إلى جانبه ورصدت حتى انصرف قيم الخان ففتحت القفل ودخلت فوجدت كيسي بعيد فأخذته وخرجت وأقفلت الباب ونزلت في الوقت وانحدرت إلى البصرة وما أقمت بواسط إلا ساعتين من النهار ورجعت إلى مترلي بمالي بعينه.

أنبأنا محمد بن عبد الباقي قال أخبرنا علي بن الحسن عن أبيه قال حدثني عبد الله بن محمد الصروي قال حدثني ابن الدنانير النمار قال حدثني غلام لي قال كنت ناقداً بالأبلة لرجل تاجر فاقتضيت له من البصرة نحو خمسمائة دينار وورقاً ولففتهما في فوطة وأمسيت عن المسير إلى الأبلة فما زلت أطلب ملاحاً فلا أجد أن رأيت ملاحاً مجتازاً في خيطية خفيفة فارغة فسألته أن يحملني فخفف علي الأجرة وقال، أنا أرجع إلى مترلي بالأبلة فانزل فترلت وجعلت الفوطة بين يدي وصرنا فإذا رجل ضرير على الشط يقرأ أحسن قراءة تكون فلما رآه الملاح كبر فصاح هو بالملاح، احملني فقد جنني الليل وأخاف على نفسي فشتمه الملاح، فقلت له احمله فدخل إلى الشط فحمله فرجع إلى قراءته فخلب عقلي بطيبها فلما قربنا من الأبلة قطع القراءة وقام ليخرج في بعض المشارع بالأبلة فلم أر الفوطة فاضطربت وصحت واستغاث الملاح وقال الساعة تنقلب الخيطية وخاطبني خطاب من لا يعلم حالي، فقلت يا هذا أكانت بين يدي فوطة فيها خمسمائة دينار فلما سمع الملاح ذلك لطم وبكى وتعرى من ثيابه وقال لم أدخل الشط ولا لي موضع أخبأ فيه شيئاً فتتهمني بسرقة ولي أطفال وأنا ضعيف فالله الله في أمري وفعل الضرير مثل ذلك وفتشت السميرية فلم أجد فيها شيئاً، فرحمتهما وقلت هذه محنة لا أدري كيف التخلص فعملت على الهرب كل واحد منا طريقاً وبت في بيت ولم امض إلى صاحبي فلما أصبحت عملت على الرجوع إلى البصرة لأستخفي بها أياماً ثم أخرج إلى بلد شاسع فانحدرت وخرجت في مشرعة بالبصرة وأنا أمشي وأتعثر وأبكي قلقاً على فراق أهلي وولدي وذهاب معيشتي وجاهي، فاعترضني رجل فقال مالك أخبرته فقال، أنا أرد عليك مالك فقلت يا هذا أنا في شغل عن ظنرك بي قال ما أقول إلا حقاً أمض إلى السجن ببني نمير واشتر معك خبزاً كثيراً وشواء جيداً وحلواً وسل السجان أن يوصلك إلى رجل محبوس هناك يقال له أبو بكر النقاش قل له أنا زائره فإنك لا تمنع فإن منعت فهب للسجان شيئاً يسيراً يدخلك إليه فإذا رأيته فسلم عليه ولا تخاطبه حتى تجعل بين يديه ما معك فإذا أكل وغسل يديه فإنه يسألك عن حاجتك فأخبره خبرك فإنه سيدلك على من أخذ مالك ويرتجعه لك، ففعلت ذلك ووصلت إلى الرجل فإذا سيخ مكبل بالحديد فسلمت وطرحت ما معي بين يديه فدعا رفقاء له فأكلوا فلما غسل يديه قال ما أنت وما حاجتك فشرحت له قصتي، فقال امض الساعة إلى بني هلال فادخل الدرب الفلاني حتى تنتهي إلى آخره فإنك تشاهد باباً شعثاً فافتحه وادخله بلا استئذان فتجد دهليزاً طويلاً يؤدي إلى بابين فادخل الأيمن منهما فسيدخلك إلى دار فيها بيت فيه أوتاد وبواري وكل وتد إزار ومئزر فانزع ثيابك وألقها على الوتد واتزر بالمئزر واتشح بالإزار واجلس فسيجيء قوم يفعلون كما فعلت، ثم يؤتون بطعام فكل معهم وتعمد موافقتهم في سائر أفعالهم فإذا أتى بالنبيذ فاشرب وخذ قدحاً كبيراً واملأه وقم قائماً وقل هذا ساري لخالي أبي بكر النقاش فسيفرحون ويقولون أهو خالك فقل نعم فسيقومون ويشربون لي فإذا جلسوا فقل

لهم خالي يقرأ عليكم السلام ويقول يا فتيان بحياتي ردوا على ابن أختي المئزر الذي أخذتموه بالأمس في السفينة بنهر الأبلة فإنهم يردونه عليك فخرجت من عنده ففعلت ما أمر فردت الفوطة بعينها وما حل شدها فلما حصلت لي قلت يا فتيان هذا الذي فعلتموه معي هو قضاء لحق خالي ولي أنا حاجة تخصني قالوا مقضية قلت عرفوني كيف أخذتم الفوطة فامتنعوا ساعة فأقسمت عليهم بحياة أبي بكر النقاش فقال لي واحد منهم أتعرفني فتأملته جيداً فإذا هو الضرير الذي كان يقرأ وإنما كان متعامياً وأومأ إلى آخر فقال أتعرف هذا فتأملته فإذا هو الملاح فقلت كيف فعلتما فقال الملاح أنا أدور المشارع في أول أوقات المساء وقد سبقت بهذا المتعامي فأجلسته حيث رأيت فإذا رأيت من معه شيء له قدر ناديته وأرخصت له الأجرة وحملته فإذا بلغت إلى القاري وصاح بي شتمته حتى لا يشك الراكب في براءة الساحة فإن حمله الركب فذاك وإلا رققته عليه حتى يحمله فإذا حمله وجلس يقرأ ذهل الرجل كما ذهلت، فإذا بلغنا الموضع الفلاني فإن فيه رجلاً متوقعاً لنا يسبح حتى يلاصق السفينة وعلى رأسه قوصرة فلا يفطن الراكب به فيسلب هذا المتعامي الشيء بخفية فيليه إلى الرجل الذي عليه القوصرة فيأخذه ويسبح إلى الشط وإذا أراد الراكب الصعود وافتقد ما معه عملنا كما رأيت فلا يتهمنا ونفترق فإذا كان من غدا اجتمعنا واقتسمناه فلما جئت برسالة استأذنا خالك سلمنا إليك الفوطة قال فأخذتها ورجعت.

أخبرنا محمد بن ناصر قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال أنبأنا الجوهري وأخبرنا ابن ناصر قال أخبرنا عبد المحسن بن محمد قال أخبرنا أبو القاسم التوخي قال أخبرنا بن حيوية قال حدثنا محمد بن خلف قال حدثني لص تائب قال دخلت مدينة فجعلت أطلب شيئاً أسرقه فوقعت عيني على صيفي موسر فما زلت أحتال حتى سرقت كيساً له وانسللت فما حزت غير بعيد إذا أنا بعجوز معها كلب قد وقعت في صدري تبوسني وتلزمني وتقول يا بني فديتك والكلب يبصبص ويلوذ بي ووقف الناس ينظرون إلينا وجعلت المرأة تقول بالله انظروا إلى الكلب قد عرفه، فعجب الناس من ذلك وتشككت أنا في نفسي وقلت لعلها أرضعتني وأنا لا أعرفها وقالت معي إلى البيت أقم عندي اليوم، فلم تفارقني حتى مضيت نعها إلى بيتها وإذا عندها أحداث يشربون وبين أيديهم من جميع الفواكه والرياحين فرحبوا بي وقربوني وأجلسوني معهم، ورأيت لهم بزة حسنة فوضعت عيني عليها فجعلت أسقيهم وأرفق بنفسي إلى أن ناموا ونام كل من في الدار فقمت وكورت ما عندهم وذهبت أخرج فوثب علي الكلب وثبة الأسد وصاح وجعل يتراجع ويفج إلى أن انتبه كل نائم، فخجلت واستحييت فلما كان النهار رفعوا مثل فعلهم أمس وفعلت أيضاً أنا بهم مثل ذلك وجعلت أوقع الحيلة في أمر الكلب إلى الليل فما أمكنني فيه حيلة فلما ناموا رمت الذي رمته فإذا الكلب عارضني بمثل ما عارضني به فجعلت أحتال ثلاث ليال فلما أيست طلبت الخلاص منهم بإذنهم، فقلت أتأذنون لي فإني على وفز فقالوا الأمر إلى العجوز فاستأذنها فقالت هات الذي أخذته

من الصيرفي وامضِ حيث شئت ولا تقوم في هذه المدينة فإنه لا يتهيأ لأحد فيها معي عمل فأخذت الكيس وأخرجتني ووجدت مناي أن أسلم من يدها وكان قصراي أن أطلب منها نفقة فدفعن إليّ وخرجت معي حتى أخرجتني عن المدينة والكلب معها حتى جزت حدود المدينة ووقفت ومضيت والكلب يتبعني حتى بعدت ثم تراجع ينظر إليّ ويلتفت وأنا أنظر إليه حتى غاب عني.

أنبأنا محمد بن أبي منصور قال أنبأنا أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاوي قال أنبأنا القاضي أبو العلاء الواسطي قال أنبأنا أبو الفح محمد بن الحسين الأزدي قال حدثنا علي بن محمد القاري قال حدثنا سهل الخلاطي قال بلغني أن محتالين سرقا حماراً ومضى أحدهما ليبيعه فلقيه رجل معه طبق فيه سمك فقال له تبيع هذا الحمار قال نعم أمسك هذا الطبق حتى أركبه وانظر إليه فدفع إليه الطبق فيه السمك فركبه ورجع ثم ركبه ودخل زقاقاً ففر به فلم يدر أين ذهب، قال فرجع المحتال فلقيه رفيقه فقال ما فعل الحمار قال بعناه بما اشتريناه وربحنا هذا الطبق من السمك.

وقد روينا أن رجلاً سرق حماراً فأتى السوق ليبيعه فسرق منه فعاد إلى مترله فقالت له امرأته بكم بعته قال برأس ماله. أنبأنا محمد بن أبي طاهر قال أنبأنا علي ابن المحسن عن أبيه قال حدثني عبد الله بن محمد الصروي قال حدثنا بعض إخواننا أنه كان ببغداد رجل يطلب التلصص في حداثته ثم تاب فصار بزازاً قال فانصرف ليلة من دكانه وقد غلقه فجاء لص محتال متزي بزي صاحب الدكان في كمه شمعة صغيرة ومفاتيح فصاح بالحارس فأعطاه الشمعة في الظلمة وقال أشعلها وجئني بها فإن لي الليلة بدكاني شغلاً فمضى الحارس يشعل الشمعة وركب اللص على الأقفال ففتحها ودخل الدكان وجاء الحارس بالشمعة فأخذها من يده فجعلها بين يديه وفتح سفط الحساب وأخرج ما فيه وجعل ينظر الدفاتر ويرى بيده أنه يحسب والحارس يتردد ويطالعه ولا يشك في أنه صاحب الدكان إلى أن قارب السحر فاستدعى اللص الحارس، وكلمه من بعيد وقال اطلب لي حمالاً، فجاء بحمال فحمل عليه أربع رزم مثمنة وقفل الدكان وانصرف ومعه الحمال وأعطى الحارس درهمين فلما أصبح الناس جاء صاحب الدكان ليفتح دكانه فقام إليه الحار سيدعو له ويقول فعل الله بك وصنع كما أعطيتني البارحة الدرهمين فأنكر الرجل ما سمعه وفتح دكانه فوجد سيلان الشمعة وحسابه مطروحاً وفقد الأربع رزم فاستدعى الحارس، وقال له من كان حمل الرزم معي من دكاني قال ما استدعيت مني حمالاً فجئتك به قال بلى ولكن كنت ناعساً وأريد الحمال فجئني به فمضى الحارس فجاء بالحمال وأغلق الرجل الدكان وأخذ الحمال معه ومضى فقال له إلى أين حملت الرزم معي البارحة فإني كنت منقبذاً قال إلى المشرعة الفلانية واستدعيت لك فلاناً الملاح فركبت معه فقصد الرجل المشرعة وسأل عن الملاح فحضر وركب معه وقال أين رقيت أخي الذي كان معه

الأربع الرزم، قال إلى المشرعة الفلانية قال اطرحني إليها فطرحه، قال من حملها معه قال فلان الحمال فدعا به فقال له امشِ بين يدي فمشى فأعطاه شيئاً واستدله برفق إلى الموضع الذي حمل إليه الرزم، فجاء به إلى باب غرفة في موضع بعيد من الشط قريب من الصحراء فوجد الباب مقفلاً فاستوقف الحمال وفش القفل ودخل فوجد الرزم بحالها وإذا في البيت بركان معلق على حبل فلف الرزم ودعا بالحمال فحملها عليه وقصد المشرعة فحين خرج من الغرفة استقبله اللص فرآه وما معه فابلس فاتبعه إلى الشط فجاء إلى المشرعة ودعا الملاح ليعبر فطلب الحمال من يحط عنه فجاء اللص فحط الكساء كأنه مجتاز متطوع فأدخل الرزم إلى السفينة مع صاحبها وجعل البركان على كتفه وقال له يا أخي أستودعك الله قد ارتجعت رزمك فدع كسائي فضحك. وقال انزل فلا خوف عليك فترل معه واستتابه ووهب له شيئاً وصرفه و لم يسئ إليه.

أنبأنا محمد بن أبي طاهر عن أبي القاسم التنوخي عن أبيه أن رجلاً من بني عقيل مضى ليسرق دابة قال فدخلت الحي فما زلت أتعرف مكان الدابة فاحتلت حتى دخلت البيت فجلس الرجل وامرأته يأكلان في الظلمة فأهويت بيدي إلى القصعة وكنت جائعاً فأنكر الرجل يدي وقبض عليها فقبضت على يد المرأة بيدي الأخرى فقالت المرأة مالك ويدي فظن أنه قابض على يد امرأته فخلى يدي فخليت ين المرأة وأكلنا ثم أنكرت المرأة يدي فقبضت عليها فقبضت على يد الرجل فقال لها مالك ويدي تخليت عن يده ثم نام وقمت فأخذت الفرس وقد رويت هذه الحكاية على صفة أخرى فأنبأنا محمد بن أبي طاهر قال أنبأنا التنوخي عن أبيه قال حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد الكاتب قال حدثني محمد بن يزمع العقيلي أحد قوادهم ووجوههم في الحي وكان ورد إلى معز الدولة فأكرمه وأحسن إليه قال رأيت رجلاً من بني عقيل وظهره كله مشرطات الحجام إلا أنها أكبر فسألته عن ذلك فقال إني كنت هويت ابنه عم لي فخطبتها فقالوا لا نزوجك إلا أن تجعل في الصداق الشبكة فرس سابقة كانت لبعض بني أبي بكر فتزوجتها على ذلك وخرجت في أن أحتال إن أسا الفرس من صاحبه لا تمكن من الدخول بابنه عمي فأتيت الحي الذي فيه الفرس وما زلت أداخلهم فمرة أجيء إلى الخباء الذي فيه الرجل كأني سائل لي إن عرفت بيت الفرس من الخباء الذي فيه الرجل وأخبئت حتى دخلت من خلفه وحصلت خلف النضد نحت وكانوا تفشوه ليغزل فلما جاء الليل وافى صاحب البيت وقد زاولت له المرأة عشاء وجلسا يأكلان وقد استحكمت الظلمة ولا مصباح لهم وكنت جائعاً فأخرجت يدي وأهويت إلى القصعة فأكلت معهما وأحس الرجل بيدي فأنكرها فقبض عليها على يد المرأة فقالت له المرأة مالك ويدي فظن أنه قابض على يد امرأته فخلى يدي فخليت يد المرأة وأكلنا ثم أنكرت المرأة يدي فقبضت عليها فقبضت على يد الرجل

فقال لها مالك ويدي فخلت عن يدي فخليت عن يده وانقضى الطعام واستلقى الرجل نائماً فلما استثقل وأنا مراصدهم والفرس مقيدة في جانب البيت والمفتاح تحت رأس المرأة فوافى عبد له أسود فنبذ حصاة فانتبهت المرأة فقامت إليه وتركت المفتاح مكانه وخرجت من الخباء إلى ظاهر البيت فإذا هو قد علاها فأخذت أنا المفتاح ففتحت القفل وكان معي لجام شعر فأجزته الفرس وركبتها وخرجت عليها من الخباء فقامت المرأة من تحت العبد، ودخلت الخباء وصاحت وذعر الحي فأحسوا بي وركبوا في طلبي وأنا أكد الفرس وخلف بخلق منهم فأصبحت وليس ورائي إلا فاؤرس واحد برمح فلحقني وقد طلعت الشمس وأخذ يطعنني فهذه آثار طعناته في جسدي لا فرسه يلحقه بي حتى يتمكن من طعنته إياي ولا فرسي ينجيني إلى حيث لا يمسني الرمح حتى وافينا إلى نهر عظيم فصحت بالفرس فوثبه وصاح الفارس بالتي تحته فقصرت و لم تثب فلما رأيته عاجزاً عن العبور وقف لأريح الفرس وأستريح فصاح بي فأقبلت عليه بوجهي فقال يا هذا أنا صاحب الفرس التي تحتك وهذه ابنتها وإذ قد ملكتها فلا تخدعن فيها فإنها تساوي عشر ديات وما طلبت عليها شيئاً قط إلا لحقته ولا طلبني عليها أحداً إلا فته وإنما سميت الشبكة لأنها لم ترد شيئاً إلا أدركته فكانت كالشبكة في صيدها فقلت له إذ نصحتني فوالله لأنصحنك كان من صورتي البارحة كيت وكيت فقصصت عليه قصة امرأته والعبد وحيلتي في الفرس فأطرق ثم رفع رأسه فقال مالك لا جزاك الله من طارق خير أطلقت زوجتي وأخذت فرسي وقتلت عبدي.

أنبأنا محمد بن أبي طاهر أنبأنا أبو القاسم التنوخي عن أبي أن رجلاً نام في مسجد وتحت رأسه كيس فيه ألف وخمسمائة دينار قال فما شعرت إلا بلسان قد جذبه من تحت رأسي فانتبهت فزعاً فإذا شاب قد أخذ الكيس ومر يعدو فقمت لا عدو خلفه فإذا رجلي مشدودة بخيط قنب في وتد مضروب في آخر المسجد. أنبأنا محمد بن أبي طاهر قال أنبأنا أبو القاسم التنوخي عن أبيه قال حدثني أبو الحسين عبد الله بن محمد البصري قال حدثني أبي قال كان بالبصرة رجل من اللصوص يلص بالليل فاره جداً مقدام يقال له عباس بن الخياطة قد غلب الأمراء وأشجى أهل البلد فلم يزالوا يحتالون عليه إلى أن وقع وكيل بمائة رطل حديد وحبس فلما كان بعد سنة من حبسه أو أكثر دخل قوم بالأبلة على رجل تاجر كان عنده جوهر بعشرات ألوف الدنانير وكان مستيقظاً جلداً فجاء إلى البصرة يتظلم وأعانه خلق من التجار وقال للأمير أنت دست على جوهري وما خصمي سواك فورد عليه أمر عظيم وخلا بالبوابين وتوعدهم فاستنظروه فأنظرهم وطلبوا واجتهدوا فما عرفوا فاعل ذلك فعنفهم الرجل فاستجابوا مدة أخرى فجاء أحد البوابين إلى الحبس فتخادم لابن الخياطة ولزمه نحو شهر وتذلل له في الحبس فقال له قد وجب حقك علي فما حاجتك قال جوهر فلان المأخوذ بالأبلة لا بد أن يكون عندك منه خبر فإن دماءنا مرهنة به

وحدثه الحديث فرفع ذيله وإذا سفط الجوهر تحته فسلمه إليه وقال قد وهبته لك فاستعظم ذلك وجاء بالسفط إلى الأمير فسأله عن القصة فأخبره بها فقال علي بعباس فجاؤوا به فأمر بالإفراج عنه وإزالة قيوده وإدخاله الحمام وخلع عليه وأجلسه في مجلسه مكرماً واستدعى الطعام فواكله وبيته عنده فلما كان من الغد خلا به وقال أنا أعلم أنك لو ضربت مائة ألف سوط ما أقررت كيف كانت صورة أخذ الجوهر وقد عاملتك بالجميل ليجب حقي عليك من طريق الفتوة وأريد أن تصدقني حديث هذا الجوهر قال على أنني ومن عاونني عليه آمنون وإنك لا تطالبنا بالذين أخذوه قال نعم فاستحلفه فقال له إن جماعة اللصوص جاؤوني الحبس وذكروا حال هذا الجوهر وإن دار هذا التاجر لا يجوز أن يتطرق عليها نقب ولا تسليق وعليها باب حديد والرجل نتيقظ وقد راعوه سنة فما أمكنهم وسألوني فساعدتهم فدفعت إلى السجان مائة دينار وحلفت به بالشطارة والأيمان الغليظة أنه إن طلقني عدن إليه من غد وأنه إن لم يفعل ذلك اغتلته فقتلته في الحبس فأطلقني فترعنا الحديد وتركته وخرجت المغرب فوصلنا إلى الأبلة العتمة وخرجنا إلى دار الرجل فإذا هو في المسجد وبابه مغلق لأحدهم تصدق من الباب فتصدق فلما جاؤوا ليفتحوا قلت له أختفي ففعل ذلك مرات والجارية تخرج فإذا لن تر أحداً عادت إلى أن خرجت من الباب ومشت خطوات تطلب السائل فتشاغلت بدفع الصدقة إليه فدخلت أنا إلى الدار فإذا في الدهليز بيت فيه حمار فدخلته ووقفت تحت الحمار وطرحت الجل علي وعليه وجاء الرجل فغلق الأبواب وفتش ونام على سرير عال والجوهر تحته فلما انتصف الليل قمت إلى شاة غب الدار فعركت أذنها فصاحت فقال ويلك أقول لك افتقديها قالت قد فعلت قال كذبت وقام بنفسه ليطرح لها علفاً فجلست مكانه على السرير وفتحت الخزانة وأخذت السفط وعدت إلى موضعي وعاد الرجل فنام فاجتهدت أن أجد حيلة أن أنفب إلى دار بعض الجيران فأخرج فما قدرت لأن جميع الدار مؤزرة بالساج ورمت صعود السطح فما قدرت لأن الممارق مقفلة بثلاثة أقفال فعملت على ذبح الرجل ثم استقبحت ذلك وقلت هذا بين يدي إن لم أجد حيلة غيره فلما كان السحر عدت إلى موضعي تحت الحمار وانتبه الرجل يريد الخروج فقال للجارية افتحي الأقفال من الباب ودعيه مترباً ففعلت وقربت من الحمار فرفس فصاحت فخرجت أنا ففتحت المترس وخرجت أعدو حتى جئت إلى المشرعة فترلت في الخيطية ووقعت الصيحة في دار الرجل فطالبني أصحابي أن أعطيهم شيئاً منه فقلن لا هذه قصة عظيمة وأخاف أن يتنبه عليها ولكن دعوه عندي فإن مضى على الحديث ثلاثة أشهر وافتكم فصيروا إلي أعطيكم النصف وإن ظهر خفت عليكم وعلى نفسي وجعلته حقنا لدمائكم فرضوا بذلك فأرسل الله هذا البواب بليه يخدمني فاستحييت منه وخفت أن يقتل هو وأصحابه وقد كنت وضعت في نفسي الصبر على كل عذاب فدخلتم عليّ من طريق أخرى لم أستحسن في الفتوة معها إلا الصدق فقال له الأمير جزاء هذا الفعل إن أطلقك ولكن تتوب

فتاب وجعله الأمير من بعض أصحابه وأسنى له الرزق فاستقامت طريقته.
قال أبو الحسين وحدثني أبي عن طالوت بن عباد الصيرفي قال كنت ليلة نائماً بالبصرة في فراشي وأحراسي يحرسوني وأبوابي مقفلة فإذا أنا بابن الخياطة ينبهني من فراشي فانتبهت فزعاً فقلت من أنت فقال ابن الخياطة فتلفت فقال لا تجزع قد قمرت الساعة خمسمائة دينار أقرضني إياها لأردها عليك فأخرجت خمسمائة دينار فدفعتها إليه فقال نم ولا تتبعني لأخرج من حيث جئت وإلا قتلتك قال وأنا والله أسمع صوت حراسي ولا أدري من حيث دخل ولا من أين خرج وكتمت الحديث خوفاً منه وزدت في الحرس ومضت ليال فإذا أنا به قد أنبهني على تلك الصورة فقلت مرحباً ما تريد قال جئت بتلك الدنانير تأخذها مني فقلت أنت في حل منها فإن أردت شيئاً آخر فخذ فقال لا أريد من نصح التجار شاركهم في أموالهم ولو كنت أردت أخذ مالك باللصوصية فعلت ولكنك رئيس بلدك ولا أريد أذيتك فإن ذلك يخرج عن الفتوة ولكن خذها فإن احتجت إلى شيء بعد هذا أخذت منك فقلت أن عودك لا يفزعني ولكن إذا أردت شيئاً فتعال إلي نهاراً أو رسولك فقال افعل فأخذت الدنانير منه وانصرف وكان رسوله يجيئني بعلامة بعد ذلك فيأخذ ما يريده بعد مدة فما انكسر لي عنده شيء إلى أن قبض عليه.
حكى أبو محمد عبد الله بن علي بن الخشاب النحوي أن رجلاً اشترى من مخاطى قطعة صابون ومضى إلى النهر لغسل ثيابه فلما وصل أخرجها فإذا هي قطعة آجر فصعب الأمر عليه وقال هذا يبيع الناس آجراً وصابوناً فمضى إليه ليردها فلما وصل قال ويحك أتبيع الناس آجراً وصابوناً قال كيف أبيع أجراً فأخرجها من كمه فإذا هي قطعة صابون فاستحى ورجع إلى النهر فأخرجها فإذا هي آجر فعاد إليه ووبخه وأخرجها فإذا هي قطعة صابون مرة أخرى كذلك حتى ضجر فقال له المخاطر لا يضيق صدرك فإن لنا ولداً قد أخرجناه نعلمه أن يبط ويحتال وإنك كلما مضيت فعل هذا فإذا رآك قد عدت لردها أعادها في كمك وأنت لا تعلم. دخل دار قوم فلم يجد ما يسرق غير دواة مكسورة فكتب على الحائط عز عليّ فقركم وغناي. دخل لص بيت رجل فأخذ متاعه وخرج فصاح الرجل ما أنحس هذه الليلة فقال اللص على كل أحد. حدثني بعض الإخوان أن رجلاً جاء إلى بزاز فاستعرض منه ثياباً بثلاثمائة دينار ثم وزنها له فلما تسلمها قال الرجل لقد غبنتني فعاد وجمع الدنانير وتركها في خرقة وختمها ورمى بها في كم غلامه ثم قال ما أنا إلا متردد أفتأذن لي أن أرى الثياب من اشتريتها له فإن رضي وإلا رددتها قال نعم فأدخل يده في كم غلامه فأخرج الخرقة فرمى بها إلى البزاز وأخذ الثياب ومضى ففتح البزاز الخرقة فإذا بها فلوس وقد جعل في كم غلامه خرقة مثلها وفيها وزن الثلاثمائة.
حدثني أبو الفتح البصري قال اجتمع جماعة من اللصوص اجتاز عليهم شيخ صيرفي معه كيسه فقال أحدهم ما تقولون فيمن يأخذ كيس هذا قالوا كيف تفعل قال انظروا ثم تبعه إلى منزله فدخل الشيخ

فرمى كيسه على الصفة وقال للجارية أنا حاقن فالحقيني بماء في الغرفة وصعد فدخل اللص فأخذ الكيس وجاء إلى أصحابه فحدثهم فقالوا ما عملت شيئاً تركته يضرب الجارية ويعذبها وماذا مليح قال فكيف تريدون قالوا تخلص الجارية من الضرب وتأخذ الكيس قال نعم فمضى فطرق الباب فإذا به يضرب الجارية فقال من قال غلام جارك في الدكان فخرج فقال ماذا تقول فقال سيدي يسلن عليك ويقول لك قد تغيرت ترمي كيسك في الدكان وتمضي ولولا أنا رأيناه كان قد أخذ وأخرج الكيس وقال أليس هذا هو قال بلى والله صدق ثم أخذه فقال له بل أعطنيه وادخل فاكتب في رقعة قد تسلمت الكيس حتى أتخلص أنا ويرجع إليك مالك فناوله إياه ودخل ليكتب فأخذه ومضى.

قال أبو جعفر محمد بن الفضل الضميري كان في بلدنا عجوز صالحة كثيرة الصيام والصلاة وكان لها ابن صيرفي منهمك على الشرب واللعب وكان يتشاغل بدكانه أكثر نهاره ثم يعود إلى مترله فيخبأ كيسه عند والدته، فدخل إلى الدار وهو لا يعلم فاختبأ فيها وسلم كيسه إلى أمه وخرج وبقيت هي وحدها في الدار وكان لها في دارها بيت مؤزر بالساج عليه باب من حديد تجعل قماشها فيه والكيس فخبأت الكيس فيه خلف الباب وجلست فأفطرت بين يديه فقال اللص الساعة تقفله وتنام وأنزل وأقلع الباب وآخذ الكيس فلما أفطرت قامت تصلي ومدت الصلاة ومضى نصف الليل وتحير اللص وخاف أن يدركه الصبح فطاف في الدار فوجد إزاراً جديداً وبخور فاتزر بالإزار وأوقد البخور وأقبل يترل على الدرجة ويصيح بصوت غليظ ليفزع العجوز وكانت جلدة ففطنت أنه لص فقالت من هذا بارتعاد وفزع فقال أنا جبريل رسول رب العالمين أرسلني إلى ابنك هذا الفاسق لأعظه وأعامله بما يمنعه عن ارتكاب المعاصي فأظهرت أنها قد غشي عليها من الفزع وأقبلت تقول يا جبريل سألتك إلا رفقت به فإنه واحدي فقال اللص ما أرسلت لقتله قالت فبم أرسلت قال لآخذ كيسه وأولم قلبه بذلك فإذا تاب رددته عليه فقالت يا جبريل شأنك وما أمرت به فقال تنحي عن باب البيت وفتح هو الباب ودخل ليأخذ الكيس والقماش واشتغل في تكويره فمشت العجوز قليلاً قليلاً وجذبت الباب وجعلت الحلقة في الرزة وجاءت بقفل فقفلته فنظر اللص إلى الموت ورام حيلة، نقب أو منقذ فلم يجد فقال افتحي لأخرج فقد أتعظ ابنك فقالت يا جبريل أخاف أن أفتح الباب فتذهب عيني من ملاحظة نورك فقال إني أطفئ نوري حتى لا يذهب بعينيك فقالت يا جبريل ما يعوزك أن تخرج من السقف أو تخرق الحائط بريشة من جناحك ولا تكلفني أنا لتغوير بصري فأحس اللص أنها جلدة فأخذ يرفق بها ويداريها ويبذل التوبة فقالت دع عنك هذا لا سبيل إلى الخروج إلا بالنهار وقامت فصلت وهو يسألها حتى طلعت الشمس وجاء ابنها وعرف خبرها وحدثته الحديث فأحضر صاحب الشرطة وفتح الباب وقبض على اللص.

الباب التاسع والعشرون

في ذكر طرف من أخبار فطن الصبيان

أنبأنا الحسين بن محمد بن عبد الوهاب النحوي قال أنبأنا أبو جعفر بن المسلمة قال أخبرنا أبو طاهر المخلص قال أنبأنا أحمد بن سليمان بن داود الطوسي قال أخبرنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن الضحاك أن عبد الملك بن مروان قال لرأس الجالوت أو لابن رأس الجالوت ما عندكم من الفراسة في الصبيان قال ما عندنا فيهم شيء لأنهم يخلقون خلقاً بعد خلق أغيرانا نرمقهم فإن سمعنا منهم من يقول في لعبه من يكون معي رأيناه ذاهمة وحنو صدق فيه وإن سمعناه يقول مع من أكون كرهناها منه فكان أول ما علم من ابن الزبير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان وهو صبي فرم رجل فصاح عليهم ففررا ومشى ابن الزبير القهقهري وقال يا صبيان اجعلوني أميركم وشدوا بنا عليه ومر به عمر بن الخطاب وهو صبي يلعب مع الصبيان ففروا ووقف فقال له مالك لم تفر مع أصحابك قال يا أمير المؤمنين لم أجرم فأخاف و لم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك.

أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزاز قال أنبأنا الحسن بن علي الجوهري قال أخبرنا ابن حيوية قال أخبرنا أحمد بن معروف قال أنبأنا الحسين بن الفهم قال حدثنا محمد بن سعد قال أنبأنا حجاج بن نصر قال حدثنا قرة بن خالد عن هارون بن زياب قال حدثنا سنان بن مسلمة وكان أميراً على البحرين قال كنا أغيلمة بالمدينة في أصول النخل نلتقط البلح الذي يسمونه الخلال فخرج إلينا عمر بن الخطاب فتفرق إلينا عمر بن الخطاب فتفرق الغلمان وثبت مكاني فلما عشيني قلت يا أمير المؤمنين إنما هذا ما ألقت الريح قال أرني أنظر فإنه لا يخفي علي قال فنظر في حجري فقال صدقت فقلت يا أمير المؤمنين ترى هؤلاء الغلمان والله لئن انطلقت لأغاروا علي فانتزعوا ما في يدي قال فمشى معي حتى بلغني مأمني.

قال، قال أبو محمد الترمذي كنت أؤدب المأمون وهو في حجر يعلمه الجوهري قال فأتيته يوماً وهو داخل فوجهت إليه بعض خدامه يعلمه بمكاني فأبطأ عليّ ثم وجهت آخر فأبطأ فقلت لسعيد أن هذا الفتى ربما تشاغل بالبطالة وتأخر قال أجل ومع هذا إنه إذا فارقك تعزم على خدمه ولقوا منه أذى شديداً فقومه بالأدب فلما خرج أمرت بحمله فضربته سبع درر قال فإنه ليدلك عينيه من البكاء إذ قيل جعفر بن يحيى قد أقبل فأخذ منديلاً فمسح عينيه من البكاء وجمع ثيابه وقام إلى فرشه فقعد عليه متربعاً ثم قال ليدخل فقمت عن المجلس وخفت أن يشكوني إليه فألقى منه ما أكره بوجهه وحدثه حتى أضحكه وضحك إليه فلما هم بالحركة بدابته ودعا غلمانه فسعوا بين يديه ثم سأل عني فجئت فقال خذ على بقية حزبي فقلت

أيها الأمير أطال الله بقاءك لقد خفت أن تشكوني إلى جعفر بن يحيى ولو فعلت ذلك لتنكر لي فقال تراني يا أبا محمد كنت اطلع على هذا فكيف بجعفر بن يحيى حتى أطلعه أنني أحتاج إلى أدب إذن يغفر الله لك بعد الظنك ووجيب قلبك خذ في أمرك فقد خطر ببالك ما لا تراه أبداً لوعدت في كل يوم مائة مرة. قال الحسن القزويني سمعت أبا بكر النحوي يقول من ألطف رقعة كتبت في الاعتذار رقعة كتبها الراضي إلى أخيه أبي إسحاق المتقي وقد كان جرى بينهما كلام بحضرة المؤدب وكان الأخ قد تعدى على الراضي فكتب إليه الراضي بسم الله الرحمن الرحيم أنا معترف لك بالعبودية فرضاً وأنت معترف إليّ بالأخوة فضلاً والعبد يذنب والمولى يعفو وقد قال الشاعر:

يا ذا الذي يغضب من غير شيء أعتب فعتباك حبيب إلي
أنت على أنك لي ظالم أعز خلق الله طراً علي

قال فجاءه أبو إسحاق فأكب عليه فقام إليه الراضي فتعانقا واصطلحا والله أعلم حدثنا عبيد الله بن المأمون قال غضب المأمون على أمي أم موسى فقصدني لذلك حتى كاد يتلفني فقلن له يوماً يا أمير المؤمنين إن كنت غضبان على ابنة عمك فعاقبها بغيري فإني منك قبلها ولك دونها قال صدقت والله يا عبيد الله إنك مني قبلها ولي دونها والحمد لله الذي أظهر لي هذا منك وبين لي هذا الفضل فيك لا ترى والله بعد يومك هذا مني سوأ ولا ترى إلا ما تحب فكان ذلك سبب رضاه عن أمي.

قال الأصمعي بينا أنا في بعض البوادي إذا أنا بصبي أو قال صبية معه قربة قد غلبته فيها ماء وهو ينادي يا أبت أدرك فاها غلبني فوهاً لا طاقة لي بفيها قال فوالله لقد جمع العربية في ثلاث قال الصولي قال الجاحظ قال ثمامة دخلت إلى صديق لي أعوده وتركت حماري على الباب و لم يكن معي غلام ثم خرجت وأنا فوقه صبي فقلت أتركب حماري بغير إذني قال خفت أن يذهب فحفظته لك قلت لو ذهب كان أحب إليّ من بقائه قال فإن كان هذا رأيك في الحمار فاعمل على أنه قد ذهب وهبه لي واربح شكري فلم أر ما أقول قال رجل من أهل الشام قدمت المدينة فقصدت مترل إبراهيم بن هرمة فإذا بنية له صغيرة تلعب بالطين فقلت لها ما فعل أبوك قالت وفد إلى بعض الأجواد فما لنا به علم منذ مدة فقلت انحري لنا ناقة فأنا أضيافك قالت والله ما عندنا قلن فشاة قالت والله ما عندنا قلت فدجاجة قالت والله ما عندنا قلت فبيضة قالت والله ما عندنا قلت فباطل ما قال أبوك:

كم ناقة قد وجأت منحرها بمستهل الشؤبوب أو جمل

قالت فذاك الفعل من أبي هو الذي أصارنا إلى أن ليس عندنا شيء قال بشر بن الحرث أتيت باب المعافى

بن عمران فدققت الباب فقيل لي من قلت بشر الحافي قالت لي بنية من داخل الدار لو اشتريت نعلاً بدانقين ذهب عنك اسم الحافي وبلغنا أن المعتصم ركب إلى خاقان يعوده والفتح صبي يومئذ فقال له المعتصم أيما أحسن دار أمير المؤمنين أو دار أبيك قال إذا كان أمير المؤمنين في دار أبي أحسن فأراه فصاقى يده فقال هل رأيت يا فتح أحسن من هذا الفص فقال نعم اليد التي هو فيها. قال أبو علي البصير توفي أبي وأنا صغير فمنعت ميراثي فقدمت منازعاً إلى القاضي فقال لي بلغت، قلت نعم، قال ومن يعلم بذاك، قلت من انعظ عليه فتبسم وأمر بفك حجري. بلغنا أن إياس بن معاوية تقدم وهو صبي إلى قاضي دمشق ومعه شيخ فقال أصلح الله القاضي هذا الشيخ ظلمني واعتدى علي وأخذ مالي فقال القاضي أرفق به ولا تستقبل الشيخ بمثل هذا الكلام فقال إياس أصلح الله القاضي أن الحق أكبر مني ومنه ومنك قال اسكت قال إن سكت فمن يقوم بحجتي قال تكلم بخير فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له فرفع صاحب الخبر هذا الخبر فعزل القاضي وولى إياس مكانه.

نظر المأمون إلى ابن صغير له في يده دفتر فقال ما هذا بيدك فقال بعض ما تسجل به الفطنة وينبه من الغفلة ويؤنس من الوحشة، فقال المأمون الحمد لله الذي رزقني من ولدي من ينظر بعين عقله أكثر ما ينظر بعين جسمه وسنه. قال الفرزدق لغلام حدث أيسرك إني أبوك، قال لا ولكن أمي ليصيب أبي من أطايبك. قعد صبي مع قوم يأكلون فبكى قالوا مالك تبكي قال الطعام حار قالوا فدعه حتى يبرد قال أنتم لا تدعونه.

قال الأصمعي قلت لغلام حدث السن من أولاد العرب أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وإنك أحمق فقال لا والله قلت و لم قال أخاف أن يجني على حمقي جناية تذهب مالي ويبقى على حمقي. بلغنا أن صبياً لقي رجلاً عاقلاً فقال له إلى أين تمضي فقال إلى المطبق قال أوسع خطوتك. ادخل على الرشيد صبي له أربع سنين فقال له ما تحب أن أهب لك قال حسن رأيك.

الباب الثلاثون

في ذكر طرف من فطن عقلاء المجانين

حدثنا محمد بن إسماعيل قال كان عندنا رجل من جهينة يكنى أبا نصر قد ذهب عقله فقلت له يوماً ما السخاء قال جهد مقل قلت فما الخل قال أف وحول وجهه، فقلت أجبني قال قد أجبتك. قال الشبلي رأيت يوم الجمعة معتوهاً عند جامع الرصافة قائماً عريان وهو يقول أنا مجنون الله أنا مجنون فقلت له لم لا تدخل الجامع وتتوارى وتصلي فأنشأ يقول:

يقولون زرنا واقضِ واجب حقنا　　　وقد أسقطت حالي حقوقهم عني

إذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لها　　　ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني

قال ابن القصاب الصوفي دخلت المارستان فرأيت فيه فتى مصاباً فولعت به وزدت في الولع فأتبعته فصاح وقال انظروا إلى شعور مطرزة وأجساد معطرة قد جعلوا الولع بضاعة والسخف صناعة فقلت له من السخي قال الذي رزق أمثالكم وأنتم لا تساوون قوت يوم قلت له من أقل الناس شكر فقال من عوفي من بلية ثم رآها في غيره فترك الشكر فانكسرت بذلك وقلت له ما الظرف قال خلاف ما أنتم عليه.

بلغني عن بعض أصحاب المبرد أنه قال انصرفت من مجلس المبرد يوماً فجزت بخربة فإذا بشيخ قد خرج منها ومعه حجر فهم أن يرميني به فتترست بالمحبرة والدفتر فقال مرحباً بالشيخ فقلت وبك قال من أين أقبلت قلت من مجلس المبرد قال البارد ثم قال ما الذي أنشدكم فكان من عادته أن يختم مجلسه ببيت أو بيتين من الشعر فقلت له أنشدنا:

أعار الغيث نائله　　　إذا ما ماؤه تفدا

وإن أسد شكا جبناً　　　أعار فؤاده الأسدا

فقال أخطأ قائل هذا الشعر قلت كيف قال ألا تعلم أنه إذا أعار الغيث نائله بقي بلا نائل وإذا عار الأسد فؤاده بقي بلا فؤاد قلت فكيف كان يقول فانشد:

علم الغيث الندى فإذا　　　ما وعاء علم البأس الأسد

فإذا الغيث مقر بالندى　　　وإذا الليث مقر بالجلد

قال فكتبت وانصرفت ثم مررت يوماً آخر بذلك المكان فإذا به قد خرج وبيده حجر فكان يرميني فتترست منه فضحك وقال مرحباً بالشيخ فقلت وبك قال من مجلس المبرد قلت نعم قال ما الذي أنشدكم قلت أنشدنا:

إن السماحة والمروءة والندى　　　قبر يمر على الطريق الواضح

فإذا مررت بقبره فأعقربه　　　كوم الجياد وكل طرف سابح

فقال أخطأ قائل هذا الشعر فقلت كيف قال ويحك لو نحرت بخت خراسان لما أبر في حقه قلت كيف كان يقول فأنشد:

احملاني إن لم يكن لكما عقر　　　إلى جنب قبره فاعقراني

وانضجا من دمي عليه فقد كان　　　دمي من نداه لو تعلمان

قال فلما عدت إلى المبرد قصصت عليه القصة فقال أتعرفه قلت لا قال ذلك خالد الكاتب تأخذه السوداء أيام الباذنجان. قال علي بن الحسين الرازي مر بهلول بقوم في أصل شجرة وكانوا عشرة فقال بعضهم لبعض قالوا حتى نسخر ببهلول ما قالوا فجاءهم فقالوا يا بهلول تصعد لنا رأس هذه الشجرة وتأخذ عشرة دراهم قال نعم فأعطوه عشرة دراهم فصيرها في كمه ثم التفت فقال هاتوا سلماً فقالوا لم يكن هذا في الشرط فقال كان في شرطي دون شرطكم.

ولد لبعض أمراء الكوفة بنت، فساءه ذلك وامتنع عن الطعام فدخل عليه بهلول فقال ما هذا الحزن أجزعت بخلق سوي وهبه رب العالمين أيسرك أن مكانها أبناء مثلي فسرى عنه. وفر يوماً بهلول من الصبيان فالتجأ إلى دار فوجد بابها مفتوحاً فدخلها وصاحب الدار قائم له ضفيرتان فصاح ما أدخلك داري فقال يا ذا القرنين أن ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض. وحمل عليه الصبيان يوماً فدخل داراً فدعا الرجل بالطعام فجعل الصبيان يصيحون على الباب وهو يأكل ويقول فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب.

وسئل بهلول عن رجل مات وخلف أبناء وبنتاً وزوجة و لم يترك من المال شيئاً فقال للابن اليتيم وللبنت الثكل وللزوجة خراب البيت وما بقي فللعصبة قال ودخل بهلول وعليان على موسى بن المهدي فقال ليليان إيش معنى عليان فقال عليان وإيش معنى موسى فقال حذوا برجل ابن الفاعلة فالتفت عليان إلى بهلول وقال خذ إليك كنا اثنين صرنا ثلاثة. كان في بني أسد مجنون فمر بقوم من بني تيم الله فبعثوا به وعذبوه فقال يا بني تيم الله ما أ لم في الدنيا قوماً خيراً منكم قالوا وكيف قال بنو أسد ليس فيهم مجنون غيري وقد قيدوني وسلسلوني وكلكم مجانين ليس فيكم مقيد. ومر مجنون بمعتزلي يناظر فقال له المجنون أنت القائل أنك مخير بين فعلين إن شئت فعلت أحدهما دون الآخر قال نعم فاخرء ولا تبل، فعجب الناس من قوله. قال أبو محمد بن عجيف مربي مجنون فقلت يا مجنون قال وأنت عاقل قلت نعم قال كلا يا مجنون ولكن جنوني مكشوف وجنونك مستور قلت فسر لي قلت قال أنا أخرق الثياب وارجم وأنت تعمر دار لا بقاء لها وتطيل أملك وما حياتك بيدك وتعصي وليك وتطيع عدوك قال النظام قلت لمجنون اجلس ها هنا حتى أرجع فقال أما ترجع فلا أضمن لك ولكني أجلس إلى الليل. ادعى رجل النبوة وزعم أنه نوح فصلب فمر به مجنون فقال يا نوح لم تحصل من سفينتك إلا على الدقل. بعث هلال بن أبي بردة إلى أبي علقمة المجنون فلما أتى به قال تدري لم أحضرتك قال لا قال لا ضحك منك قال لقد ضحك أحد الحكمين من صاحبه يعرض بجده أبي موسى.

الباب الحادي والثلاثون

في ذكر طرف من أخبار النساء والمتفطنات

حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قلت يا رسول الله أرأيت لو نزلت وادياً فيه شجراً كل منها ووجدت شجراً لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك قال في التي لم يرتع منها نعني أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها. حدثنا القاسم بن محمد عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج في سفر أقرع بين نسائه فطارت القرعة على عائشة وحفصة فخرجتا معه جميعاً فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سار بالليل سار مع عائشة يتحدث معها فقالت حفصة لعائشة إلا تركبين بعيري وأركب بعيرك فتنظرين وانظر قالت بلى فركبت عائشة على بعير حفصة وركبت حفصة على بعير عائشة فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جمل عائشة وعليه حفصة فسلم ثم صار معها حتى نزلوا ففقدت النبي صلى الله عليه وسلم فغارت فلما نزلت جعلت تدخل رجليها بين الاذخر وتقول يا رب سلط عليّ عقرباً يلدغني رسولك لا أستطيع أن أقول شيئاً.

عن عبد الله بن مصعب قال، قال عمر بن الخطاب لا تزيدوا في مهر النساء على أربعين أوقية وإن كانت بنت ذي الغصة يعني يزيد بن الحصين الصحابي الحارثي فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال فقالت امرأة من صنف النساء طويلة في أنفها فطس ما ذاك لك قال و لم قالت لأن الله عز وجل قال وآتيكم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً قال عمر امرأة أصابت ورجل أخطأ.
عن محمد بن معين الغفاري قال أتت امرأة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله فقال لها نعم الزوج زوجك فجعلت تكرر عليه القول وهو يقرر عليها الجواب فقال له كعب الأسدي يا أمير المؤمنين هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه فقال له عمر كما فهمت كلامها فاقض بينهما فقال كعب عليّ بزوجها فأتى به فقال أن امرأتك هذه تشكوك قال أفي طعام أو شرب قال لا فقالت المرأة:

يا أيها القاضي الحكيم أرشده — إلهي خليلي عن فراشي مسجده
زهده في مضجعي تعبده — نهاره وليله ما يرقده
ولست في أمر النساء أحمده

فقال زوجها:

زهدت في فراشها وفي الحجل — إني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطول — وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب:

إن لها حقاً عليك يا رجل تصيبها في أربع لمن عقل

فأعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال إن الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فذلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك ولها يوم وليلة فقال عمر والله ما أدري من أي أمريك أعجب أفمن فهمك أمرها أم من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك قضاء البصرة. عن عبد الله بن الزبير عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم قالت لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر حمل أبو بكر معه جميع ماله خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم فأتاني جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال أرى هذا والله قد فجعكم بن له مع نفسه فقلت كلا يا أبت قد ترك لنا خيراً كثيراً فعمدت إلى أحجار جعلها في كوة البيت كان أبو بكر يحصل ماله وغطيت على الأحجار بثوب ثم جئت به فأخذت بيده ووضعتها على الثوب وقلت ترك لنا هذا فجعل يجدمس الحجارة من وراء الثوب فقال أما إذا ترك لكم هذا فنعم ولا والله ما ترك لنا قليلاً ولا كثيراً.

قال الأصمعي أتت امرأة حاتم بن عبد الله ابن أبي بكرة فقالت له أتيتك من بلاد شاسعة ترفعني رافعة وتخفضني خافضة لمات من الأمور حللن بي فبرين لحمي ووهن عظمي وتركتني والهة كالحريض قد ضاق بي البلد العريض هلك الوالد وغاب الوافد وعدم الطارف والتالد فسألت في حياء العرب عن المرجو سببه المحمود نائله الكريم شمائله فدللت عليك وأنا امرأة من هوزان فافعل بي أحد ثلاث إما أن تقيم أودي وإما أن تحسن صفدي وإما أن تردني إلى بلدي فقال بل أجمعهن إليك وحباً وكرامة.

قال الأصمعي مات ابن لأعرابية فما زالت تبكي حتى خدد الدمع خدها ثم استرجعت فقالت اللهم إنك قد علمت فرط حب الوالدين لولدها فلذلك لم تأمرهما ببره وعرفت قدر عقوق الولد لوالديه فمن أجل ذلك حضضته على طاعتها اللهم إن ولدي كان من البار بوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما فأجزه مني بذلك صلاة ورحمة ولقه سروراً ونضرة فقال لها أعرابي نعم ما دعوت له لولا أنك شبته من الجزع بما لا يجدي فقالت إذا وقعت الضرورات لم يجر عليها حكم المكتسبات وجزعي على ابني غير ممكن في الطاقة صرفه ولا في القدرة منعه والله ولي عذري بفضله فقد قال عز وجل فمن اضطر غير باغٍ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم.

قال أبو الحسن المدائني دخل عمران بن حطان يوماً على امرأته وكان عمران قبيحاً ذميماً قصيراً وقد

تزينت وكانت امرأة حسناء فلما نظر إليها ازدادت في عينه جمالاً وحسناً فلم يتمالك أن يديم النظر إليها فقالت ما شأنك قال لقد أصبحت والله جميلة فقالت أبشر فإني وإياك في الجنة قال ومن أين علمت ذلك قالت لأنك أعطيت مثلي فشكرت وابتليت سلامته بمثلك فصبرت والصابر والشاكر في الجنة. قال المصنف أدام الله سلامته كان عمران بن حطان أحد الخوارج وهو القائل يمدح عبد الرحمن بن ملجم على قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه بمنه وكرمه:

يا ضربة من تقى ما أراد بها — غلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره يوماً فأحسبه — أوفى البرية عند الله ميزانا

أكرم بقوم بطون الأرض أقبرهم — لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا

فبلغت هذه الأبيات القاضي أبا الطيب الطبري فقال مجيباً له على الفور:

إني لأبرأ مما أنت قائله — على ابن ملجم الملعون بهتانا

إني لأذكره يوماً فألعنه — ديناً وألعن عمراناً وحطانا

عليك ثم عليه الدهر متصلاً — لعائن الله أسرار وأعلانا

فأنتم من كلاب النار جاء به — نص الشريعة تبياناً وبرهانا

أشار أبو الطيب إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم الخوارج كلاب النار قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي حدثني أبو المشيع قال خرج كثير يلتمس عزة ومعه شنينة فيها ماء فأخذه العطش فتناول الشنينة فإذا هي عظم، ما فيها شيء من الماء فرفعت له نار فأمها فإذا بقربها مظلة بفنائها عجوز فقالت من أنت قال أنا كثير قالت قد كنت أتمنى ملاقاتك فالحمد لله الذي أرانيك قال وما الذي تلتمسينه مني قالت ألست القائل:

إذا ما أتينا خله كي نزيلها — أبينا وقلنا الحاجبية أول

سنوليك عرفاً إن أردت وصالنا — ونحن لتلك الحاجبية أوصل

قال بلى قالت أفلا قلت كما قال سيدك جميل:

يا رب عارضة علينا وصلها — بالجد تخلطه بقول الهازل

فأجبتها في القول بعد تأمل — حبي بثينة عن وصالك شاغلي

لو كان في قلبي كقدر قلامة — فضلاً لغيرك ما أتتك رسائلي

قلت دعي هذا واسقيني قالت والله لا أسقيك شيئاً قلت ويحك أن العطش قد أضر بي قالت ثكلت بثينة إن طعمت إن عندي قطرة ماء فكان جهده أن ركض راحلته ومضى يطلب الماء فما بلغه حتى أضحى النهار وكاد يقتله العطش. قال دخل ذو الرمة الكوفة فبينا هو يسير في شوارعها على نجيب له إذ رأى جارية سوداء واقفة على باب دار فاستحسنها ووقعت بقلبه فدنا إليها فقال يا جارية اسقيني ماء فأخرجت إليه كوزاً فشرب فأراد أن يمازحها ويستدعي كلامها فقال يا جارية ما أحر ماءك فقلت لو شئت لأقبلت على عيوب شعرك وتركت حر مائي وبرده فقال لها وأي شعري له عيب ألست ذا الرمة قال بلى قالت:

فأنت الذي شبهت عنزاً بقفزة	لها ذنب فوق استها أم سالم
جعلت لها قرنين فوق جبينها	وطبسين مسودين مثل المحاجم
وساقين إن يستمكنا منك يتركا	بجلدك يا غيلان مثل المآثم
أيا ظبية الوعساء بين جلاجل	وبين النقا أأنت أم أم سالم

قال نشدتك بالله إلا أخذت راحلتي وما عليها و لم تظهري هذا ونزل راحلته فدفعها إليها فذهب ليمضي فدفعتها إليه وضمنت له ألا تذكر لأحد ما جرى. قال زهير بن حسن مولى الربيع بن يونس قد الحجاج على الوليد بن عبد الملك فصلى عنده ركعتين وركب الوليد فمشى الحجاج بين يديه فقال له الوليد اركب يا أبا محمد فقال يا أمير المؤمنين دعني أستكثر من الجهاد فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عن الجهاد زمناً طويلاً فعزم عليه الوليد أن يركب ودخل فركب مع الوليد فبينا هو يتحدث ويقول ما فعلت بأهل العراق وفعلت أقبلت جارية فنادت الوليد ثم انصرفت فقال الوليد يا أبا محمد أتدري ما قالت الجارية قال لا قال قالت أرسلتني إليك أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن مجالستك هذا الأعرابي وهو في سلاحه وأنت في غلاله غرر فأرسلت إليها أنه الحجاج بن يوسف فراعها ذلك وقالت والله لأن يخلو بن ملك الموت أحب إليّ من أن يخلو بك الحجاج وقد قتل أحباء الله له وأهل طاعته ظلماً وعدواناً فقال الحجاج يا أمير المؤمنين إنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة لا تطلعهن على سرك ولا تستعملهن بأكثر من وثبهن ولا تكثرن مجالستهن صغاراً وذلائم ثم نهض فخرج ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالته فقالت إني أحب أن تأمره بالتسليم علي فسيبلغك بالذي يكون بيني وبينه فغدا الحجاج على الوليد فقال الوليد ائت أم البنين فقال اعفني يا أمير المؤمنين قال فلتفعلن فأتاها فحجبته طويلاً ثم أذنت له ثم قالت له يا حجاج أنت تفتخر على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث أما والله لولا أن الله علم أنك أهون خلقه عليه ما ابتلاك بقتل ابن ذات النطاقين ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن الأشعث

فلعمري لقد استعلى عليك حتى عجعجت ووالى عليك الهرار حتى عويت فلولا أن أمير المؤمنين نادى في أهل اليمن وأنت في أضيق من القرن فأظلتك رماحهم وعلاك كفاحهم لكنت مأسوراً قد أخذ الذي فيه عيناك وعلى هذا فإن نساء أمير المؤمنين قد نفضن العطر عن غدائرهن وبعنه في أعطية أوليائه وإماماً أشرت على أمير المؤمنين من قطع لذاته وبلوغ أوطاره من نسائه فإن يكن إنما ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فغير مجيبك إلى ذلك وإن كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به أمك البظراء عنك من ضعف الغريزية وقبح المنظر في الخلق والخلق يالكع فما أحقه أن يقتدي بقولك قاتل الله الذي يقول:

أسد علي وفي الحروب نعامة　　فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الوغا　　أو قد كان قلبك في جناحي طائر

ثم أمرت جارية لها فأخرجته فلما دخل على الوليد قال ما كنت فيه يا أبا محمد فقال والله يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحب إلى من ظهرها قال إنها بنت عبد العزيز. قال ابن السكيت عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الحج فخرجت إليه جارية شاعرة فبكت لما رأت آلة السفر فقال محمد بن عبد الله:

دمعة كاللؤلؤ الرط　　ب على الخد الأسيل

هطلت في ساعة البي　　ن من الطرف الكحيل

ثم قال أجيزي فقالت:

حين هم القمر البا　　هر بالأفول

إنما يفتح العش　　اق في وقت الرحيل

قال أيوب الوزان قال المفضل دخلت على الرشيد وبيد يديه طبق ورد وعنده جارية مليحة شاعرة أديبة قد أهديت إليه فقال يا مفضل قل في هذا الورد شيئاً تشبهها به فأنشأت أقول:

كأنه خد مرقوق بقلبه　　فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

فقالت الجارية

كأنه لون خدي حين يدفعني　　كف الرشيد لأمر يوجب الغسلا

فقال يا مفضل قم فاخرج فإن هذه الماجنة قد هيجتنا فقمت وأرخيت الستور. قال الأصمعي لما قدم الرشيد البصرة يريد الخروج إلى مكة فخرجت معه فلما صرنا بضرية إذا أنا على شفير الوادي بصبية قدامها قصعة لها وإذا هي تقول:

طحنتنا طواحن العوام ورمتنا نوائب الأيام

فأتينا كمو لمذ أكفا لفضالات زادكم والطعام

فاطلبوا الأجر والمثوبة فينا أيها الزائرون بيت الحرام

من رآني فقد رآني ورحلي فارحموا غربتي وذل مقامي

قال فرجعت إلى أمير المؤمنين فقلت صبية على شفير الوادي وأنشدته ما قالت فعجب فقلت يا أمير المؤمنين أفآتيك بها قال لا بل نحن نذهب إليها قال الأصمعي فوق فعليها أمير المؤمنين فقلت لها أنشديه ما كنت تقولينه فأنشدته و لم تهبه فقال يا مسرور املأ قصعتها دنانير قال فملأها حتى فاضت يميناً وشمالاً.

حدثنا ابن الشيظمي قال حججت في سنة قحطة جدبة فبينا أنا أطوف بالكعبة إذ أبصرت جارية من أحسن الناس قداً وقواماً وخلقاً وهي متعلقة بأستار الكعبة تقول إلهي وسيدي ها أنا أمتك الغريبة وسائلتك الفقيرة حيث لا يخفي عليك بكائي ولا يستتر عنك سوء حالي قد هتكت الحاجة حجابي وكشفت الفاقة نقابي فكشفت وجهاً رقيقاً عند الذل وذليلاً عند المسألة طال وعزتك ما حجبه عنه ماء الغنا وصانه ماء الحياء قد جمدت عني كف المرزوقين وضاقت بي صدود المخلوقين فمن حرمني لم أمله ومن وصلني وكلته إلى مكافأتك ورحمتك وأنت أرحم الراحمين قال فدنوت منها فبررتها ثم قلت لها من أنت وممن أنت فقالت إليك عني من قل ما له وذهب رجاله كيف يكون حاله ثم أنشأت تقول:

بعض بنات الرجال أبرزها الدهر لما قد ترى وأخرجها

أبرزها من جليل نعمتها فابتزها ملكها وأحوجها

وطالما كانت العيون إذا ما خرجت تستشف هودجها

إن كان قد ساءها وأحز نها فطالما سرها وأبهجها

الحمد لله رب معسرة قد ضمن الله أن يفرجها

قال فسألت عنها فأخبرت أنها من ولد الحسين بن علي رضوان الله عليهم أجمعين. بلغنا أن كثير عزة لقي جميلاً فقال له متى عهدك ببثينة قال ما لي بها عهد منذ عام أول وهي تغسل ثوباً بوادي الدوم فقال له كثير تحب أن أعهدها لك الليلة قال نعم فأقبل راجعاً إلى بثينة فقال له أبوها يا فلان ما ردك أما كنت عندنا قبيل قال بلى ولكن حضرتني أبيات قلتها في عزة قال وما هي قلت:

فقلت لها يا عز أرسل صاحبي على باب داري والرسول موكل

أما تذكرين العهد يوم لقيتكم بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فقالت بثينة اخسأ فقال أبوها ما هاجك يا بثينة قالت كلب لا يزال يأتينا من وراء الجبل بالليل وأنصاف النهار قال فرجع إليه فقال قد وعدتك من وراء هذا الجبل بالليل وأنصاف النهار فالقها إذا شئت. قال مؤلف الكتاب قلت ومن هذا الفن حكي أن أعرابياً بعث غلاماً له إلى امرأة يواعدها موضعاً يأتيها فيه فذهب لغلام وأبلغها الرسالة فكرهت المرأة أن تقر للغلام بما بينهما فقالت والله لئن أخذتك لأعركن أذنك عركة تبكي منها وتستند إلى تلك الشجرة ويغشى عليك إلى وقت العتمة فلم يعرف الغلام معنى هذا الكلام وانصرف إلى صاحبه وحكى له فعلم أنها واعدته تحت الشجرة وقت العتمة قال الصولي سمعت المبرد يقول كنا عند المازني فجاءته أعرابية كانت تغشاه ويهب لها فقالت أنعم الله صاحبك أبا عثمان هل بالرمال أوشال فقال لها يجيء الله بها فقالت:

تعلمن أني والذي حج القوم لولا خيال طارق عند النوم

والشوق من ذكراك ما جئت اليوم

فقال المازني قاتلها الله ما أفطنها جاءتني مستمنحة فلما رأت أن لا شيء جعلت المجيء زيارة تمن علينا بها.
قال إسماعيل بن حمادة بن أبي حنيفة ما ورد علي مثل امرأة تقدمت فقالت أيها القاضي ابن عمي زوجني من هذا و لم أعلم فلما علمت رددت فقلت لها ومتى قالت وقت ما علمت قلت متى علمت قالت وقت ما رددت فما رأيت مثلها قال حدثنا علي ابن القاسم القاضي قال سمعت أبي يقول كان موسى بن إسحاق لا يرى متبسماً قط فقالت له امرأة أيها القاضي لا يحل أن تحكم بين اثنين وأنت غضبان قال و لم قالت لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان فتبسم.
عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال سليمان بن عبد الملك يوماً والشعراء عند قد قلت نصف بيت فأجيزوه.
قال: يروح إذا راحوا ويغدوا إذا غدوا، فلم يصنعوا شيئاً، فدخل إلى جارية له فأخبرها فقالت كيف قلت فأنشدها فقالت: وعما قليل لا يروح ولا يغدو.

قال الأصمعي كنت عند أمير المؤمنين الرشيد إذ دخل رجل ومعه جارية للبيع فتأملها الرشيد ثم قال خذ جاريتك فلولا كلف في وجهها وخنس في أنفها لاشتريتها فانطلق بها فلما بلغت الستر قالت يا أمير المؤمنين ارددني إليك أنشدك بيتين حضراني فردها فأنشأت تقول:

ما سلم الظبي على حسنه كلا ولا البدر الذي يوصف

الظبي فيه خنس بين والبدر فيه كلف يعرف

فأعجبته بلاغتها فاشتراها وقرب مترلها وكانت أحظى جواريه عنده.

قال الجاحظ رأيت بالعسكر امرأة طويلة القامة جداً ونحن على طعام فأردت أن أمازحها فقلت انزلي حتى تأكلي معنا قالت وأنت فاصعد حتى ترى الدنيا قال الجاحظ أيضاً رأيت امرأة جميلة فقلت ما اسمك قالت مكة فقلت أتأذنين لي أن أقبل الحجر الأسود منك قالت لا إلا بالزاد والراحلة قال مؤلف الكتاب وقد رويت لنا هذه الحكاية على وجه آخر قال الجاحظ رأيت جارية بسوق النخاسين ببغداد ينادي عليها وعلى خدها خال فدعوت بها وجعلت أقلبها فقلت لها ما اسمك قالت مكة فقلت الله أكبر قرب الحج أتأذنين أقبل الحجر الأسود قالت له إليك عني ألم تسمع قول الله تعالى لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس.

قال الأصمعي أتي المنصور بسارق فأمر بقطع يده، فانشأ يقول:

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها بحقويك من عار عليها يشينها

فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها إذا ما شمال فارقتها يمينها

فقال يا غلام اقطع هذا حد من حدود الله وحق من حقوقه لا سبيل إلى تعطيله قالت أم الغلام واحدي وكادي وكاسبي قال بئس الواحد واحدك وبئس الكاد كادك وبئس الكاسب كاسبك يا غلام اقطع فقالت أم السارق يا أمير المؤمنين أما لك ذنوب تستغفر الله منها قال بلى قالت هبه لي واجعل هذا من ذنوبك التي تستغفر الله منها. وقد رويت لنا هذه الحكاية عن عبد الملك بن مروان فإنه أتى بسارق وثبتت عليه البينة فانشد هذا الشعر وقالت أمه هذا الكلام فقال خلواً سبيله أنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي:

وسائلة عن ركب حسان كلهم ليبلغ حسان بن زيد سؤالها

قال وهي تحب حسان فكرهت أن تخصه فسألت عن الركب جميعاً حتى صارت إليه قال هارون بن عبد الملك بن المأمون لما عرضت الخيزران على المهدي قال لها والله يا جارية إنك لعلى غاية المتمني ولكنك خمشة الساقين فقالت يا أمير المؤمنين إنك أحوج ما يكون إليهما لا تراهما فقال اشتروها فحظيت عنده فأولدها موسى وهارون وحكى أبو بكر الصولي أن المهدي اشترى جارية فاشتد شغفه بها وكانت به أشغف وكانت تتجافاه كثير فدس إليها من عرف ما في نفسها فقالت أخاف أن يملني ويدعني فأموت فأنا أمنع نفسي بعض لذتها منه لأعيش فقال المهدي:

ظفرت بالقلب مني غادة مثل الهلال

كلما صح لها ود ي جاءت باعتلال

لا تحب الهجر مني والتنائي عن وصالي

بل لمأمنها على حبي لها خوف الملال

قال أبو نواس استقبلتني امرأة فأسفرت عن وجهها فكانت على غاية الحسن فقالت ما اسمك قلت وجهك فقالت أنت الحسن إذن. حدثنا رجل من تغلب قال كان فينا رجل له ابنة شابة وكان له ابن أخ يهواها وهمواه فمكثا كذلك دهراً ثم إن الجارية خطبها بعض الأشراف فأرغب في المهر فأنعم أبو الجارية واجتمع القوم للخطبة فقالت الجارية لأمها يا أماه ما يمنع أن يزوجني من ابن عمي قالت أمر كان مقضياً قالت والله ما أحسن رباه صغيراً ثم تدعوه كبيراً ثم قالت لها يا أماه إني والله حامل فاكتمي إن شئت أو نوحي فأرسلت الأم إلى الأب فأخبرته الخبر فقال اكتمي هذا الأمر ثم خرج إلى القوم فقال يا هؤلاء إني كنت أجبتكم وأنه قد حدث أمر رجوت أن يكون فيه الأجر وأنا أشهدكم أني قد زوجت ابنتي فلانة من ابن أخي فلان فلما انقضى ذلك قال الشيخ أدخلوها عليه فقالت الجارية هي بالرحمن كافرة إن دخل عليها من سنة أو تبين حملها قال فما دخل عليها إلا بعد حول فعلم أبوها أنها احتالت عليه.

قال الصولي قال العتبي رأيت امرأة أعجبتني صورتها فقلت ألك بعل قالت لا قلت أفترغبين في التزويج قالت نعم ولكن لي خصلة أظنك لا ترضاها قلت وما هي قالت بياض برأسي قال فثنين عنان فرسي وسرت قليلاً فنادتني أقسمت عليك لتقفن ثم أتت موضع خالٍ فكشفت عن شعر كأنه العناقيد السوناي فقلت والله ما بلغت العشرين ولكنني عرفتك أنا نكره منك ما تكره منا قال فخجلت وسرت وأنا أقول:

فجعلت أطلب وصلها بتملق والشيب يغمزها بأن لا تفعلي

حدثنا العتبي قال قال رجل من ولد علي عليه السلام لامرأة أمرك بيدك ثم ندم فقالت أما والله لقد كان بيدك عشرين سنة فأحسنت حفظه وصحبه فلن أضيعه إذا كان بيدي ساعة من نهار وقد رددته إليك فأعجب بذلك من قولها وأمسكها. قال أراد شعيب أن يتزوج امرأة فقال لها إني سيء الخلق فقالت أسوأ منك خلقاً من أحوجك أن تكون سيئاً قال أنت امرأتي قال سمعت الفضل بن إبراهيم يقول مر شاعر بنسوة فأعجبه شانهن فجعل يقول:

إن النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

قال فأجابته واحدة منهن وجعلت تقول:

إن النساء رياحين خلقن لكم وكلكم يشتهي شم الرياحين

قال أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي كان لرجل من الأعراب ابنة وكان له غلام فراودها عن نفسها فوعدته الليل وأعدت له شفرة حدتها فلما جاءها للميعاد فجبته فخرج يعوي فسمعه مولاه فقال من فعل

بك، قال ابنتك فدخل عليها ما صنعت بهذا الغلام فقالت يا أبت إن العبد من نوكه يشرب من سقاء لم يوكه ومن ورد غير مائه صدر بمثل دائه فقال لها شللاً.

قال الشرقي بن فطامي كان شن من دهاة العرب فقال والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلي فأتزوجها فسار حتى لقي رجلاً يريد قرية يريدها شن فصحبه فلما انطلقا قال له شن أتحملني أم أحملك فقال الرجل يا جاهل كيف يحمل الراكب الراكب فسارا حتى رأيا زرعاً قد استحصد فقال شن: أترى هذا الزرع قد أكل أم لا فقال يا جاهل أما تراه قائماً فمرا بجنازة فقال أترى صاحبها حياً أو ميتاً فقال ما رأيت أجهل منك أتراهم حملوا إلى القبور حياً ثم سار به الرجل إلى مترله وكانت له ابنة تسمى طبقة فقص عليها القصة فقالت أما قوله أتحملني أم أحملك فأراد تحدثني أم أحدثك حتى تقطع طريقنا وأما قوله أترى هذا الزرع قد أكل أم لا فأراد باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا وأما قوله في الميت فإنه أراد اترك عقبا يحيا به ذكره أم لا فخرج الرجل فحادثه ثم أخبره بقول ابنته فخطبها إليه فزوجه إياها فحملها إلى أهله فلما عرفوا عقلها ودهاءها قالوا وافق شن طبقة.

قال حدثني أبو محمد بن داسته أن رجلاً اعترض جارية في الطريق فقال لها أبيدك صنعة قالت لا ولكن برجلي تعني أنها رقاصة. قال المحسن وحدثني أنه سمع امرأة تخاصمت مع زوجها فقالت له طلقني فقال لها أنت حبلى حتى إذا ولدت طلقتك قالت ما عليك منه قال فإيش تعملين به قالت اقعده على باب الجنة فقاعي فقلت لعجوز كانت تتوسط بينهما إيش معنى هذا قالت تريد أنها تشرب ماء السداب وتتحمل سداباً عليه أدوية لتسقط فيلحق الصبي بالجنة فيكون كالفقاعي.

قال أبو بكر ابن الأزهر حدثني بعض إخواني أن رجلاً كان بالأهواز وكان له ثروة ونعمة وأهل فسار إلى البصرة مرة فتزوج بها فكان يأتي تلك المرأة في السنة مرة أو مرتين وكان للبصرية عم يكاتبه فوقع كتاب منه في يد الأهوازية فعملت الحال فكتبت إليه من حمية البصري بأن امرأتك قد ماتت فالحق فقرأه ثم أخذ في إصلاح أمره ليخرج فقالت الأهوازية إني أراك مشغول القلب وأظن أن لك بالبصرة امرأة، فقال: معاذ الله فقالت لا أقنع بقولك دون يمينك فتحلف بطلاق كل امرأة لك غائبة أو حاضرة فحلف لها ظناً أن تلك قد ماتت فقالت له لا حاجة لك في الخروج فإن تلك بانت وهي في الحياة.

قال علي بن الجهم اشتريت جارية فقلت لها ما أحسبك إلا بكراً فقالت يا سيدي كثرت الفتوح في زمان الواثق وقلت لها ليلة كم بيننا وبين الصبح قالت عناق مشتاق، ونظرت إلى الشمس كاسفة فقالت احتشمت محاسني فانتقبت وقلت لها ليلة نجعل مجلسنا الليلة في القمر فقالت ما أولئك بالجمع بين الضرائر وكانت تكره الحلي وتقول تستر المحاسن كما تغطي القبائح. عرض على المتوكل جارية فقال لها أبكراً

أنت أم إيش فقالت أم إيش يا أمير المؤمنين فضحك وابتاعها.

وضع المعتضد رأسه في حجر بعض جواريه فجعلت تحت رأسه مخدة ونهضت فلما انتبه قال لم فعلت ذاك وأكبره فقالت كذا علمنا أن لا يقعد قاعد بحضرة من ينام ولا ينام بحضرة قاعد فاستحسن المعتضد ذلك منها واستعقلها. بلغنا عن غريب وكان يقال إنها ابنة جعفر بن يحيى البرمكي وكانت مغنية ذكية شاعرة اشتراها المعتصم بمائة ألف وأعتقها فكتبت إلى بعض الناس أردت ولولا ولعلي، فكتبت تحن أردت ليت وتحت لولا ماذا وتحت لعلي أرجو فمضت إليه قال أبو الحسن بن هلال الصابي حدثنا أبو محمد الحارثي قال كان عندنا بواسط رجل موسر يقال له أبو محمد وكانت عنده مغنية تغني: خليلي هيا نصطبح بسواد فقال لها بالله غني لي: خليلي هيا نصطبح بسهاد، فقالت له إذا عزمت فوجدك.

وقال أبو حنيفة خدعتني امرأة أشارت إلى كيس مطروح في الطريق فتوهمت أنه لها فحملته إليها فقالت احتفظ به حتى يجيء صاحبه. لما قتل كمري وزيره بزر جمهر أراد أن يتزوج ابنته فقالت للثقات لو كان ملككم حازماً لما دخل بين شعاره ودثار مأثوره قال رجل لجارية أراد شراءها لا يريبك هذا الشيب الذي ترينه فإن عندي قرة عين فقالت الجارية أيسرك إن عندك عجوزاً مغتلمة. قال ابن المبارك بن أحمد خرج رجل على سبيل الفرجة فقعد على الجسر فأقبلت امرأة من جانب الرصافة متوجهة إلى الجانب الغربي فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله علي بن الجهم فقالت المرأة في الحال رحم الله أبا العلاء المعري وما وقفا ومرا مشرقة ومغرباً فتبعت المرأة وقلت لها إن لم تقولي ما قلتما وإلا فضحتك وتعلقت بك فقالت قال لي الشاب رحم الله علي ابن الجهم أراد به قوله:

عيون المها بين الرصافة والجسر   جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت أنا بتر حمي على المعري قوله:

فيا دارها بالحزن مزارها   قريب ولكن دون ذلك أهوال

قال ابن الزبير لامرأة من الخوارج أخرجي المال من تحت استك، قال فالتفتت إلى من بحضرتها وقالت أنشدكم الله أهذا من كلام الخلفاء، قالوا لا قالت لابن الزبير كيف ترى هذا الخلع الخفي. قال المتنبي قال لي رجل من الهاشميين كتبت إلى امرأتي وأنا في السفر كتاباً تمثلت فيه ببيت لك:

بن التعلل لا أهل ولا وطن   ولا نديم ولا كأس ولا سكن

فكتبت إليّ والله ما أنت كما ذكرته في هذا البيت بل أنت كما قال الشاعر:

سهرت بعد رحيلي ووحشة لكم   ثم استمر مريري وارعوى الوسن

ونقلت من خط الشيخ أبي الوفاء بن عقيل قال كان بعض قضاة الحنيفة من مذهبه، أنه إذا ارتاب بالشهود فرقهم فشهد عنده رجل وامرأتان فيما يشهد فيه النساء فأراد أن يفرق بين المرأتين على عادته فقالت إحداهما أخطأت لأن الله تعالى قال فتذكر إحداهما الأخرى فإذا فرقت زال المعنى الذي قصده الشرع فأمسك. ذكر أن رجلاً دعا المبرد بالبصرة مع جماعة فغنت جارية من وراء الستار وأنشأت تقول:

وقالوا لها هذا حبيبك معرضاً ... فقالت إلا إعراضه أيسر الخطب

فما هي إلا نظرة بتبسم ... فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

فطرب كل من حضر إلا المبرد فقال له صاحب المجلس كنت أحق الناس بالطرب فقالت الجارية: دعه يا مولاي فإنه سمعني أقول هذا حبيبك معرضاً فظنني لحنت و لم يعلم أن ابن مسعود قرأ وهذا بعلي شيخاً قال فطرب المبرد إلى أن شق ثوبه.

قال بعضهم حضرت رفيقتين وكانت إحداهما تعبث بكل من تقدر عليه والأخرى ساكتة فقلت للساكتة رفيقتك هذه ما تستقر مع واحد فقالت نعم وهي تقول بالسنة والجماعة وأنا أقول بإثبات القدر. غضب المأمون يوماً على عبد الله بن طاهر فأراد طاهر أن يقصده فورد عليه كتاب من صديق له مقصور على السلام وفي حاشيته يا موسى فجعل يتأمله ولا يعلم معنى ذلك فقالت له جارية وكانت فطنة أراد يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فتيقظ عن قصد المأمون.

عرض على رجل جاريتان بكر وثيب فمال إلى البكر، فقالت الثيب لم رغبت فيها وما بيني وبينها إلا يوم، فقالت البكر وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون فأعجبتاه فاشتراهما.

قال خاصمت امرأة زوجها في تضييقه عليها وعلى نفسه فقالت والله ما يقيم الفأر في بيتك إلا لحب الوطن وإلا فهو يسترزق من بيوت الجيران. قال الجاحظ قلت لجارية ببغداد أبكر أنت نعوذ بالله من الكساد يعني الثيوبة. جاءت دلالة إلى قوم فقالت عقدي زوج يكتب بالحديد ويختم بالزجاج فرضوا به وزوجوه فإذا هو حجام. قالت دلالة لرجل عندي امرأة كأنها طاقة نرجس فتزوجها فإذا هي عجوز قبيحة فقال كذبت عليّ وغششتيني فقالت لا والله ما فعلت إنما شبهتها بطاقة نرجس لأن شعرها أبيض ووجهها أصفر وساقها أخضر. أعطت امرأة جاريتها درهماً وقالت اشتري هريسة فرجعت فقالت يا سيدتي سقط الدرهم مني فضاع فقالت يا فاعلة تكلميني بفمك كله وتقولين ذهب الدرهم فأمسكت الجارية نصف فمها بيدها وقالت بالنصف الآخر وانكسرت يا سيدتي الزبدية كان رجل يقف تحت روشن امرأة وهي تكره وقوفه قالت فجاء في بعض الأيام وعليه قميص ديبقي قد غسله عند المطري

وسقاه نشا وتحته قميص رومي قالت وكان للناس أترج سوسي في الأترجة ثلاثون رطلاً فأخرجت بطيخة وأشارت إليه تعال خذ هذه فجاء فوقف تحت الروشن فقالت أمسك حجرك صلباً حتى لا يقع فتنكسر فلزم حجره فأخرجت البطيخة كأنها ترمي بها وأخذت أترجة فرصت بها في حجره فلم يردها شيء سوى الأرض فجمعه وهرب مستحياً وما عاد بعدها. بكت عجوز على ميت فقيل لها بماذا استحق هذا منك فقالت جاورنا وما فينا إلا من تجب عليه الزكاة. كانت جارية لبعض الأكابر وكانت عفيفة إلا أنها كانت تفحش في مجونها فقال لها مولاها اقصري من هذا الفحش بمحضر من الرجال فقالت أفحش منه عندهم أخذك دراهمهم بسببي وقال لها بعض الحاضرين وكان شيخاً:

يا أحسن الناس وجهاً — مني علي بقبلة

فأجاب مسرعة:

يا أسمج الناس وجهاً — وأسخن الناس مقله
إذا سمحت لما رم — ته فأني بذله
وكيف يوجد بين الح — مار والخشف وصله
فلا تطف بالغواني — فما يردنك خمله
وكل شيخ تصابى — على الصبايا فأبله

قال رجل لجارية أراد شراءها فسألها عن ثمنها فقال يا جارية كم دفعوا فيك فقالت وما يعلم جنود ربك إلا هو قال حدثني أبو القاسم عبد الله بن محمد الكاتب قال: حدثني بعض الأشراف بالكوفة أنه كان بها رجل حسني يعرف بالأدرع شديد القلب جداً قال وكان في خرائب الكوفة شيء يظهر للمجتازين فيه نار يطول تارة ويقصر أخرى يقولون هو غولة يفزع منه الناس فخرج الأدرع ليلة راكباً في بعض شأنه قال لي الدرع فاعترض لي السواد والنار فطال الشخص في وجهي فأنكرته ثم رجعت إلى نفسي فقلت أما شيطان وغولة فهوس وليس إلا إنساناً فذكرت الله تعالى وصليت على نبيه صلى الله عليه وسلم وجمعت عنان الفرس وقرعته بالمقرعة وطرحته على الشخص فازداد طوله وعظم الضوء فيه فنفر الفرس، فقرعته فطرح نفسه عليه فقصر الشخص حتى عاد على قدر قامة فلما كاد الفرس يخالطه ولى هارباً فحركت خلفه فانتهى إلى خربة فدخلها فدخلت خلفه فإذا هو قد نزل سرداباً فيها فترلت عن فرسي وشددته ونزلت وسيفي مجرد فحين حصلت في السرداب أحسست بحركة الشخص يريد الفرار مني فطرحت نفسي عليه فوقعت يدي على بدن إنسان فقبضت عليه فأخرجته فإذا هي جارية سوداء فقلت أي شيء

أنت وإلا قتلتك الساعة قالت قبل كل شيء أنت إنسي أم جني فما رأيت أقوى قلباً منك قط فقلت أي شيء أنت قالت أمة لآل فلان قوم بالكوفة أبقت منهم سنين فتغربت في هذه الخربة فولد لي الفكر أن أحتال بهذه الحيلة وأوهم الناس أني غولة حتى لا يقرب الموضع أحد وأتعرض ليلاً للأحداث وربما رمى أحدهم منديلاً أو إزاراً فآخذه فأبيعه نهاراً وأقتات به أياماً، قلت فما هذا الشخص الذي يطول ويقصر والنار التي تظهر، قالت كساء معي طويل أسود فأخرجته من السرداب وقضبان مهندية أدخل بعضها في بعض في الكساء وارفعه فيطول فإذا أردت تقصيره رفعت من الأنابيب واحدة واحدة فيقصر والنار فتيلة شمع معي في يدي لا أخرج إلا رأسها مقدار ما يضيء الكساء وأرتني الشمعة والكساء والأنابيب ثم قالت قد جازت هذه الحيلة نيفاً وعشرين سنة واعترضت فرسان الكوفة وشجعانها وكل واحد وكل أحد فما أقدم أحد علي غيرك ولا رأيت أشد قلباً منك فحملها الأدرع إلى الكوفة فردها إلى مواليها فكانت تحدث بهذا الحديث ولم ير بعد ذلك أثر غولة فعلم أن الحديث حق.

قال أبو حامد الخراساني القاضي بنى ابن عبد السلام الهاشمي بالبصرة داراً كبيرة ولم يتم له تربيعها إلا بسكن لطيف كان لعجوز في جواره امتنعت من بيعه فبذل لها أضعاف ثمنه فأقامت على الامتناع فشكا إليّ ذلك فقلت هذا أيسر الأمر أنا أوجب عليها بيعة فاضطرها إلى أن تسألك وزن الثمن ثم استدعيتها فقلت يا هذه إن قيمة دارك دون ما دفع لك وقد ضاعفها أضعافاً فإن لم تقبليه حجزن عليك لأن هذا تضييع منك فقالت جعلت فداك فهلا كان هذا الحجر منك على من يزن فيما يساوي درهماً عشرة وتركت منزلي فما أختار بيعه فانقطعت في يدها قال نزل رجل من أهل الحجاز مللاً فسأل أي ماء هذا فقيل له ملل وإذا بين يديه صبية سوداء تلفظ العجم تريد النوي فقال قاتل الله الذي يقول:

أخذت على ما الشعيرة والهوى   على ملل يا لهف قلبي على ملل

أي بأبي إنه والله كان له بها شجن لم يكن لك فإن المبرد كان يسار الكواعب عبد الإناس من بني الحرث بن سعد بن قُضاعة وكان راعياً في أبلهم فبعث ببعض نسائهم وكان أسود فخدعته امرأة منهم وأرته إنها قد قبلته وواعدته ليوم فعلم به بعض أصحابه من الرعاة فنهاه عنها وقال له يا يسار كل من لحم الجوار واشرب من لبن العشاء ودع عنك بنات الأحرار فقال له يسار إني إذا جئتها زحكت أراد ضحكت ولاعبتني. فأتاها في اليوم الذي واعدته فيه فقالت مكانك حتى أطيبك فعمدت إليه فجدعت أنفه وأذنه فرجع إلى صاحبه الذي كان نهاه فأنكره فقال من أنت ويلك قال يسار قال فيسار كان لا أنف له ولا أذنين قال أفما ترى ويحك وبيض العينين، فذهبت مثلاً وسمي يسار الكواعب ممن ذكره جرير حين تزوج الفرزدق إحدى بني نساء شيبان وزاد في مهرها فعيره جرير بذلك فقال:

وإني لأخشى إن خطبت اليهمو 		عليك الذي لاقى يسار الكواعب

قال ابن قتيبة جاءتني جارية بهدية فقلت لها قد علم مولاك إني لا أقبل الهدية قالت و لم قلت أخشى أن يستمد مني علماً لأجل هديته فقالت ما استمد الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر وقد كان يقبل الهدية فقبلتها فكانت الجارية أفقه مني.

قال وبلغنا أن رجلاً ابتلى بمحبة امرأة فأتى أبا حنيفة فأخبره أن ماله قليل وأنهم إن علموا بذلك لم يزوجوه فقال له أبو حنيفة أتبيعني أحيلك باثني عشر ألف درهم قال لا قال فأخبر القوم إني أعرفك فمضى فخطبها فقالوا من يعرفك فقال أبو حنيفة فسألوا أبا حنيفة عنه فقال ما أعرفه إلا أنه حضر عندي يوماً فسووم في سلعة له باثني عشر ألف درهم فلم يبع فقالوا هذا يدل على أنه ذو مال فزوجوه فلما تيقنت المرأة حاله قالت لا يضيق صدرك وهذا مالي بحكمك ثم مضت إلى أبي حنيفة في حليها وحللها فقالت: فتوى، فدخلت فأسفرت عن وجهها فقال تستري فقالت ما يمكن قد وقعت في أمر لا يخلصني منه ألا أنت أنا بنت هذا البقال الذي على رأس الدرب وقد بلغت عمراً واحتجت إلى الزوج وهو لا يزوجني ويقول لمن يخطبني ابنتي عوراء قرعاء شلاء ثم حسرت عن وجهها ورأسها ويديها ويقول بنتي زمنة وكشفت عن ساقيها وأريد أن تدبرني فقال ترضين أن تكوني لي زوجة فقبلت قدميه وقالت من لي بغلامك فقال امضي في دعة الله فخرجت فأحضر البقال ودفع إليه خمسين ديناراً وقال زوجني ابنتك فكتب كتاباً بمائة دينار فقال البقال يا سيدي استر ما ستر الله أنا لي بنت أزوجك قال دع هذا عنك رضيت بابنتك القرعاء الشلاء الزمنة فزوجه على المائة والخمسين ومضى فحدث زوجته فقالت والله لا كان إلا يكون هذا إلا على يد أبي حنيفة فلما كان عشية تلك الليلة أجلسها أبوها في صن وحملها بينه وبين غلامه فلما رآها أبو حنيفة قال ما هذا فقال البقال اشهد على طلاق أمها إن كانت بنت غيرها فقال أبو حنيفة هي طالق ثلاثاً أعد على الكتاب وأنت في حل من الخمسين وبقي أبو حنيفة متفكر أشهراً ثم جاءت تلك المرأة إليه فقال ما حملك على ما فعلت فقالت وأنت ما حملك على أن غررتنا برجل فقير.

قال أبو الحسن البيبي مؤذن المسترشد بالله قال حدثني بعض التجار المسافرين قال كنا نجتمع من بلاد شتى في جامع عمرو بن العاص نتحدث، فبينما نحن جلوس يوماً نتحدث وإذا بامرأة بقربنا في أصل سارية فقال لها رجل من التجار من البغداديين ما شأنك فقالت أنا امرأة وحيدة غاب عني زوجي منذ عشر سنين و لم أسمع له خبراً فقصدت القاضي ليزوجني فامتنع وما ترك لي زوجي نفقة وأريد رجلاً غريباً

يشهد لي هو وأصحابه أن زوجي مات أو طلقني لأتزوج أو يقول أنا زوجها ويطلقني عند القاضي لأصبر مدة العدة وأتزوج فقال لها الرجل تعطيني ديناراً حتى أصير معك إلى القاضي وأذكر له إني زوجك وأطلقك فبكت وقالت والله ما أملك غير هذه وأخرجت أربع رباعيات فأخذها منها ومضى معها إلى القاضي وأبطأ علينا فلما كان من الغد لقيناه فقلنا ما أبطأك فقال دعوني فإني حصلت في أمر ذكره فضيحة قلنا أخبرنا قال حضرت معها إلى القاضي فادعت علي الزوجية والغيبة عشر سنين وسألت أن أخلي سبيلها فصدقتها على ذلك، فقال لها القاضي أتبرئينه قالت لا والله لي عليه صداق ونفقة عشر سنين وأنا أحق بذلك فقال لي القاضي أديها حقها ولك الخيار في طلاقها أو إمساكها فورد على ما بلسني و لم أتجاسر أن أحكي صورتي معها فلا أصدق فتقدم القاضي بتسليمي إلى صاحب الشرطة فاستقر الأمر على عشرة دنانير أخذها مني وغرمت للوكلاء وأعوان القاضي الأربع رباعيات التي أعطتني ومثلها من عندي فضحكنا منه فخجل وخرج من مصر فلم يعرف له خبر.

قال ونقل من خط الشيخ أبي الوفاء بن عقيل قال حكي لي بعض الأصدقاء أن امرأة جلست على باب دكان بزار أعزب إلى أن أمست فلما أراد غلق الدكان تراءت له فقال لها ما هذا المساء فقالت والله مالي مكان أبيت فيه فقال لها تمضين معي إلى البيت فقالت نعم فمضى بها إلى بيته وعرض عليها التزويج فأجابت فتزوجها وبقيت عنده أياماً وإذا قد جاء في اليوم الرابع رجل ومعه نسوة فطلبوها فأدخلهم وأكرمهم وقال من أنتم منها فقالوا أقاربها ابن عم وبنات عم وقد سررنا بما سمعنا من الوصلة غير أنا نسألك أن تتركها تزورنا لعرس بعض أقاربنا فدخل إليها فقالت لا تجبهم إلى ذلك وأحلف بطلاقي إنك لا خرجت من داري شهر ليمضي زمن العرس فأنه أصلح لي ولك وإلا أخذوني وأفسدوا قلبي عليك فإني كنت غضبى وتزوجت إليك بغير مشاورتهم ولا أدري من قد دلهم إليك فخرج فحلف كما ذكرت له فخرجوا مأيوسين وأغلق الباب وخرج إلى الدكان وقد علق قلبه بالمرأة فخرجت و لم تستصحب من الدار شيئاً فجاء فلم يجدها فقال قائل ترى ما الذي قصدت قال أبو الوفاء لعلها مستحلة به لأجل زوج طلقها ثلاثاً فليتخوف الإنسان من مثل هذا وليطلع به على غوامض حيل الناس.

الباب الثاني والثلاثون

فيما ذكر عن الحيوان البهيم مما يشبه كلام الآدميين

أخبرنا أبو سعيد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في أحد جناحي الذباب داء وفي الآخر شفاء وأنه ليتقي بالذي فيه الداء فإذا وقع في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليترعه وعن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً كان يبيع الخمر في سفينة وكان يشوبه بالماء وكان معه في السفينة قرد فأخذ القرد الكيس الذي فيه الدنانير فصعد ذروة الدقل ففتح الكيس فجعل يلقي في البحر ديناراً وفي السفينة ديناراً حتى لم يبق فيه شيء قال محمد بن ناصر قدم رجل على بعض السلاطين وكان معه عامل إرمينية منصرفاً إلى مترله فمر في طريقه بمقبرة وإذا قبر عليه قبة مبنية مكتوب عليها هذا قبر الكلب فمن أحب أن يعلم خبره فليمضِ إلى قرية كذا وكذا فإن فيها من يخبره فسأل الرجل عن القرية فدلوه عليها فقصدها وسأل أهلها فدلوه على شيخ قد جاوز المائة فسأله فقال كان في هذه الناحية ملك عظيم الشأن وكان مشتهراً بالترهة والصيد والسفر وكان له كلب قد رباه لا يفارقه فخرج يوماً إلى بعض منتزهاته وقال لبعض غلمانه قل للطباخ يصلح لنا ثردة لبن فقد اشتهيتها فأصلحوها ومضى منتزهه فوجه الطباخ فجاء بلبن وصنع له ثردة عظيمة ونسي أن يغطيها بشيء واشتغل بطبخ أشياء آخر فخرج من بعض شقوق الحيطان أفعى فكرع في ذلك اللبن ومج في الثردة من سمه والكلب رابض يرى ذلك كله ولو كان في الأفعى حيلة لدفعها وكان هناك جارية طفلة خرساء زمنة قد رئت ما صنع الأفعى ووافى الملك من صيد في آخر النهار فقال يا غلمان أول ما تقدمون إلى الثردة فلما وضعت بين يديه أومأت الخرساء إليه فلم يفهم ما تقول ونبح الكلب وصلح فلم يلتفت إليه ولج في الصياح فلم يعلم مراده فأخذ ورمى إليه بما كان يرمي في كل يوم فلم يقربه ولج في الصياح فقال للغلمان نحوه عنا فإن له قصة ومد يده إلى اللبن فلما رآه الكلب يريد أن يأكل ظفر إلى وسط المائدة وأدخل فمه الغضارة وكرع من اللبن فسقط ميتاً وتناثر لحمه وبقي الملك متعجباً منه ومن فعله فأومأت الخرساء إليهم ففهموا مرادها بما صنع الكلب فقال الملك لندمائه وحاشيته أن من فداني بنفسه لحقيق بالمكافأة وما يحمله ويدفنه غيري فدفنه وبنى عليه قبة وكتب عليها ما قرأت.

قال أبو عثمان المدائني كان في جوارنا ببغداد رجل يلعب بالكلاب فاسحر يوماً في حاجة ومعه كلب كان يختص به من كلابه فرده فلم يرجع فمشى حتى انتهى إلى قوم كان بينه وبينهم عداوة فصادفوه فقبضوا عليه والكلب يراهم فخرج الكلب وقد لحقته جراحة فجاء إلى بيت صاحبه يعوي وافتقدت أم الرجل ابنها فأثبتت أن الجراح التي بالكلب من فعل من قتل ابنها وأنه قد تلف فأقامت عليه المأتم فطردت الكلاب عن بابها فلزم ذلك الكلب طلب القاتل فاجتاز القاتل وهو رابض فعرفه ونهشه وعلق به فاجتهد المجتازون في تخليصه منه فلم يمكنهم وارتفعت ضجة وجاء حارس الدرب فقال إنه لم يعلق هذا الكلب

بالرجل إلا وله معه قضية ولعله الذي جرحه وخرجت أم القتيل فرأت الكلب متعلقاً بالرجل وسمعت كلام الحارس فذكرت بأن هذا الرجل مما كان يعادي ابنها فوقع في نفسها أنه قاتله فتعلقت وادعت عليه القتل وارتفعا إلى صاحب الشرطة فحبسه بعد أن ضرب و لم يقر ولزم الكلب باب الحبس فلما كان بعد أيام أطلق الرجل فلما خرج علق به الكلب ففرق بينهما وما زال يسعى خلفه ويصيح إلى أن دخل بيته فدخل خلفه ومعه صاحب الشرطة من حيث لا يعلم فكبس الدار فأقبل الكلب بمخاليبه موضع القتيل فنبش فوجد الرجل فضرب المتهم فأقر على نفسه وعلى الباقين فقتل وصلبوا.

وحدثنا محمد بن الحسين بن شداد قال رأيت رجلاً له كلب يقربه ويغطيه بديباج كان عليه فسألته عن السبب فقال كان لي رفيق يعاشرني فخرجنا في سفر وكان في وسطي هميان فيه جملة دنانير ومعي متاع كثير فنزلنا في موضع فعمد إليّ فأوثقني كتافاً ورمى بي في وادٍ وأخذ ما كان معي ومضى وقعد هذا الكلب معي ثم تركني ومضى فما كان بأسرع من أن وافاني ومعه رغيف فطرحه بين يدي فأكلته و لم أزل أحبو إلى موضع فيه ماء فشربت منه و لم يزل الكلب معي باقي ليلتي ثم نمت ففقدته فما كان بأسرع إن وافاني ومعه رغيف فأكلته فلما كان في اليوم الثالث غاب عني فقلت يمضي ويجيئني بالرغيف فجاء ومعه الرغيف فرمى به فلم أستتم أكله إلا وابني يبكي على رأسي وقال ما تصنع ههنا وما قصتك ونزل وحل كتافي وأخرجني فقلت له من أين علمت بمكاني ومن دلك عليّ فقال كان الكلب يأتينا في كل يوم فنطرح له الرغيف على اسمه فلا يأكله وقد كان معك فأنكرنا رجوعه ولست معه وكان يحمل الرغيف بفمه ولا يذوقه ويغدو فأنكرنا أمره فاتبعته حتى وقفت عليك فهذا خبري وخبر الكلب. قال كان للحرث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم فعبث أحدهم بزوجته وأرسلها وكان للحرث كلب قد رباه فخرج الحرث في بعض منتزهاته وتخلف عنه ذلك الرجل وجاء إلى زوجته فأقام عندها فلما جامعها وثب الكلب عليهما فقتلهما فلما رجع الحرث نظر إليهما فعرف القصة وترك من كان يعاشره واتخذ كلبه نديماً فتحدث به العرب فأنشأ يقول:

فللكلب خير من خليل يخونني ... وينكح عرسي بعد وقت رحيلي

سأجعل كلبي ما حييت منادمي ... وأمنحه ودي وصفو خليلي

وقال ابن عبيدة خرج رجل من البصرة فاتبعه كلب فوثب بالرجل قوم فجرحوه ورموه في بئر وحثوا عليه التراب فلما انصرفوا أتي الكلب رأس البئر فبحث حتى ظهر رأس الرجل وفيه نفس يتردد فمر قوم فأخرجوه حياً.

قال ابن خلف وحدثني بعض أصدقائي قال: دخلت بستاناً ومعي كلبان لي قد ربيتهما فنمت فإذا هما

فانتبهت فلم أر شيئاً أنكره فعاودوا النبح فضربتهما ونمت فإذا بهما يحركاني بأيديهما وأرجلهما كما يوقظ النائم فوثبت فإذا أسود سالح قد قرب مني وثبت فقتلته فكانا سبب سلامتي.

قالت الحكماء ومن فطنة الكلب أنه إذا عاين الظباء قريبة كانت أو بعيدة عرف المعتلّ وغير المعتل والذكر من الأنثى فلم يقصد الصيد فيها إلا الذكر وإن علم أنه أشد عدواً وأبعد وثبة ويدع الأنثى على نقصان عدوها وسبب ذلك أنه قد علم أن الذكر إذا عدا شوطاً أو شوطين حقن ببوله وهكذا كل حيوان إذا اشتد فزعه فإنه يدركه الحقن وإذا حقن الذكر لم يستطع البول مع شدة العدو فيثقل حينئذ عدوه ويقصر مدى خطاه فيلحقه الكلب وإما الأنثى فإنها تحذف بولها لسعة السبيل وسهولة المخرج فتصير بذلك أدوم ومن فهم الكلب أنه إذا خرج الجليد والثلج وقد تراكم على الأرض والكلاب لا تدري حينئذ أين كناس الظبي وأين جحر الأرنب فيفر الكلب وينظر إلى أن يقف على تلك الجحرة وظنين معرفته أن أنفاس الحيوانات وبخار أجوافها يذيب ما لاقى من فم الجحر من الثلج الجامد حتى يرق وذلك خفي غامض لا يقع عليه إلا الكلب وأن الكلب إذا ظفر بشخص لم ينجه منه إلا أن يقعد بين يديه ذليلاً فحينئذ لا ينجه لأنه يراه تحت قدرته فيسمه بميسم ذل.

حدثنا أبو بكر بن الحضنة عن مؤدبه أبي طالب المعروف بابن الدلو وكان رجلاً صالحاً يسكن نهر طابق أنه كان ليلة من الليالي قاعداً ينسخ قال وكنت ضيق اليد فخرجت فأرة كبيرة فجعلت تعدو في البيت ثم خرجت أخرى وجعلا يلعبان بيد يدي طاسة فكفيتها على إحداهما فجاءت الأخرى فجعلت تدور حول الطاسة وأنا ساكت فدخلت السرب فخرجت وفي فيها دينار صحيح وتركته بين يدي فاشتغلت بالنسخ وقعدت ساعة تنتظر ثم رجعت فجاءت بدينار آخر وقعدت ساعة إلى أن جاءت بأربعة أو خمسة وقعدت زماناً أطول من كل نوبة ورجعت فأخرجت جلدة كانت فيها الدنانير وتركتها فوق الدنانير فعرفت أنه ما بقي شيء فرفعت الطاسة ففرتا فدخلتا البيت وأخذت أنا الدنانير قال محمد بن عجلان مولوي بن زياد قال دخل زياد مجلسه ذات يوم فإذا هو بهر في زاوية البيت فذهبت أزجره فقال دعه فأرى ما له ثم صلى الظهر ثم عاد إلى مجلسه ثم صلى العصر فعاد إلى مجلسه كل ذلك يلاحظ الهر فلما كان قبل غروب الشمس خرج جرذ فوثب عليه الهر فأخذه فقال زياد من كانت له حاجة فليواظب عليها مواظبة الهر فإنه يظفر بها.

قال القاسم بن أبي طالب التنوخي كنت ماضياً إلى الأنبار في رفقة بازيانية للسلطان فأطلقوا بازاً على دراج فطار فلحق الدراج فانتهى الدراج إلى غيضة فدخلها فألقى نفسه بين شوك كان فيها وأخذ من ذلك الشوك أصلين كبيرين في رجليه ونام على قفاه ورفع رجليه فاستتر بذلك من البازي فلما قرب منه

البازي طار فصاده البازي فقالوا ما رأينا دراجاً قط احذر من هذا قال المصنف والعرب تقول احذر من غراب واحذر كم عقعق واحذر من ذئب ويزعمون أن الذئب يبلغ من حذره أنه يزاوج بين عينيه إذا نام فيفتح إحداهما لتكون حارسه قال حميد بن هلال في الذئب:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي　　　بأخرى الأعادي فهو يقظان هاجع

قال العسكري هذا محال لأن النوم يأخذه جملة الحي قال مؤلف الكتاب أرادوا بذلك أن يغمض عيناً عند بداية النوم ويفتح عيناً إلى أن يغلب عليه النوم فيكون الكلام صحيحاً ويقولون احذر من ظليم وهو ذكر النعام.

روي عن ابن الأعرابي عن هشام ابن سالم قال أكلت حية بيضة مكاء فجعل المكاء يشرشر على رأسها ويدنو منها حتى إذا فتحت فاها تريده وهمت به ألقى في فيها حسكة فأخذت بحلقها حتى ماتت وروينا أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام أريد أن تكون في ضيافتي قال سليمان أنا وحدي قال لا بل العسكر كله في جزيرة كذا في يوم كذا فمضى سليمان إلى هناك فصعد الهدهد إلى الجو جرادة وخنقها ورمى بها في البحر وقال يا نبي الله إن كان اللحم قليلاً فالمرق كثير فكلوا من فاته اللحم ناله المرق فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولاً كاملاً.

قلت من أحوال الحيوان البهيم وأفعاله الدالة على الفطنة أن العصافير لا تقيم إلا في دار مسكونة فإن هجرها الناس لم تقم، وأما الهرة فإنها تألف الدار وإن رحل أهلها والكلب يرحل مع أهل الدار ولا يلتفت إلى الدار ومتى طرقت العصافير آفة استغاثت فأغاثها كل عصفور يسمع حتى أنه قد يقع فرخها فيستغيث فلا يلقى عصفور يسمع إلا جاء فيطيرون حول الفرخ ويحركونه بأفعالهم فيحدثون له بذلك قوة وحركة حتى يطير معهم قال بعض الصيادين ربما رأيت العصفور على حائط فأومي بيدي إلى الأرض كأنني أتناول شيئاً فلا يتحرك فإن مسست بيدي حصاة طار قبل أن تتمكن منها يدي.

الحمام إذا علم الذكر أن الأنثى قد حملت اشتغل هو وهي بعمل العش وأشخصا لها حروفاً تحفظ البيض ثم سخناها ونفيا عنها طباعها وأحدثا لها طبيعة أخرى مستخرجة من رائحة أبدانها ثم يقلبان البيض في الأيام فتأخذ البيضة نصيبها من الحضن وساعات الحضن أكثرها على الأنثى كالمرأة التي تكفل الحضانة فإذا صار البيض فراخاً كان أكثر الزق على الذكر ومتى انصدع البيض علماً أن حواصل الفراخ لا تتسع للغذاء فينفخان الريح في حلوقهما لتنتفخ الحوصلة وتتسع ثم يعلمان أنه لا يصلح أن يزق الطعام فيزقان اللعاب المختلط بقواهما وقوى الطعام كاللبا ثم يعلمان أن الحوصلة تحتاج إلى دبغ وتقوية فيأكلان من

سورج الحيطان وهو شيء بين الملح الخالص وبين التراب المالح فيزقانه فإذا علما أنه قد اشتد زقاه الحب فإذا علما أمه قد أطلق أن يلقط منعاه بعض المنع ليحتاج إلى اللفظ فيعوده فإذا علما أنه قد قوي على ذلك ضرباه إذا سألهما الكفاية ومنعاه ثم يبتدئان لغيره فيبتدئ الذكر بالدعاء وتبتدئ الأنثى بالتأني والاستدعاء ثم ترفق وتتشكل ثم تمتنع فتحبب ثم يتعاشقان ويتطاوعان ويحدث لهما من الغزل والتقبيل والرشف.

والتنين إذا هلكت زوجته لم يتزوج وكذلك هي والعنكبوت تنسج بما هو يسكنها شبكة للذباب فإذا تعرقلت فيها صادها ويروى أن الليث وهو صنف من العناكب يلطا بالأرض ويجمع نفسه ويرى الذباب أنه لاهٍ عنه وثب وثوب الفهد فيصيدها. والثعلب إذا أعوزه القوت تماوت ونفخ بطنه فيحبسه الطير ميتاً فإذا وقع عليه وثب عليها، والخفاش ضعيف البصر فلا يطير إلا عند الغروب لأنه وقت لا ضوء فيه يغلب بصرع ولا ظلمة والنملة والذرة تدخر في الصيف للشتاء ثم تخاف على المدخر من الحبوب العفن فتخرجه فتنشره ليضربه الهواء وربما اختارت ذلك في ليالي القمر لأنها فيه أبصر فإن كان مكانها ندياً وخافت أن تنبت نقرت وسط الحبة كأنها تعلم أنها تنبت من ذلك المكان وفلقتها نصفين فإن كان كزبرة فلقتها أربع لأن أنصاف الكزبرة تنبت من بين جميع الحبوب فهي من الشم ما ليس لشيء وربما أكل الإنسان أو ما أشبهه فتسقط من يده الواحدة أو بعضها وليس بقربه ذرة فلا تلبث تقبل ذرة أو نملة قاصدة إلى تلم الجرادة فتحاول نقلها إلى موضعها فتعجز فتكر راجعة إلى بيتها فلا تلبث أن تقبل وخلفها كالخيط فتتعاون فتحملها فانظر إلى صدق الشم لما لا يشمه الإنسان ثم إلى نقد الهمة إلى الجرأة في محاولة نقل شيء وزنها خمسمائة مرة أو أكثر وأقل أن تلقى أخرى إلا وقفت معها وحدثتها ويدل قوله تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ومن الحيات ما يغمس ذنبه في الرمل وينتصب قائماً نصف النهار في شدة الحر فيجيء الطائر فيكره الوقوع على الرمل لحره فيقع على رأس الحية على أنها عود فتقبض عليه وزعم قوم أن الحية في بلادهم تأتي البقرة فتنطوي على فخذها وتلتقم الثدي فلا تستطيع البقرة أن تتزمزم فتمتص اللبن. ومن فهم اليربوع لا يتخذ حجره إلا في كدوة وهو الموضع الصلب ليرتفع عن السيل فيسلم من مجاري المياه ومدق الحافر فيحفر في الصلابة ويعمق ثم يتخذ في زوايا بيته القاصعاء والنافقاء والرامقاء والرهطاء بيوت قد اتخذها ورق أبوابها فإذا أحس شراً دفع بعضها وخرج ولما علم من نفسه أنه كثير النسيان لم يحفر بيته إلا عند أكمة أو صخرة أو شجرة ليكون إذا تباعد عن حجره لطلب طعمه أو خوف حسن اهتداؤه إليه، والظبي لا يدخل كناسه إلا وهو مستدير يستقبل بعينيه ما يخاف على نفسه وخشفه والضبة تبيض ستين بيضة ثم تسد عليهن باب حجرها تدعهن أربعين صباحاً ثم تحفر عنهن وقد

انشق البيض، والنسر كثير الشره فإذا امتلأ من الجيف لم يستطع الطيران فيثب وثبات ويدور حول مسقطه مرات ثم يرفع نفسه طبقة طبقة في الهواء حتى يدخل الريح تحته فيرفعه. والسنور يرى الفأرة في السقف فيحرك يده كالمشير لها بالعود فتعود ثم يشير إليها بالرجوع فترجع وإنما يطلب أن تتزلق فلا يزال يفعل ذلك حتى تسقط. والأسد ربما حبس العتر بيمينه وطعن بمخلب يساره في لبته وقد أقفاه على مؤخرة فيتلقى دمه شاخباً في فيه كأنه ينصب من فوارة حتى إذا شربه واستفرغه شق بطنه. والبق يخرج لطلب الرزق فيعرف أن الذي يعيشه الدم فإذا أبصر الجاموس علم أن خلف جلده غذاءه فسقط عليه وطعن بخرطومه وهو واثق بنفوذ سلاحه والعقاب لا تكاد تعاني الصيد بل تقف على موضع عالٍ فإذا اصطاد بعض الطير شيئاً انقضت عليه فإذا أبصره لم يكن له همة إلا الهرب وترك صيده في يدها. وكذلك الحية لا تحفر موضعاً تسكنه ولا تهتم بذلك بل تأتي إلى المكان الذي حفره غيرها فتسكنه فينفر عن ذلك والأيل يذهب قرنه في كل عام فإذا علم أنه قد هلك سلاحه لم يظهر من مخافة السبع فإذا قام في موضعه سمن فيعلم أن حركته تبطئ فيزيد في استخفائه فإذا ظهر قرنه تعرض للشمس والريح وأكثر الحركة والذهاب ليذهب شحمه ولحمه فإذا استقام قرنه عاد إلى عادته الأولى وهو يأكل الحيات فيعتريه عطش شديد فيدور حول الماء ولا يحجزه عن ذلك إلا علمه بأن الماء ينفذ السموم فيسرع هلاكه. وبيوت الزنابير مبنية من زبد المدود، والقنفذ وابن عرس إذا ناهشا الأفعى والحيات الكبار تعالجا بأكل الصعتر البري، والعقاب إذا اشتكت كبدها من رفعها الأرنب والثعلب في الهواء وحطها لذلك مراراً فإنها لا تأكل إلا من الأكباد حتى يبرأ وجعها. وإذا وضعت الفأرة والعقرب فسلمت من شرها ثم قتلتها كيف شاءت. وإذا وضعت الدب الأنثى ولدها كان حينئذ كقدرة لحم غير مفهوم الجوارح فخافت عليه الدر

فرفعته في الهواء أياماً وتحوله من موضع إلى موضع إلى أن يشتد. والسمك إذا حصلت في الشبكة و لم تستطع الخروج علمت أنه لا ينجيها إلا الوثوب فتتأخر قدر رمح ثم تقبل واثبة نحو عشرة أذرع فتخرق الشبكة. والفهد إذا سمن علم أنه مطلوب وأن حركته قد ثقلت فهو يخفي نفسه بجهده حتى ينقضي الزمان الذي يسمن فيه الفهود.

الباب الثالث والثلاثون

في ذكر ما ضربته العرب والحكماء مثلاً

على ألسنة الحيوان البهيم مما يدل على الذكاء

تقول العرب احذر من غراب، ويقولون قال الغراب لابنه إذا رميت فتلوص أي تلوى يا أبت إني أتلوص قبل أن أرمي قال الشعبي مرض الأسد فعاده السباع ما خلا الثعلب فقال الذئب أيها الملك مرضت فعادك السباع إلا الثعلب قال فإذا حضر فأعلمني، فبلغ ذلك الثعلب فجاء فقال له الأسد يا أبا الحصين مرضت فعادني السباع كلهم و لم تعدني أنت قال بلغني مرض الملك فكنت في طلب الدواء له قال: فأي شيء أصبت قال قالوا لي خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج فضرب الأسد بمخالبه ساق الذئب فانسل الثعلب وخرج فقعد على الطريق فمر به الذئب والدم يسيل عليه فقال له الثعلب يا صاحب الخف الأحمر إذا قعدت بعد هذا عند سلطان فانظر ما يخرج من رأسك.

قال الشعبي أخبرت أن رجلاً صاد قنبرة فلما صارت في يده قالت ما تريد أن تصنع بي قال أذبحك وآكلك قالت ما أشفي من مرض ولا أشبع من جوع، ولكن أعلمك ثلاث خصال خير لك من أكلي إما واحدة أعلمك وأنا في يدك والثانية على الشجرة والثالثة على الجبل فقال هات الواحدة قالت لا تلهفن على ما فاتك قال فلما صارت على الشجرة قال لها هات الثانية قالت له لا تصدق بما لا يكون أن يكون فلما صارت على الجبل قالت له يا شقي لو ذبحتني أخرجت من حوصلتي ذرتين في كل واحدة عشرون مثقالاً قال فعض على شفتيه وتلهف ثم قال لها هات الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنين فكيف أحدثك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدق بما لا يكون أن يكون أنا وريشي ولحمي لا أكون عشرين مثقالاً قال وطارت فذهبت.

حدثنا عثمان بن عطاء عن أبيه قال نصب رجل من بني إسرائيل فخاً من ناحية الطريق فجاء عصفور فسقط ثم انطلق إلى الفخ فقال للفخ ما لي أراك متباعداً عن الطريق قال اعتزل شرور الناس قال فما لي أراك ناحل الجسم قال أنحلتني العبادة، قال فما هذا الحبل على عطفيك قال المسوح والشعر لبس الرهبان والزهاد قال فما هذه العصا في يدك قال أتوكأ عليها قال فما هذه الحبة في فيك قال رصدتها لابن السبيل أو محتاج قال فأنا ابن سبيل ومحتاج قال فدونك قال فوضع العصفور رأسه في الفخ فأخذ بعنقه فقال العصفور سيق سيق ثم قال لأغرني بعدك قارئ مرائي مرة أخرى.

قال مجاهد هذا مثل ضربه عزّ وجلّ لقراءة مرائين في آخر الزمان. قال مالك بن دينار مثل قراء هذا الزمان كمثل رجل نصب فخاً ونصب فيه برة فجاء عصفور فقال ما غيبك في التراب قال التواضع قال لأي شيء انحلت قال من طول العبادة قال فما هذه البرة المنصوبة فيك قال أعددتها للصائمين فقال نعم الخبر أنت فلما كان عند المغرب دنا العصفور ليأخذها فخنقه الفخ فقال العصفور العبادة تخنق كخنقك فلا خير حينئذ في العبادة بعد اليوم.

قال حدثنا المعافي ابن زكريا قال زعموا أن أسداً وذئباً وثعلباً اصطحبوا فخرجوا يتصيدون فصادوا حماراً وظبياً وأرنباً فقال الأسد للذئب أقسم بيننا صيدنا قال الأمر أبي من ذلك الحمار لك والأرنب لأبي معاوية والظبي لي قال فخطبه الأسد فاندر رأسه ثم أقبل على الثعلب وقال قاتله الله ما أجهله بالقسمة ثم قال هات أنت قال الثعلب يا أبا الحارث الأمر أوضح من ذلك الحمار لغذائك والظبي لعشائك وتخلل بالأرنب فيما بين ذلك قال الأسد ويحك ما أقضاك من علمك هذه القضية قال رأس الذئب النادر بين عيني، وذكر الحكماء في أمثالهم قالوا قيل للذئب ما بالك تعدو أسرع من الكلب فقال لأني أعدو لنفسي والكلب يعدو لصاحبه. وذكر أبو هلال العسكري قال قالت العرب وجدت الضبع تمرة فاختلسها الذئب فلطمته فتحاكما إلى الضب فقالت يا أبا الحسيل قال سميعاً دعوت قالت جئناك نحتكم إليك قال في بيته يؤتى الحكم قالت إني التقطت تمرة قال حلواً جنيت قالت إن الثعلب أخذها قال حظ نفسه بغى قالت لطمته قال أشفيت والبادي أظلم قالت فلطمني قال حر انتصر لنفسه قالت اقضِ بيننا قال قضيت.

قالوا حدث المخاطب حديثين فإن لم يفهم فأربعة قال العسكري المعنى أن لم يفهم حديثين كان ممن لا يفهم أربعة أقرب قال وقال بعض العلماء إنما هو فأربع أي أمسك وذلك غلط، قالوا وصادت حدأة سمكة فهمت ببلعها فقالت لا تفعلي فإنك إن أكلتيني لم أشبعك ولكن استحلفيني بما شئت إنني آتيك كل يوم بسمكة ففتحت فاها لتحلفها فانسابت منها فقالت ارجعي فقالت ما رأيت في مجيئي إليك خيراً فأعود.

قالوا وكان رجل في صحراء فعرض له الأسد فهرب منه فوقع في بئر فوقع الأسد خلفه فإذا في البئر دب فقال له الأسد منذ كم أنت ههنا قال منذ أيام وقد قتلني الجوع فقال الأسد أنا وأنت نأكل هذا وقد شبعنا فقال الدب فإذا عاودنا الجوع فما نصنع وغنما الرأي أن نحلف له إننا لا نؤذيه ليحتال لخلاصنا وخلاصه فإنه أقدر على الحيلة منا فحلفا له فأخذ في التحيل، فلاح له ضوء فنقب فخرج به إلى قضاء فتخلص وخلصهما.

قال كان أبو أيوب المرزباني وهو وزير المنصور إذا دعاه يصفر ويرعد فإذا خرج من عنده عاج لونه فقالوا له إنا نراك مع كثرة دخولك إلى أمير المؤمنين وأنسه بك تتغير إذا دخلت عليه فقال مثلي ومثلكم في هذا مثل بازي وديك تناظرا فقال البازي للديك ما أعرف أقل وفاء منك قال وكيف قال تؤخذ بيضة فيحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأكفهم حتى إذا كبرت صار لا يدنو منك إلا طرت ههنا وصحت ههنا فإن علوت حائطاً كنت فيها سنين طرت منها وتركتها وصرت إلى غيرها وأنا أوخذ من الجبال وقد كبر سني فأطعم الشيء اليسير وأوثق يوماً أو يومين ثم أطلق على الصيد فأطير وحدي فآخذه وأجيء به لصاحبي فقال له الديك ذهبت عنك الحجة أما أنك لو رأيت بازين في سفود ما عدت

إليهم أبداً وأنا كل وقت رأى السفافيد مملوءة ديوكاً وأبيت معهم فأنا أوفى منك ولكن لو عرفتم من المنصور ما أعرف لكنتم أسوأ حالاً مني عند طلبه إياكم.

قالوا ورأت الضبع ظبية على حمار فقالت أردفيني فأردفتها فقالت ما أفره حمارك ثم سارت يسيراً فقالت ما أفره حمارك فقالت الظبية انزلي قبل أن تقولي ما أفره حماري.

قالوا وصادت الضبع ثعلباً فقال الثعلب مني على أم عامر فقالت خيرتك خصلتين إما أن آكلك وإما أن أوكلك فقال الثعلب أما تذكرين أم عامر التي نكحت في دارها فقالت الضبع متى ذا فانفتح فوها فأفلت الثعلب.

قالوا وأولم طائر وليمة فأرسل يدعو بعض إخوانه فغلط بعض رسله فجاء إلى الثعلب فقال أخوك يدعوك فقال السمع والطاعة فلما رجع أخبر الطائر فاضطربت الطيور وقالوا أهلكتنا وعرضتنا للحتف فقالت القنبرة أنا أصرفه عنكم بحيلة فمضت فقالت أخوك يقرأ عليك السلام ويقول لك الوليمة يوم الاثنين فأين تحب أن يكون مجلسك مع الكلاب السلوقية أو مع الكلاب الكردية فتجرعها الثعلب وقال أبلغي أخي السلام وقولي له أبو سرور يقرئك السلام ولكن قد تقدم لي نذر منذ دهر بصوم الاثنين والخميس قال أبو عمير الصوري مرتيس بزق ففر منه فقال له الزق تنفر مني مثلك كنت ومثلي تكون، قال أبو سليم الخطابي من أمثلتهم قولهم لا أريد ثوابك اكفني عذابك ومثله قول الشاعر:

كفاني الله شرك يا خليلي فإما الخير منك فقد كفاني

قال أبو سليمان نظيرة قولهم يدك عني وأنا في عافية وأصل هذا فيما يتكلم به الناس على ألسنة البهائم أن فأرة سقطت من السقف فظفرت الهرة بحملها تقول بسم الله عليك فقالت الفأرة يدك عني وأنا في عافية قال المصنف رحمه الله سمعت علي بن الحسين الواعظ يحكي أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام مرعلى حواء يطارد حية ليأخذها فقالت الحية يا روح الله قل له لئن لم يلتفت عني لأضربنه ضرباً أقطعه قطعاً فمر عيسى عليه السلام ثم عاد وإذا الحية في سلته فقال لها عيسى ألست القائل كذا وكذا فكيف صرت معه فقالت يا روح الله إنه حلف لي فلئن غدرني فسم غدره أضر عليه من سمي والله الموفق للصواب.

تم الكتاب بعون الملك الوهاب.

الفهرس